الافتتاحية

حقوق النبي ﷺ

إن الاشتغال بهدي النبي ﷺ، ودراسة سيرته، ونشر محاسنه، من أفضل القربات، وأعظم الطاعات، وهو خير ما أفنيت فيه الأعمار، وبذلت فيه الأوقات، واستنفرت له الطاقات، حيث اصطفى الله رسوله من أشرف الخليقة، وجعله معنى الكمال على الحقيقة، فنقله في أكرم الأصلاب وأعظمها، وأودعه في أشرف البطون وأكرمها، أبرزه الله في أحسن خَلق وخُلق، لا يفي بوصفه بحث، وليس عند الخلق ما يضيفونه في الثناء عليه بعد ثناء رب السموات والأرض، معروف بالصدق والأمانة، والعفاف والصيانة، كما قالت خديجة رضي الله عنها: «كلا والله، ما يحزنك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»، وقد أدى الأمانة، ونصح الأمة، أرسله الله تعالى على حين فترة من الرسل، والناس في كفر بواح، وشرك صراح، وفساد عام، فجاء بالهدى المبين، فأزاح تلك العلل، وصدع بما جاء به من الحق، فكان أول ما صدع به، الأمر بعبادة الديان، والكفر بالطواغيت والأوثان، لتكون العبودية لله، والأنفس محررة من عبودية من سواه، بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، ويبين لهم ما أنزل الله من الكتاب، وأخذ عليهم العهد والميثاق، وأمرهم بالاتباع، ونهاهم عن الابتداع، فهو أصل الإيمان وحلاوته، ومن لوازم محبته واتباعه، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣١)، ومهما ذكرنا من موجبات محبته وعظمته، فلن نوفيه حقه.

لقد بين القرآن الكريم هذه الحقوق، ولقد تجلت روائع المحبة والتعظيم، حقًا، عند من عرفوا قدره حق المعرفة، أهل السبق بالإيمان، صحابته الكرام، ولاشك أن هذا النموذج كان أثرًا من آثار عظمته، بيد أنه عندما ضعف نور النبوة في حياة الأمة، وقل تمسكها بالكتاب والسنة، ضعف الاتباع والتعظيم، وعوض ببعض المظاهر الزائفة، والغلو في اتخاذ الوسائل الترويحية.. وإن أعظم فتنة خشيها عليه الصلاة والسلام على أمته، هي أن تنصرف عن عبادة الله إلى عبادته؛ لأنه جاء بنور التوحيد، والانقياد إلى الملك المجيد، داعيًا إلى الله بحاله ومقاله، دالًا عليه بحسن دعوته وجميل أفعاله، وقد تمثل التطبيق العملي لهذا الفهم الصحيح، في كلمة الصديق: «من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»، فلابد من توضيح منهج المحبة والتعظيم،كما أن الجفاء مذموم ومرفوض.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت

مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٥٩

ربيع الأول ١٤٣٣ هـ

العام التاسع والأربعون

يناير - فبراير ٢٠١٢ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

الموقع الالكتروني:

www.alwaei.com

المجلة غير ملزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.

الهدي الإسلامي في تنمية الضمير الأخلاقي ١٤

موضوع الغلاف

مهما حاول خصوم الإسلام الطعن في الرسالة التي نزلت على الرسول ﷺ من مولاه وإلصاق التهم بها زورًا وبهتانًا فإن الوقائع والأحداث وتصريحات المنصفين من غير المسلمين أثبتت عظمة الرسالة الإسلامية وصلاحياتها لكل زمان ومكان.

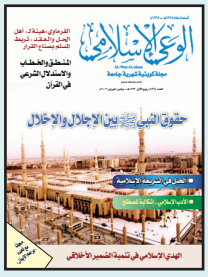

عمائر ومنشآت الرفق بالحيوان من شواهد عظمة الحضارة الإسلامية ٤٨

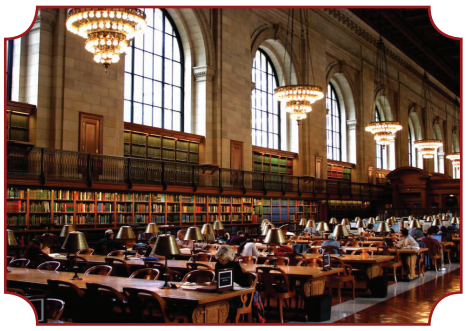

مَجمع الخالدين.. ملتقى حماة العربية ٨٤

التوزيع

وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

هاتف: ٢٢٤٧٨٩١١- ٢٢٤٧٨٩١٢ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٢٤٧٨٩١٠ (٠٠٩٦٥)

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت:١٨٣٤٩٥٧٧٠ (٠٠٢٤٩)
- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

- الكويت : ٥٠٠ فلس
- السعودية: ٧ ريالات
- البحرين : ٥٠٠ فلس
- قطر : ٧ ريالات
- الإمارات : ٧ دراهم
- سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة
- الأردن : دينار واحد
- مصر : ٢ جنيه
- السودان : ٥٠٠ جنيه
- ماليزيا: الرنجت.....
- اليمن : ٧٠ ريالا
- لبنان : ٢٠٠٠ ليرة
- سورية : ٣٠ ليرة
- المغرب : ١٠دراهم
- المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني
- باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

المحتويات

٣	الافتتاحية/ حقوق النبي ﷺ	رئيس التحرير
٥	كلمة العدد/ نحن وأمننا العلمي	التحرير
٦	دعوة/ المنطق والخطاب والاستدلال الشرعي في القرآن	بشار بكور
٨	سيرة/ بعد آخر وأفق آخر	فتح الله كولن
١٠	حوار/ مع الدكتور عبدالحي الفرماوي	الشريف أبوالوفا
١٢	ثقافة/ ركائز وقيم النهضة التعليمية ٤/١	دار الإعلام العربية
١٤	تربية/ الهدي الإسلامي في تنمية الضمير الأخلاقي	د.عبدالرحمن العيسوي
١٨	ملف العدد/ حقوق النبي بين الإجلال والإخلال (مقدمة)	التحرير
١٨	ملف العدد/ وقائع من سيرة الرسول	د.بليغ حمدي إسماعيل
٢١	ملف العدد/ النبي محمد صاحب الذوق السليم	رشيد ناجي الحسن
٢٤	ملف العدد/ الحنكة النبوية في علاج كبوات النفس البشرية	د.خالد النجار
٢٦	ملف العدد/ لمحات إيمانية من مولد المصطفى	د.وصفي عاشور أبوزيد
٢٨	ملف العدد/ خطبة مؤثرة	د.محمد حسان الطيان
٣٠	ملف العدد/ الرسول الأعظم.. قدوتنا في التحاور	د.مصطفى عطية جمعة
٣٤	ملف العدد/ عبقرية محمد العسكرية	محمد عبدالشافي القوصي
٣٦	دراسات/ الحيل في الشريعة الإسلامية	د.صالح سالم النهام
٤٠	دراسات/ الأدب الإسلامي.. إشكالية المصطلح	د.كمال سعد محمد خليفة
٤٦	دراسات/ عناية البلدانيين بجزيرة العرب	د.خالد فهمي
٤٨	دراسات/ عمائر ومنشآت الرفق بالحيوان	أحمد أبوزيد
٥١	ملف الأدب/ التوازن بين الشخصية والحدث في القصص القرآني (مقدمة)	التحرير
٥٢	ملف الأدب/ وظيفة الحلم والسخرية في القصة العربية القصيرة	عبداللطيف خروبة
٥٥	ملف الأدب/ صواب مهجور	حياة الياقوت
٥٦	ملف الأدب/ المدرس والتنين (قصة)	علي عفيفي علي غازي
٥٨	ملف الأدب/ إحلال العامية محل الفصحى.. مخاطر وآثار	سالم بن عمران
٦٠	ملف الأدب/ حب الكتاب	ليلى محمد محمد
٦١	ملف الأدب/ النور والميلاد (شعر)	عبدالغني أحمد الحداد
٦٢	أنباء الكتب/ جامع الآثار في السير ومولد المختار	التحرير
٦٤	أعلام/ إسماعيل راجي الفاروقي.. رائد مشروع إسلامية المعرفة	شيرين حسن
٦٧	ملف الأسرة/ عمل المرأة بين الإجازة والمنع (مقدمة)	موسوعة الأسرة
٦٨	ملف الأسرة/ حسني مزاجك بالغذاء	آمال عبدالرحمن محمد
٦٩	ملف الأسرة/ دائمًا هناك أمل	شعبان ناجي
٧٠	ملف الأسرة/ مساوئ الدلال على سلوك الأطفال	عبدالحميد غزي بن حسن
٧٢	ملف الأسرة/ الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة	بشرى شاكر
٧٥	ملف الأسرة/ سامحتك!	محمد الشحات أبوعبيد
٧٦	منارات/ دع الوساوس قبل أن تتلاعب بك	منى السعيد الشريف
٧٩	إصبعي السادسة/ الذهب والفضة	عبادة السيد نوح
٨٠	بيئة/ طرق الاستفادة من القمامة والمخلفات الصناعية	محي الدين الظاهر
٨٤	منارات/ مجمع الخالدين.. ملتقى حماة العربية	دار الإعلام العربي
٨٦	طب/ ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال	د.هشام الخطيب
٨٨	فتاوى الوعي	التحرير
٩٠	التميز	خالد خلاوي
٩٢	جديد العلوم	هيفاء حسن
٩٤	بريد القراء	التحرير
٩٦	ينابيع المعرفة	التحرير
٩٨	مسك الختام/ تشريعات الإعلام وأخلاقياته	د.ناصر أحمد سنة

كلمة العدد

نحن وأمننا العلمي

المتتبع للفئة المتعلمة في عالمنا العربي والإسلامي والتي حازت على الشهادات العليا في العلوم كافة، في الطب والهندسة والتقنيات وغيرها، يجد أنهم بعد أن يتخرجوا من المعاهد والجامعات العليا يتحولون في عالمنا العربي والإسلامي إلى موظفين جالسين وراء المكاتب يوقعون الأوراق، ويلقون المحاضرات النظرية، وقد يتقلدون مناصب لا تتناسب وتخصصاتهم ومؤهلاتهم العلمية.. هذا الواقع المؤلم لكوادرنا العلمية يطرح جملة من التساؤلات في مقدمتها: أين معاهد البحث العلمي التي تستوعب هذه الكوادر؟ وأين الميزانيات التي توضع تحت تصرف هذه المعاهد لمتابعة الدراسات العلمية والتقنية؟

إن الأمن العلمي لأي أمة من الأمم لا يقل أهمية وخطورة عن أمنها في مناحي الحياة الأخرى، ولابد من وضع الخطط والإستراتيجيات التي تبني أوطاننا علميًا حتى لا نظل ندور في فلك الدول المتقدمة خاصة أننا نملك من الإمكانيات والقدرات المادية والبشرية التي تؤهلنا لاستعادة دورنا العلمي الرائد في المسيرة الحضارية المعاصرة.

التحرير

الاشتراكات

- **داخل الكويت:** للأفراد ٧,٥ دنانير. للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية:** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم:** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات:** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

المنطقُ والخِطابُ والاستدلالُ الشرعيُّ في القرآن

بشار بكور

كثيرًا ما يستشهد المسلمون بآيات من القرآن الكريم لدعم رأي ما في الفقه أو العقيدة أو في مجالات أخرى شرعية كانت أم غير ذلك. لكن السؤال: هل فكر المسلمون في الطريقة التي يعرض فيها القرآن الكريم مبادئه وقضاياه بوصفها نتائجَ صادرة عن حجج محكمة ومنطقية؟ هل كان منهم اهتمامٌ بالوقوف على المنطق والجدل في القرآن الكريم؟ نعم، كان هناك اهتمام وعناية بهذا الموضوع، لكنه- مقارنة مع العديد من الموضوعات في الدراسات القرآنية- لم يحظَ بالقدر الذي كان يستحقه، ومن أشهر الكتب التي تناولت موضوع الجدل في القرآن، كتاب حجة الإسلام، الإمام الغزالي (توفي ٥٠٥هـ) «القسطاس المستقيم: الموازين الخمسة للمعرفة» (١)، وكتاب «استخراج الجدال من القرآن الكريم» لعبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب، المعروف بابن الحنبلي (توفي ٦٣٤هـ) (٢).

وقد أشار بدرالدين الزركشي إلى جدل القرآن في «البرهان في علوم القرآن» (٣) وكذلك السيوطي في «الإتقان في علوم القرآن» (٤).

ومن الكتب المتميزة التي عُنيت بجدل القرآن كتابُ «المنطقُ والخطابُ والاستدلال الشرعيُّ في القرآن. Logic، Rhetoric، and Legal Reasoning in the Qur'an: God's Arguments Rosalind Ward Gwynne، للباحثة روزاليند وارد غوين، نشر روتلج: لندن- نيويورك، عام ٢٠٠٤، ٢٥١ صحيفة.

والمؤلفة أستاذ مساعد في الدراسات الإسلامية في قسم الدراسات الدينية في جامعة تينيسي The University of Tennessee وقد اتخذت من كتاب الغزالي المذكور آنفًا قاعدةَ انطلاق ثم بنت عليها تفصيلات وفروعًا ينظمها ناظم المنطق والجدل القرآني.

وجدت أن القرآن قد استعمل أكثر من ثلاثين نوعًا من البراهين والحجج الصريحة والضمنية، بعناصرها وطرائقها: حجج ذات مقدمات ونتائج، الأوامر التي تدعمها التسويغات، السوابق واللواحق، النتائج المأخوذة من الاستدلال المبني على الحكم، المقارنات والاختلافات، وغيرها.

تقول المؤلفة عند حديثها عن آيات الله (أي: علاماته) إن الآية ليست في حد ذاتها جدلًا، إنما هي نوع من الأدلة التي تدعم أنواعًا مختلفة من الجدل، صريحًا كان أم ضمنيًا. فـ«آيات الله» في القرآن هي أجزاء من الأقيسة، والسنن التاريخية، والقصص، وأصناف أخرى من البراهين.

وقسمت المؤلفة الكتاب إلى أحد عشر فصلًا: يحلل الفصل الأول عناصرَ العهد بين الله والبشرية، والعلاقة التي تعد المفتاح المنطقي للبرهان المستعمل في النصوص المقدسة في الشرائع الإبراهيمية.

ثلاثون نوعًا من البراهين والحجج الصريحة والغنيمة في القرآن

ويشرح الفصل الثاني طريقتين يستعملهما القرآن لإثبات صحة مقدمات العهد: الأولى هي تقديم الكثير من الآيات الإلهية بوصفها دليلًا على القدرة المطلقة لله تعالى. والثانية عرض أحداث من الماضي، مثل إرسال الكتب السماوية والأنبياء، بوصفها سننًا إلهية، ولذا هي ملزمةٌ للبشرية.

ويتناول الفصل الثالث مبدأ السنة الإلهية أو سنة الله.

وفي الفصل الرابع، يرى القارئ كيف يستعمل القرآن العهدَ وآيات الله والسنة الإلهية بوصفها حقائق معروفة لبناء حجج مركبة، ضمنية وصريحة.

ويميز الفصل الخامس بين القواعد والقوانين، ويظهر كيف أن القرآن يترجم القواعد والأوامر الإلهية إلى قوانين تنطبق على البشر.

أما الفصل السادس فيحلل حججًا تعتمد قوةُ دليلها على المقارنة، بمظهريها الإيجابي والسلبي. ويتناول السابع موضوعَ الاختلاف، مثل الاختلاف بين الله ومخلوقاته.

أما الفصلان الثامن والتاسع فيلجان

باحث شرعي

حقلَ المنطق الكلاسيكي؛ إذ يتناولان تحليلات للحجج التي قام بها الغزالي ونجم الدين الطوفي، وتطبيقاتها على مجموعة من الآيات القرآنية، مع عرض أمثلة من القياس الشرطي والمنفصل.

ويشير الفصل العاشر إلى أمثلة متنوعة من النقاشات والحوارات التي دارت بين الأنبياء وقومهم ليثبت أن القرآن يجمع بين أشكال متنوعة من الحجج لدعم تعاليمه، وتوضيح وسيلة النقاش وأدبه، ولدحض حجج الخصم.

أما الفصل الحادي عشر فيقدم نتائج دراسة الكتاب.

أمثلة

من الأساليب المنطقية التي يستعملها القرآن، الجدل بطريق الأولى أو الأجرى، كقوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: ٥٧) وقوله: ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (النازعات: ٢٧) الله تعالى قادر على خلق السموات والأرض، وخلق السموات والأرض أكبر من خلق البشر، إذن الله تعالى قادر على خلق الناس، وإذا كان الله قادرًا على خلق الناس فلأن يكون قادرًا على إحيائهم بعد موتهم أولى. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السموات وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأحقاف: ٣٣). ﴿وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا. قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا. أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾. (الإسراء: ٤٩-٥١).

قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلّهِ مُلْكُ السموات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (المائدة: ١٨) لو كانت اليهود والنصارى أبناء الله كما يزعمون فلم يعذبهم الله إذن؟ فالبنون لا يعذّبون، وأنتم معذبون؛ إذن أنتم لستم أبناء الله كما تدّعون.

- قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة: ٦-٧) ادّعى اليهود أنهم أولياء الله. ومعلوم أن الولي إنما يتمنى لقاء وليّه، واليهود لا يتمنون الموت الذي سوف يتيح لهم لقاء الله، إذن هم ليسوا أولياء الله.

- قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ (الأنعام: ٩١) إن قولهم بنفي إنزال الوحي على البشر باطل..(١)لأن موسى إنما هو بشر، وهذا أمر متفق عليه. (٢) وقد أُنزل عليه كتابٌ باعترافهم، لأنهم كانوا يخفون بعضه ويظهرون بعضه. فيلزم من هذين الأصلين أن بعض البشر قد أنزل عليه الكتاب، فبطلت دعواهم.

- قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٨٠) يا مَن تدّعون بأن مَسَّ النار لكم إنْ هو إلا أيام معدودة، إمّا أن لديكم عهدًا من الله بهذا أو أنكم تقولون على الله ما لا تعلمون. أما وإنّه ليس لديكم عهدٌ من الله بهذا فأنتم تقولون على الله تعالى ما لا تعلمون.

- قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس: ٣٥) إما أن الله يهدي إلى الحق أو آلهتكم تهدي إلى الحق. والله هو الذي يهدي إلى الحق، إذن آلهتكم لا تهدي إلى الحق.

الحواشي

(١) قرأه و علق عليه محمود بيجو- المطبعة العلمية: دمشق ١٩٩٣.

(٢) حقق الكتاب زاهر بن عواض الألمعي، مؤسسة الرسالة: بيروت ١٩٨٠.

(٣) النوع الثالث والثلاثون ٢/ ٢٤- تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم- دار المعرفة: بيروت ط٢-١٩٧٢.

(٤) النوع الثامن والستون ٢/ ١٠٥٤- تحقيق مصطفى البغا. دار ابن كثير: دمشق- بيروت- ١٩٨٧.

بُعد آخر وأفق آخر

إن الإنسان المسكين في هذا العصر، الذي فقد الكثير من مقاييس القيم، انقلبت نظرته وسلوكه وفكره تجاه رسولنا محمد ﷺ رأسًا على عقب. هذا، علمًا بأنه من الخطأ الجسيم القيام بتقييمه ﷺ بأي مقياس أو ميزان بشري. فهذا أمر مستحيل، ذلك لأنه كان شخصًا لا مثيل له، ولا نظير له، إذ زُوّد بروح وبقابليات متميزة فريدة، وأُرسل إلى الدنيا لكي ينظمها من جديد، وليفتح للإنسانية آفاقًا جديدة مشرقة. لذا، فإن تقييمه أمر يخرج عن نطاق قدرتنا، وعن نطاق مقاييسنا وموازيننا، لذا فمهما وصفه الواصفون فلن يوفوه حقه، ومن هذا المنطلق أنشد حَسّان بن ثابت رضي الله عنه -وهو من أعرف الناس به- قائلاً:

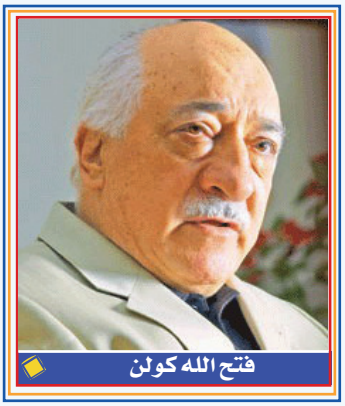

فتح الله كولن

وما مدحت محمدًا بمقالتي
ولكن مُدحت مقالتي بمحمد

فذكره السنيّ هو الذي يكسب الجمال للكلامَ الجميل وللكلمات الجميلة، وإلا فما من شيء في تعابيرنا يمكن أن يكسبه شيئًا. ويكرر الفرزدق المعنى نفسه، ولكن بتصرف قليل. ويستعمل مفكر العصر الكبير بديع الزمان النورسي المعنى نفسه عندما يتكلم عن القرآن الكريم:

وما مدحت القرآن بكلماتي
ولكن مدحت كلماتي بالقرآن (٢)

كل هذا نتيجة الاشتراك في الشعور نفسه وفي الفكر نفسه، فكلهم استقوا إلهامهم من نفس المنبع، ومن نفس المصدر، فأشاروا إلى الأشياء نفسها بتعابير مختلفة، فما أجمله البعض فصّله البعض الآخر، بينما عبّر الآخرُ عنه بأبيات الشعر.. ولكنهم كانوا يحومون حول المحور نفسه، ويطوفون حول المركز نفسه.

والأمر نفسه وارد بالنسبة إلينا، فنحن نريد أن نتحدث، وأن نعبر عن النعمة الكبرى المتميزة المهداة إلينا عندما أصبحنا من أمته، وأن نهتف من أعماق قلوبنا بالحمد لله رب العالمين والشكر له،

هل نملك قلبًا لائقًا بسلطان القلوب؟ وللأسف لم نرتق بعد إلى مستوى يناسب الروح المحمدية!

لأنه رآنا أهلًا لإسباغ نعمته الكبرى علينا بأن جعلنا من أمة المصطفى محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم. فهذا فضل إلهي، وهو يسبغ فضله ونعمته على من يشاء وبالمقدار الذي يشاء، إلا أن هذا الفضل لا يمكن أن يزنه ميزان أو يحدّه قياس.. فهو بحر واسع لا يحده ساحل، ولا ينتهي بشاطئ. إلا أن للمسألة وجهة أخرى لا أستطيع إهمالها ولا الهرب من السؤال الذي تطرحه: أنملك قلبًا لائقًا بسلطان القلوب هذا؟ هل هذا السلطان مستريح في مجلسه من القلوب؟ هل قلوبنا مفتوحة له على الدوام؟ أنلاحظه في قيامنا وقعودنا، في أكلنا وشربنا؟ أنلاحظ محمداً ﷺ بقلوبنا في جميع حركاتنا وسكناتنا؟ أنسير في جميع شؤون حياتنا على الخط الذي رسمه لنا؟ فإن كان جوابنا بالإيجاب فما أسعدنا! لأن هذا يعني أن خيالنا وأحلامنا مزيّنة بجمال صورته.. وإننا بذلك نكون جماعة محمدية، نتخلق بأخلاقه ونتأدب بآدابه.. وإن أيّ جماعة تتزين بمثل زينة أخلاقه، تكون عنصر توازن في هذا العالم. وأنا أعتقد أن هناك سببًا واحدًا فقط في عدم وصولنا إلى مثل هذا التوازن، وهو أننا لم نرتق بعد إلى المستوى اللائق للروح المحمدية.

إنه الإنسان المصنوع على عين الله.. وإن مجرد مجيئه إلينا كإنسان يعد أكبر سعادة لنا، ذلك لأن الجنّات نفسها، والفردوس نفسه يتشرف بقدومه. وإن وصفه بما هو أهل له لهو من أكبر مهماتنا، وأشرف وظائفنا؛ فالإنسانية لا تبلغ مرتبة الكمال الحقة إلا بعد أن تفهمه بحق، وتتبع خطاه. وقد عقدتُ نيتي على تنفيذ هذا، إلا أنني سبق أن ذكرت أنني لست فارس هذا الميدان، ولكن أملي الوحيد هو محاولة إفهامه وشرح آفاقه.. وكل ما أملكه في هذا الخصوص هو نيتي الخالصة.

مفكر تركي - من كتاب النور الخالد للكاتب

كنت قد وضعت نفسي منه منذ مدة طويلة موضع «قطمير»، وأسرّي عن نفسي بهذا، غير أنني بدأت أفقد هذا الأمل بمرور الزمن. ثم تمنيت لو أنني خُلقت شعرة ببدنه، فأكون بهذا القرب من مثل هذا الشخص الذي كان مظهراً لمثل هذه الدرجة من اللطف الإلهي الخاص. ومرّ زمن عليّ وأنا في مثل هذه الأمنية، إلا أنني كلما ازددت معرفة به، تأكدت أكثر بأنني لست أهلاً لتحقق هذه الأمنية، لذا فقد انحصرتْ كل رغبتي وأملي في أن أكون فرداً من أمته، ذلك لأنني آمل ألا يحرم الله تعالى فرداً من أمته من شفاعته، فيقول وهو يدخلني بينهم: «هم القوم لا يَشْقَى بهم جَليسُهم» (٣).

أجل، فقد عقدت نيتي على محاولة القيام بمعرفة هذه الذات السامية، فما أسعدني إن استطعت قدح شرارة واحدة من حبه في قلب هذا الجيل! ولكن ما حيلتي، فمثلي في هذا مثل نملة نَوَت الحج، فهي تعلم أن أرجلها الضعيفة لا تقوى على قطع تلك المسافة الطويلة، ولكنها مسرورة لكونها ستموت وهي في الطريق إلى الحج.. فكل أملي أن أموت في هذا الدرب.

إن الوظيفة الملقاة على عاتقنا هي تعيير أنفسنا حسب تردد موجات ذلك العالم. وعندما يتم هذا، يبدأ التخاطب الصريح، والتخاطب بالشفرات، وتصدر الأوامر من قِبله هو، إذ يتولّى القيادة والإدارة بنفسه. أما الجماعة التي يقودها، والمجتمع الذي يديره فمجتمع عميق المعاني، سامي الأغراض، تغبطه الملائكة، ويقصر عنه كل وصف وتعبير.

قد يبدو للبعض أن ما نقوله بعيد عن الموضوعية. وهذا أمر يؤسَف له، أيقال هذا، وكل يوم يَتلقّى بعض الشباب من ذوي الوجوه النيرة البشارات المعنوية من رسول الله ﷺ؟ وبعد قيام البعض بالاتصال به مباشرة دون أستار ولا حجب وفي عالم الشهادة نفسه؟

الهوامش

١- المثل السائر لابن الأثير، ٢/٣٥٧؛ صبح الأعشى للقلقشندي، ٢/٢٣١.
٢- «المكتوبات» لبديع الزمان سعيد النورسي ص٤٧٧.
٣- البخاري- الدعوات، ٦٦ــ مسلم، الذكر، ٢٥ــ الترمذي، الدعوات، ١٢٩ــ «المسند» للإمام أحمد ٢/٢٥٢-٢٥٣.

إعلان مهم

لكتاب المجلة وقرائها في مصر

الآن

يمكنكم التواصل عن قرب مع ممثل المجلة بالقاهرة دار الإعلام العربية

العنوان ٤ ش الجلاء / القاهرة
ميدان عبد المنعم رياض
مبنى دوحة ماسبيرو
مكتب ٦٠٦

تلفاكس/٠٠٢٠٢٢٥٧٦١٢١٣

email:alwaei@arabmediahouse.net

الدكتور عبدالحي الفرماوي أستاذ التفسير والعقيدة بجامعة الأزهر:

هيئة لـ« أهل الحل والعقد» تربط المسلم بصانع القرار

القاهرة - دار الإعلام العربية - الشريف أبو الوفا

ثلاثة مطالب أساسية تعيد الإحساس المفقود بالأمان لدى المواطن المسلم، خاصة في العديد من الدول التي اجتاحها ربيع الثورات العربية.. هذا ما أكد عليه د.عبدالحي الفرماوي أستاذ التفسير والعقيدة بكلية أصول الدين جامعة الأزهر، كاشفًا عن الداء وواصفًا الدواء للعديد من القضايا المختلفة الألوان والاتجاهات.. وفند الفرماوي كذلك في لقائه مع «الوعي الإسلامي» أسباب جمود الثقافة الفقهية، وما أحدثته العلمانية في عقول المسلمين.. فإلى تفاصيل الحوار.

● افتقد المواطن المسلم نعمة الأمان خاصة في المجتمعات التي اجتاحتها اضطرابات.. فكيف يتحقق الأمان برأيك في المجتمعات الإسلامية؟

لكي يصل المجتمع المسلم إلى الأمان لابد من تحقيق مطالب إلهية ثلاثة ذكرها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥). أما المطالب الثلاثة فتتمثل في «الإيمان» و«العمل الصالح» و«العبادة» هذه هي العناصر الأساسية لتحقيق الأمان المفتقد، فالمجتمع المؤمن مجتمع آمن يسلم كل أفراده من الأذى ولا يوجد بداخله فوضويون، وإذا وجد بعض الانفلات فإنه ينبغي أن يعالج على بساط ونور وهدى الإسلام، والذي يبقى تأثيره أكثر قوة من أي قانون عقوبات ومن أي حبس وزجر، فإن لم يرتدع الخارج تفرض عليه العقوبة المذكورة في الشرع، إن كان سارقًا يحد بقطع يده، وإن كان قاتلًا يقتل حدًا، ولمثل هذا شرعت الحدود والتعزيرات.

● وفي ظل اختلاف الرؤى التي تبعث على الفوضى.. ما أقوى كفالة لاحترام القانون؟

الاختلاف سُنّة إلهية، لكنّ له ضوابط وآدابًا، فإذا التزم الإنسان بهذه الآداب والضوابط مع من يخالفه فلن تحدث فوضى ولن يحدث أبدًا ما يعكر صفو المجتمع واستقراره، ومن شيم العلماء وما تعلمناه من السلف الصالح قولهم: «رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب»، وكان أحدهم يقول: «كنت أتمنى أن يظهر الحق على لسان من يناظرني»؛ لأنه يبحث عن الحق لذاته لا عن انتصار لشخصه، وهذه هي علة الفوضى الموجودة الآن في عالمنا العربي، أن معظم المتخالفين كل منهم يبحث عن انتصار ذاته على من يخالفه دون أن يرنو إلى الحق.

● ولماذا برأيك أصيبت ثقافتنا الإسلامية في العصر الحالي بالجفاف والجمود؟

أسباب ذلك ترجع إلى التيارات الوافدة من الثقافات غير الإسلامية، وكذا أجهزة الإعلام الملهية، وتسيد كوكبة من الإعلاميين البعيدين عن الثقافة الإسلامية على منابر الثقافة والإعلام في وطننا العربي والإسلامي، كل هذا صرف الناس عن ثقافتهم وهويتهم الإسلامية.

هذه أسباب الفوضى.. وهكذا يتحقق الأمن

● هل يمكن رسم خريطة طريق أو دعوة لإحياء علوم الدين بعد أن وقفت مؤلفات كثيرة عند أمور شكلية؟

الناس على دين ملوكهم، والتاريخ يشهد على ذلك، فمثلًا في العصور السابقة مثل العصرين الأموي والعباسي كان الحكام والأمراء يولون اهتمامًا لا يدانيه اهتمام آخر بشؤون الدين وعلومه، لذلك كانت الدعوة مزدهرة ومنتشرة.. بينما فيها الفترات التي كان الحاكم أو نظام الحكم فيها مشغولًا بشيء آخر غير الدعوة كان الشعب أيضًا بعيدًا عن الدين وعلومه، لذلك تعيش الأمة الإسلامية الآن في غيبوبة لا يبددها سوى مجهودات قلة من المؤسسات الإسلامية مثل الأزهر ورابطة العالم الإسلامي والهيئة

العالمية لتحفيظ القرآن الكريم.

● وماذا عن مواصفات الرابطة التي تربط المسلم بصانع القرار في مجتمعه؟

حتى يرتبط المسلم بصانع القرار يجب أن تكون هناك هيئة تسمى «الحل والعقد» يختارها الشعب دون ضغوط، تلتزم بالضوابط وترضى بالأدلة القطعية حتى وإن اختلفت في الفرعيات، هذه هي مواصفات الهيئة أو الرابطة التي تربط بين عموم الناس وصناع القرار في المجتمع المسلم.

● في ظل تيارات معادية للإسلام مثل «العلمانية» و«الحداثة».. هل يساورك قلق على الإسلام وشريعته من هذه التيارات؟

منذ ظهور الإسلام ظهرت التيارات المعادية له، وعلى مر الأيام تموت هذه التيارات الشاذة عن المجتمعات الإسلامية والمناهضة للفكر الإسلامي ويبقى دين الحق، لذلك لا قلق من هذه التيارات ولا خوف من ضررها إلا على أهلها، وقد ظهر من قبل الباطنية والقرامطة والغلاة وكلهم ذهبوا، وستذهب خلفهم تيارات العلمانية والحداثة وما سيستحدث لاحقًا من تيارات تعادي الإسلام.

● تستخدم هذه التيارات سلاح الكلمة في حربها مع دين الحق.. فهل استطاعت الصحافة الإسلامية مواجهة هذه التيارات بقوة؟

حتى هذه اللحظة مازالت العلمانية والحداثة وغيرهما تسيطر على الإعلام المقروء والمسموع والمرئي، على عكس الإسلاميين الذين يفتقدون كثيرًا أدوات الرد الإعلامي على هذه التيارات.. ومن الأهمية أن تبحث الصحافة الإسلامية عن أدوات ومفردات تواجه بها أفكار العلمانية والحداثة.

● هناك رأي يقول إن شروح بعض المثقفين العرب لمفاهيم الحضارة الغربية أسهمت في ترسيخ هذه التيارات في عقول المسلمين وأحدثت ضعفًا في العقيدة.. فهل تتفق مع هذا الرأي؟

بالفعل أسهم كثير من المثقفين العرب في الترويج لمفاهيم الحضارة الغربية والمناداة بأدواتها، ولأن الضعيف ينبهر بالقوي والفقير ينبهر بالغني، انبهرنا بالغرب وبإنتاجه، ومن ثم انبهرنا بأفكاره، وهذا اتجاه قديم منذ رفاعة الطهطاوي وطه حسين وغيرهما ممن ذهبوا إلى أوروبا وعادوا ينادون بآراء لا تتفق مع الإسلام.

● وما تفسيرك لانتشار الأزمات النفسية بين أبناء المسلمين اليوم؟ وهل هي مشكلة اقتصادية أم بعد عن الدين؟

الاثنان معًا.. أولًا الابتعاد عن الدين يفقد الإنسان الثقة واليقين في رحمة الله وفي عدله وفي رحمته بعباده، ومن ثم يصاب بالتأزم النفسي.. أيضًا الجانب الاقتصادي له نسبة كبيرة في نشر الأزمات النفسية، وهذا ما جعل علي بن أبي طالب يقول كلمته الشهيرة «لو كان الفقر رجلًا لقتلته»، والله سبحانه وتعالى ذكر آيتين عالج فيهما التأزم فقال: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾، (الإسراء: ٣١) وقال أيضا: ﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ (الأنعام: ١٥١)، فهذا علاج للأزمات الاقتصادية بجانب أن كثيرًا من الدول الإسلامية لا تسهم في حل مشكلات الشباب ظنًا منها بأنها لو فعلت ذلك فسيتفرغ الشباب لانتقاد نظم الحكم.

● إذا عدنا إلى مسألة الفوضى نجد ما يسمى «فتاوى الفضائيات» التي برغم التشكيك في كفاءة القائمين عليها فإنها تحظى بقبول كبير من العامة.. فما السر؟

فتاوى الفضائيات اختلط فيها الحابل بالنابل وغاب عن القائمين عليها أن للفتوى شروطًا وضوابط وثقافة، ولها أهلها الموثوقون، وينبغي ألا يتصدر للفتوى إلا أهلها.. أما السر في انجذاب العامة إلى الاستفتاء عن طريق الفضائيات فسببه طريقة الإبهار التي تقدمها هذه الوسيلة الإعلامية في عرض المسألة الدينية، ما يسهم في جذب المسلم البسيط ومنح شرعية الإفتاء لأشخاص بعينهم يلقون القبول لدى المشاهد.. وهذا لا يعني أن كل القائمين على الفتوى في هذه الفضائيات ليسوا أهلًا لها.

● وهل من علاج لهذا الإشكال؟

لابد من تحديد هيئة للإفتاء في كل بلد إسلامي تعلن وتنشر في أجهزة الإعلام وتلزم غير المتخصصين بعدم الجرأة على الإفتاء، كما ينبغي إلزام وسائل الإعلام بعدم الاستعانة إلا بمن هو مجاز في مجال الفتوى.

● أنجزت إحدى الجمعيات الإسلامية تفسيرًا للقرآن الكريم بلغة الإشارة للصم.. فماذا يحمل هذا المشروع من دلالات وما هي عوامل نجاحه؟

دلالاته أن هناك علماء لديهم حس ديني رفيع المستوى حريصون على ثقافة هذه الفئة في المجتمع لتزويدهم بتعاليم الإسلام الصحيحة حتى لا يحرم الصم والبكم من فهم كتاب الله وسنة رسوله والعمل بهما.. وندعو الله أن يجازي القائمين خيرًا على هذا العمل وكل عمل يصب في خدمة رسالة الإسلام.

● ما السر في عدم جواز ترجمة النص القرآني والسماح بترجمة تفسيره فقط؟

لا يجوز ترجمة النص القرآني؛ لأن الخطأ فيه سينسب إلى الله تعالى (حاشا لله)، إنما إن حدث خطأ في ترجمة التفسير فسينسب إلى صاحبه.

● أخيرًا.. هل تحتاج الثقافة الإسلامية إلى حركة تجديد وتنشيط أم تصحيح مفاهيم؟

الثقافة الإسلامية تحتاج حاليًا إلى الاثنين معًا، وتنشيطها يبدأ من خلال لقاءات عملية وتيسير المؤلفات للباحثين والباحثات، وتصحيح مناهجها من الأهمية بمكان لكل إنسان مسلم.

سلسلة النهضة التعليمية ١ - ٤

ركائز وقيم النهضة التعليمية

دار الإعلام العربية

«بناء الفرد ومحو أميته».. هكذا باختصار شديد يُعرَّف التعليم، الذي يعتبر المحرك الأساسي لتطور الحضارات ومحور نماء المجتمعات، حيث تُقيّم نهضة المجتمعات وفق نسب المتعلمين فيها.. وقد اتفق الخبراء على وجود نوعين من التعليم؛ نظامي وهو الذي يتلقاه المتعلمون في المدرسة والمعاهد والجامعات، وغير نظامي وهو التعليم الحر وله برامج مخططة ومنظمة لكن إجراءاته أقل انضباطا من النظامي.. وعندما تتساوى قيم البحث والاستفادة والنقل عند الإنسان لإنتاج شيء جديد يتقدم به خطوة على الآخرين، أو يسعى إلى تطوير ذاته بخبرات لم تكن موجودة من قبل، يكون بذلك على أولى درجات النهضة.. وهذا ما نتناوله عبر هذه السلسلة.. تعالوا نتعرف واقعها وركائزها الأساسية.

«العملية التعليمية في بدايتها ونهايتها عملية تربوية لها سبعة أعمدة رئيسة تتمثل في: المعلم، المنهج، الطالب، المبنى المدرسي، الإشراف التربوي، أسلوب التدريس، والأنشطة المصاحبة للعملية التعليمية؛ ليكتمل بناء الجسم مع العقل».. بهذه الكلمات بدأ د.محمود متولي، عميد كلية التربية السابق بجامعة بورسعيد، حديثه عن ركائز النهضة التعليمية في أي بلد، موضحًا أنها تستند إلى إخراج دارسين ودارسات قادرين على استيعاب ما درسوه من علوم ومعارف وخبرات، ومن ثم تلبية حاجات سوق العمل في ترجمة عملية للتعايش مع الحياة، ويساعد كُل ذلكً على إحداث تناغم بين منظومة العلاقات التي تربط أفراد المجتمع والدولة بعضهم ببعض.

قيم أخلاقية

وتابع د.محمود موضحًا: إن النهضة التعليمية لا تتوافر إلا بوجود المعلم الكفء، الذي يلمّ بجميع عناصر المادة التي يُدرِّسها، وبجانب العلوم النظرية والعملية، ينبغي أن يتسم بالسمات الأخلاقية المثالية التي تقود بدورها إلى تنشئة طالب سوي لديه القدرة على الاعتماد على النفس، يتصف بالعطاء، والوفاء، والأمانة، وصلة الأرحام، والأخوة، والمواطنة، والإحساس بالمشاركة، وكلها قيم

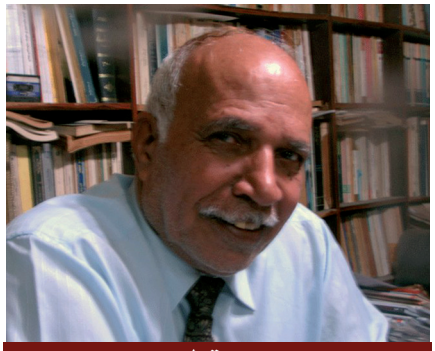

د. محمود متولي

أخلاقية يجب غرسها في نفوس الأبناء؛ لتحقيق نهضة تعليمية، وذلك باعتبارها مكملاً لعملية التلقين والتنظيم.

وفسَّر سبب النهضة التعليمية التي تحققت في مصر في القرن الثامن عشر في عهد محمد علي باشا، قائلاً: ترجع إلى مجموعة عناصر، فقبل عصر محمد علي كان الجهل سائدًا، والخرافات مسيطرة، والمجتمع غير قادر على استيعاب الثقافة الخارجية، وعندما تولى محمد علي باشا الحكم في عام ١٨٠٥، وعلى الرغم من أنه لم يكن متعلمًا، فإنه كان واعيًا، وأدرك أهمية التعليم في بناء الدولة الحديثة، وآمن بضرورة أن يكون هناك تعليم ديني وآخر مدني، فأرسل العديد من البعثات التعليمية إلى الخارج، وأنشأ المزيد من الكتاتيب، ورصد كثيرًا من الموارد لبناء ثقافة تعليمية للمجتمع، ومن حسن حظه أنه استعان بمجموعة من العلماء لمساندته في تحقيق هذه النهضة، كان من ضمنهم الشيخ الأزهري حسن العطار الذي مزج في تعليمه بين الحضارتين الإسلامية والغربية، وآمن بضرورة التلاحم بين الثقافات وليس تصادمها، فكان الجمع بين التعليم المدني والديني كفيلاً ببناء مجتمع جديد.

وأضاف: إن البعثات لم تكن لدراسة العلوم النظرية فقط، بل تفرعت في مختلف المجالات من الهندسة والصناعة والفنون إلى جانب تسخير مجموعة من الخبراء لتعليم المصريين كثيرًا من الصناعات لتوفير الكفاءات والأيدي الماهرة، كل ذلك دون إغفال لافتتاح المدارس ووضع المناهج التي تتسم بالذكاء والاستنارة وتحفز على العلم وتشجع العلماء، ووصل الأمر إلى أنه كان يتم عزل كل من يأتي من البعثات الخارجية عن الاختلاط بالناس حتى ينتهي من تدوين كل ما تلقاه من علوم ومعارف؛ كي يستفيد منها غيره.

مواجهة فعلية

أما د.محمود كمال الناقة، رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، فأوضح أن النهضة التعليمية تعبير إنشائي وعام، معناه الحرفي

د. حمدي عبدالعظيم

التحرك، كأن يقوم شخص من جلسته على اعتبار أنه كان ملتصقًا بالأرض، فهو في حالته الأولى كسلان وغير متجدد، ونحن نريد تحريكه لتغيير وضعه وحالته.

وأشار إلى أن المعنى الذي نريد تحقيقه للنهضة التعليمية هو المعنى الذي يعمل على رقي العلم وتحضر مكونات العملية التعليمية، والتي على رأسها المعلم؛ لذلك ينبغي أن نعرف جيدًا كيفية إعداده وتدريبه، والعمل على رعايته الأدبية والمادية، والرفع من شأنه في المجتمع، وهو أيضًا عليه دور أن يرتقي بشأن ذاته وتلاميذه.

وتابع: إن المناهج أيضًا مكون أساسي من مكونات العملية التعليمية، ولابد أن تكون معاصرة وحديثة بحيث لا يتعداها التاريخ ويتخطاها العلم، ونحولها من نظرية الحفظ والاستسهال إلى النشاط والممارسة والتجريب والتطوير، إلى جانب «المدرسة» بيت العلم الأول، وأساس تربية أبنائنا، فلابد أن تكون مدعمة بأحدث الأساليب العلمية والتقنية الحديثة من أنشطة وإلكترونيات جديدة ومكتبات رقمية حديثة، ووسائط متعددة وأسطوانات مدمجة وشبكة دولية متصلة، ومعاونين إلكترونيين، إضافة إلى توفير سبل الراحة كافة، وإن كانت الممارسة بالمواجهة الفعلية هي أساس النهضة التعليمية الحقيقية وليس عبر وسائل تكميلية.

ورأى «الناقة» أنه قبل كل ذلك لابد أن يشمل التعليم تطوير القوانين حتى تواكب

العملية التعليمية في بدايتها ونهايتها تعتمد على سبعة أعمدة رئيسة

السياسة التعليمية المعاصرة، أيضًا تغيير الامتحانات ونظمها ومقاييسها، وتطوير فكرة المجتمع عن التعليم.. وضرورة تفاعل كل هذه المكونات مع بعضها البعض حتى تساعد على تجويد العملية التعليمية لينعكس ذلك على الطالب ذاته، فالنهضة تتحقق بشكل واقعي عندما يتعلم الطالب شيئًا جديدًا يحتفظ به ويستدعيه، ويستخدمه ويوظفه ويتباهى به أيضًا، وليس مجرد الحصول على درجات وهو من الداخل كالصندوق الفارغ.

وعما إذا كانت «ميكنة التعليم» دليلا على نهضته قال: إن ميكنة التعليم ليس هي الأساس، إنما هي ضرورة تقتضيها التغيرات العلمية والحياتية والتكنولوجية، فنحن الآن في حاجة إلى التعلم عن بعد وعن قرب، ومعامل افتراضية كما لو كانت حقًا أمامنا، ووسائط تثري العملية التعليمية، وتحدث المعرفة الإنسانية بشكل يجعلها مشوقة وجاذبة.

وأضاف أنه على الرغم من أن الإمارات لديها نهضة تعليمية حقيقة، وتتمثل أبرز علاماتها في المناهج المتطورة، وجودة التعليم وخاصة الجامعي في مختلف جامعاتها كالشارقة و«أبوظبي»، فإنه يُؤخذ على هذه النهضة أن التعليم الجامعي باللغة الأجنبية، وفي هذه الحالة تكون النهضة مجرد تقليد وليس استفادة.

حالات فردية

بدوره، أكد د.حمدي عبدالعظيم، الرئيس السابق لأكاديمية السادات للعلوم الإدارية، أن النهضة تعني تطوير العملية التعليمة لخروجها من الأسلوب التقليدي

د. محمود الناقة

النمطي إلى الحديث، ومن عباءة الأسلوب التلقائي المعتمد على الحفظ والتلقين، إلى الاستيعاب والفهم، وذلك من خلال تطوير المناهج وطرق التدريس ذاتها، والمراجع المستخدمة في النظم التعليمية بحيث تعتمد على وسائل إيضاحية فعالة، مشيرًا إلى أن التطور التكنولوجي لابد أن يواكب التطورات التعليمية ليتغير بتغير الأحداث.

وأضاف: إن المعلم له دور مهم في إحداث النهضة من خلال تجنب الأشياء التقليدية المتوارثة التي لا تضيف جديدًا، فهو المسؤول الأول عن تلك النهضة التي تتحقق بإخلاصه في العلم، وتدريس واكتساب المعارف الجديدة، وقدرته على التدرب والتدريب، والسفر للخارج من خلال البعثات الخارجية والاحتكاك مع الأجانب والاطلاع على تجارب الدول المتقدمة، ونقلها على مستوى أوسع، وأن يمتلك طرقًا تتناسب مع جميع العقول في كل المراحل التعليمية، وعلى صعيد آخر الاهتمام بالظروف الاجتماعية والمادية للمعلم حتى يعطي بضمير وحب، فافاقد الشيء لا يعطيه، فماذا يمنح إذا كان لا يملك؟!

ورأى عبدالعظيم أن النهضة في الوطن العربي مجرد حالات فردية وليست نهضة شاملة، بل تحدث في بعض الدول والجامعات كالكويت والإمارات وقطر من خلال اتباع أساليب التعليم الإلكتروني والتعليم عن بعد، والسير على النهج الغربي في المناهج.

في التعريف العلمي للضمير الأخلاقي (conscience) كان يعتقد قديمًا في الإطار اللاهوتي أن الضمير الأخلاقي عبارة عن ملكة فطرية أو موروثة أو ملكة يغرسها الله في الإنسان (facuulty)، وتساعد هذه الملكة الفطرية صاحبها في الحكم الصائب في المسائل أو الأمور أو القضايا الأخلاقية (moral issues) كفكرة الحق والصواب والعدل والحلال والحرام وما إلى ذلك.

الهدي الإسلامي في تنمية الضمير الأخلاقي

د.عبدالرحمن العيسوي

في إطار مدرسة التحليل النفسي تعبر الذات العليا في الإنسان (Superego) عن الضمير الأخلاقي والذات العليا- وفقا لمفاهيم التحليل النفسي- هي أحد العناصر المكونة للشخصية الى جانب عنصر الذات الدنيا (id) والذات الوسطى (ego)وتختص الذات العليا هذه بالأمور الأخلاقية والروحية والمثالية، فهي مستودع القيم والمثل العليا والمعايير الأخلاقية.

ولكن يلاحظ أن الذات العليا هذه مكتسبة من خلال خبرات الطفولة الباكرة، بمعنى أنها تتكون لدى الطفل من خلال ما يلقاه من الأوامر والنواهي وما يلقاه من الثواب والعقاب على أفعاله، أي عن طريق التعلم أو عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية.

وبذلك يلعب الوالدان دورًا حاسمًا في تكوين الضمير الأخلاقي لدرجة القول بأن الذات العليا هي «البديل» عن الأم وعن الأب «لأنهما المسؤولان عن غرسها أو زرعها في حس الطفل وفي وجدانه أو شعوره، وعلى ذلك فإن الذات العليا تقوم بذات الوظائف التي يقوم بها الضمير الأخلاقي في الإنسان، والذات العليا هي مستودع القيم والمثل والمبادئ والقواعد والمعايير الأخلاقية كالفضيلة والعفة والشرف والأمانة والصدق (moral valuues) (١)، حيث تساعد الفرد على قبول أو رفض سلوكاته أو تصرفاته.

في ضمير الإنسان تتكون مجموعة متماسكة أو مترابطة من المبادئ الأخلاقية الداخلية أو الذاتية أو المستدخلة (internalized moral principles). تلك المبادئ التي تمكن الإنسان من تقدير أو معرفة الصواب من الخطأ أو الحق من الضلال والفساد أو الحلال من الحرام، وذلك بالنسبة للأفعال أو التصرفات أو السلوكات التي يقوم بها الفرد أو التي يفكر فيها، وكأن الضمير يحمل صوت الله فينا، ولذلك يعد الضمير من هذا المنطلق قدرة فطرية (lnnaate).

وفي إطار علم النفس الحديث، فإن مجموعة النواهي ومجموعة الواجبات أو المنوعات والمباحات هي أمور متعلمة أي مكتسبة من خلال البيئة التي يعيش في كنفها الفرد.

فالضمير هو الذي يحدد لصاحبه المنوعات (prohibition) والواجبات التي يتعين عليه القيام بها (٢) (obligations)، والضمير هو مستودع ما لدى الفرد من المعايير الأخلاقية والمثالية التي تجعله يرضى عما يقوم به من أعمال أو تصرفات أو سلوكات أو أفعال أو ما يود أو ينوي القيام به قبل القيام به، تجعله يرضى أو يرفض هذه السلوكات وينكرها، والضمير هو القدرة على إصدار الأحكام على ما يقوم به الفرد أو ما ينوي القيام به قبل القيام به (٣). فالضمير يحكم على السلوك سواء قبل القيام به أو بعد القيام به.

وظيفة الضمير الأخلاقي

يشبه ضمير الإنسان بأنه «السلطة الذاتية الداخلية» الكامنة في الإنسان، سلطة الردع والمحاسبة وإنزال العقاب بصاحبه إذا ما اقترف إثما أو قام بعمل محرم أو غير أخلاقي، ينزل الضمير العقاب بصاحبه على شكل لوم الذات أو الشعور بالذنب (feelling of guilt)، والإثم والندم أو تأنيب الذات، وهو ما يعرف باسم تأنيب الضمير، والضمير بذلك يقوم بعمل

أكاديمي مصري

الضمير الأخلاقي هو سلطة الردع والمحاسبة وإنزال العقاب لصاحبه إذا ما اقترف إثمًا

«القاضي» الذي يحاكم ويحاسب ويردع ويعاقب، ومن هنا يوصف ضمير الفرد بأنه ذلك «القاضي الصغير» الذي يكمن داخل كل منا، وهذا القاضي قد يكون حاسمًا وحادًا ويقظًا وقد يكون فاترًا ومتساهلًا وضعيفًا.

والغريب في أمر هذا «القاضي الصغير» أنه يحاسب صاحبه حتى في غيبة السلطات الخارجية كالشرطة أو القضاء، بل إنه يحاسب صاحبه حتى عندما يكون واثقًا من أن أمره لن ينكشف، ذلك لأن الضمير قوة داخلية تكمن في داخل كل منا.

وإلى جانب وظيفة الردع والعقاب هذه، فإن الضمير يقوم بوظيفة أخرى تشبه وظيفة «رجل الشرطة»، فكأن الضمير رجل شرطة صغير يكمن داخل كل منا، مهمته منع وقوع الخطأ قبل وقوعه أو منع السلوكات المحرمة أو المجرمة أخلاقيًا أو المنوعة بالضبط، كما يمنع رجل الشرطة الجريمة قبل وقوعها، وهنا يمنع الضمير الحي صاحبه من الإتيان بالأعمال المحرمة أو المؤثمة قبل حدوثها، وكأنه يقوم بعمل «الشرطي الصغير» داخل الإنسان، ويشبه عمل الضمير هنا أيضا عمل رجل الجمارك الذي يمنع دخول المواد الممنوعة أو الخطرة أو الخطيرة إلى داخل البلاد، وهنا يقوم الضمير مقام الرقيب الذي يمنع حدوث المخالفات الأخلاقية قبل وقوعها حتى وإن كان الإنسان متأكدًا من أن أمره لن ينكشف للسلطات الخارجية، ففي الإنسان سلطة ذاتية هي الضمير.

وعلى ذلك نتوقع أن الضمير الحي الوخاز يعمل على منع تفشي مظاهر الفساد والرشوة والوساطة والمحسوبية والتربح والغش والضلال والظلم والقهر والاستبداد والعنف وما إلى ذلك من المفاسد. تلك الظواهر التي أصبحت تهدد كثيرًا من مجتمعات العالم، إلى جانب جرائم استغلال النفوذ والإضرار بالمال العام وهدره واستغلال السلطة، وخصوصا عندما تجتمع الثروة والسلطة في يد شخص واحد ضعيف الضمير، الضمير هو الحامي الحقيقي والحارس الحقيقي لبسط العدالة والقضاء على الفساد.

ولذلك كم نحن في حاجة ماسة الى إحياء ضمائر الناس وخاصة تلك «الضمائر الغائبة» أو الميتة أو الضعيفة والتي أصبح من ثمارها ظواهر سلبية مثل الدروس الخصوصية والارتشاء والغش والغلاء والثراء الفاحش، والفساد المالي والإداري والسياسي والاجتماعي تستطيع الدولة أن تضع شرطيًا على رأس كل مواطن، ولكنها تستطيع أن تنمي ضمائر الناس وتوقظها وتغرسها في عقول الناس وفي وجدانهم ومشاعرهم.

كيف يتكون الضمير؟

إذا كان للضمير كل هذه الأهمية فمن الجدير البحث في نشأته أو تكوينه، وكيف يصبح حيًا ويقظًا وحارسًا أمينا لسلوك صاحبه في السر والعلن، إننا اليوم في مسيس الحاجة لإحياء الضمائر وإيقاظها وتنميتها وتقويتها وتدعيمها في الإنسان، وذلك يبدأ منذ الطفولة الباكرة، حيث يتكون ضمير الطفل عن طريق ما يتلقاه الطفل من الأوامر والنواهي والنصائح والتوجيهات والارشادات والتوعية من الوالدين في أول الأمر، ثم من الكبار عامة كرجل التعليم ورجال الدعوة والوعظ والإرشاد ورجال الإعلام والكتاب والمصلحين في المجتمع والقادة والزعماء، حيث يتقبل الطفل أولا هذه الأوامر على أنها صادرة من خارجه وأن عليه أن ينفذها، وبمرور الوقت يمتص الطفل هذه القيم ويكتسبها ويهضمها ويستوعبها أو يستدمجها في ذاته أو يستدخلها في كيانه، وتصبح بمرور الوقت قيمه هو ومعاييره هو، بمعنى أنها تصبح جزءًا لا يتجزأ من كيانه الشخصي.

وتلعب عملية التنشئة الاجتماعية الصالحة دورًا رئيسًا في غرس هذه القيم وترسيخها وزرعها في كيان الطفل، ذلك لأن عملية التنشئة الاجتماعية هي العملية التي تكسب الإنسان إنسانيته، وتجعله مواطنًا صالحًا، حيث يكتسب عن طريقها القيم والمثل والعادات والتقاليد والمعايير والقواعد والنظم والأعراف السائدة في المجتمع، وإذا كانت عملية التنشئة الاجتماعية (socialization)صالحة شب الطفل مواطنًا صالحًا، ومعظم

حالات الإنحراف والحالات المرضية نفسيًا ترجع إلى حدوث خلل في عملية التنشئة الاجتماعية.

والضمير يتكون من خلال جهود المسجد ورجال الدعوة والوعظ والإرشاد ورجال الدين عامة، وتسهم في تكوينه مؤسسات اجتماعية من أهمها مؤسسة الأسرة والمدرسة والجامعة والقرآن والزملاء والأنداد.

وعلى الجملة يتكون الضمير من خلال توافر القدوة الحسنة والمثال الطيب أو النموذج الطيب الذي يقتدى به، ويتكون الضمير وينمو من خلال الهدي الإسلامي المبارك وما فيه من قيم يتم غرسها في الطفل وترسيخها مثل القيم الآتية:

١- الحق
٢- العدل
٣- المساواة
٤- الرحمة
٥- الشفقة
٦- البر
٧- الإحسان.
٨- الصدق.
٩- الولاء.
١٠- الوفاء.
١١- الإخلاص.
١٢- الطهر والطهارة.
١٣- العفة.
١٤- الشرف.
١٥- الأمانة.
١٦- الولاء
١٧- الإخاء
١٨- الكرم
١٩- الجود
٢٠- الرجولة
٢١ - الشهامة
٢٢- إغاثة الملهوف.
٢٣- نصرة المظلوم.
٢٤- النبل.
٢٥- التضحية والفداء.
٢٦- الجهاد.

٢٧- الكفاح.
٢٨- النضال.
٢٩- الحب في الله.
٣٠- الرفق والأناة.

وإسلامنا الحنيف حافل بكل هذه القيم والمثل والمعايير، ولذلك يحيط الهدي الإسلامي المبارك بالمسلم منذ نعومة أظفاره حتى حماه بالرعاية والحماية والتوجيه والنصح والإرشاد والتعليم والتربية.

ويوفر إسلامنا الخالد لنا معشر المسلمين القدوة الحسنة والمثال الطيب الذي يقتدى به وهو رسولنا الكريم والذي وصفه رب العزة والجلالة بالقول ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم: ٤)، وما أحوجنا نحن المسلمون في هذه الأيام إلى القدوة الحسنة التي يقتدي بها الشباب والتي تربيهم على خلق الإسلام وعلى أساس من الهدي الإسلامي المبارك.

يربط القرآن الكريم بين فضيلة الإحسان والتقوى ويدعونا إليهما كما في قوله عز وجل: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير﴾ (النحل: ٣٠)، كما في قوله تعالى: ﴿وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا﴾ (النساء: ١٢٨).

ورسولنا العظيم يمثل القدوة الحسنة والمثال الطيب فهو المعلم والمرشد والموجه لأمته، وللمسلمين فيه أسوة حسنة كما في قوله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ (الأحزاب: ٢١).

وفلسفة الحساب والعقاب والثواب في الهدى الإسلامي توفر أعظم دافع للإنسان المسلم كي يخاف الله وكي يوقظ ضميره ويبتعد عن الرذائل والفواحش والخبائث ما ظهر منها وما بطن. ذلك لأن المسألة ليست فوضى وليست عماء، وإنما كل شيء بقدر وسلوك الإنسان محسوب عليه وسوف يلقى حسابه في الدار الآخرة، وكذلك يشجع الإسلام ويحث ويحض أبناءه على التحلي بالسلوك القويم والأخلاق الحسنة ويحثهم على التمسك بالفضائل الإسلامية وأداء العبادات وكلها تقود إلى تقوية الضمير وتقوية الشعور بالمسؤولية والخوف من الحساب والعقاب.

ومن سمات الإنسان صاحب الضمير الحي توخي العدل والعدالة في كافة مناحي سلوكه وتصرفاته. وإسلامنا الحنيف يهدي إلى الالتزام بالعدل في تربية الأبناء وعدم تفضيل واحد منهم على سائر أشقائه، وبذلك يتربى الطفل، منذ الصغر، على خلق العدل والمساواة لأنه تربى عليها ولم يلحقه الظلم من الوالدين.

وعن هذا الهدي البليغ يقول الحديث النبوي الشريف الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى رسول الله ﷺ فقال إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي، فقال رسول الله ﷺ «أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ فارجعه».

كذلك ينهى الإسلام المسلمين عن الهجران أو الخصام بين المسلمين. ولعل من يشعلان نار الحرب بين المسلمين أن

من سمات الإنسان صاحب الضمير الحي توخي العدل والعدالة في كل مناحي سلوكه وتصرفاته

يتذكروا قوله تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾ (الحجرات: ١٠) ونهى القرآن الكريم عن الإثم والعدوان كما في قوله تعالى: ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة: ٢).

والمسلم الحق منهي عن المقاطعة والخصام مع أشقائه في الإسلام لقول رسولنا الكريم «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» (متفق عليه).

وينهانا إسلامنا العظيم عن كل المفاسد والرذائل والفواحش والجرائم، ومن ذلك النهي عن الحسد وعن التجسس وعن سوء الظن أو الاحتقار أو إظهار الشماتة بالمسلمين وعن الغش والخداع والغيبة والنميمة والغدر، والظلم والطغيان، والبغي إلى جانب تحريم الربا وأكل مال اليتيم وتحريم الزنا، وكذلك سائر الجرائم والآثام كالقتل وسفك الدماء والسرقة والضرب والاعتداء وأكل حقوق الآخرين أو استغلالهم وابتزازهم وهدر حقوقهم.

وصاحب الضمير الحي يكره التعذيب أو الإيذاء. وإسلامنا الحنيف ينهانا عن تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد. وفي هذا الصدد يقول القرآن الكريم ﴿وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخورًا﴾ (النساء: ٣٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ هي حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» (متفق عليه)، أي تأكل من الهوام والحشرات في الأرض.

ويربي الإسلام المسلم على الإيمان بأن المؤمنين إخوة، وبذلك يزرع مشاعر الإخاء في قلوب المسلمين وكذلك التراحم والتواد والشفقة بينهم كما في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات: ١٠).

وكم نحن في حاجة في هذه الأيام إلى تنمية روح الإخاء بين المسلمين والذين يدب الخلاف بينهم للأسف الشديد لأتفه الأسباب، فلا ينبغي أن يشهر المسلم سيفه في وجه أخيه المسلم، قال تعالى ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ (المائدة: ٥٤)، ويربي الإسلام أبناءه على الشعور بالعزة والكرامة والافتخار بأنهم سلالة أمة كانت بحق خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. وفي هذا الصدد يقول القرآن الكريم ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفاء رحماء بينهم﴾ (الفتح: ٢٩).

ويربي الإسلام أبناءه على التعاون على البر والإحسان وعلى التقوى وخشية الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ (المائدة: ٢).

وهناك دعوة جماعية إلى تكاتف وتضامن وتساند وتعاون المسلمين بشكل جماعي كما في قوله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران: ١٠٤).

فالمسلم ليس مطالبًا فقط بأن يصنع المعروف وإنما عليه أن يدعو إلى ذلك، والى كراهية المنكر والبغي والظلم والفساد. وهنا تبدو إيجابية الشخصية الإسلامية، فعلى المسلم تقع مسؤولية نشر العدل والرحمة والتعاون والإخاء.

والمفروض أن تسود المودة بين المسلمين كما في قوله تعالى ﴿المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (التوبة: ٧٦).

والمسلم ليس مطالبًا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحسب ولكن أعماله يجب ألا تخالف أقواله مما يدل على غياب ضميره الأخلاقي، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ (البقرة: ٤٤) وهنا يربط القرآن الكريم بين قوة الضمير والتفكير أو التعقل.

ويحض الإسلام المسلمين على أن يتحلوا بالأمانة وبأداء الأمانات كما في قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ (النساء: ٥٨).

والإنسان صاحب الضمير الحي يتصف بالأمانة والعدل والعفة والنزاهة.

والإنسان إذا غاب ضميره أصبح ظالمًا معتديًا وإسلامنا ينهانا عن الظلم كما في قوله تعالى: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ (غافر: ١٨)، وقوله أيضًا: ﴿والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير﴾ (الشورى: ٨).

فالإسلام يربي ضمائر الناس ويظل يوقظها ويحرك دوافع الخير في الإنسان.

المراجع:

١- القرآن الكريم.
٢- بدوي أحمد زكي، (١٩٨٦)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت.
٣- محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.
٤- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين.
٥- English. H.B. and English. A.C (١٩٥٨). A comprehensive dictonary of psychological and psychoanalytical terms. Longmans. London.

حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال

السنة النبوية الشريفة جزء من الوحي كما أخبرنا سبحانه وتعالى ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾(النجم: ٣-٤) ومن هنا كانت السنة ركنًا أساسيًا في فهم أمور الدين وأحكامه بعد القرآن الكريم، كما كان لها أثر كبير في نشر الثقافة الإسلامية وبناء العقل المسلم بناءً سليمًا استطاع من خلاله معالجة قضايا الناس ومتطلبات حياتهم ضمن الثوابت والأصول التي لا يمكن التشكيك في مصداقيتها، وإذا كان أعداء الإسلام قد وقفوا عاجزين مبهورين أمام القرآن الكريم، فإن منهم من حاول الالتفات إلى سنة النبي ﷺ ونصب المكائد والدسائس حولها لهدم الإسلام من خلالها بالتشكيك في صحتها، ولكن أنى لهم ذلك والله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظ دينه ورد كيد العابثين والحاقدين إلى نحورهم ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩).

لقد حاولنا من خلال هذا الملف الذي نضعه بين أيدي قرائنا الكرام التركيز على سيرته ﷺ في مختلف جوانب الحياة للاسترشاد بها واستلهام سماتها وتنسم نفحاتها، فقد كان ﷺ المثل الأعلى والنموذج الإنساني الكامل، والاقتداء به يؤهلنا بإذن الله لاستعادة دورنا الايجابي الرائد في المسيرة الحضارية المعاصرة.. والله الهادي إلى سواء السبيل.

التحرير

وقائع من سيرة الرسول ﷺ

د. بليغ حمدي إسماعيل

قال تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم:٤) هكذا تحدث الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات عن رجل يسكن الأرض، سيد الخلق أجمعين محمد ﷺ، مخبرًا عن أخلاقه الكريمة الراقية، ويأتي شهر ربيع الأول من كل عام ليذكرنا بمولد الحبيب محمد ﷺ. والحديث عن البدايات حديث ذو شجن وسحر خاص، فلقد ولد النبي ﷺ في فجر الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول الموافق العشرين من شهر أغسطس سنة ٧٥٠ ميلادية، ولأربعين سنة خلت من حكم كسرى أنوشروان خسرو، وذلك في المكان المعروف بسوق الليل في الدار التي صارت تدعى بدار محمد بن يوسف الثقفي أخي الحجاج بن يوسف.

وقد أدخل ذلك البيت في الدار حتى أخرجته الخيزران أم الهادي والرشيد فجعلته مسجدًا يصلي فيه الناس وكانت قبل ذلك لعقيل بن أبي طالب. وتذكر كتب التاريخ المعروفة أنه ﷺ نزل على يد الشفاء أم عبدالرحمن بن عوف، فهي قابلته، رافعًا بصره إلى السماء، وكانت أمه ﷺ تحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده النساء الحوامل من ثقل وألم.

ولأن الله سبحانه وتعالى يرعى عباده المصطفين الأخيار، وينظر إليهم نظرة عطف ومودة ورحمة نقف عند واقعة جليلة نعتز بها نحن المسلمين في شتى بقاع الأرض، ونحرص أن نسردها لصغارنا وكبارنا على السواء، وهي واقعة مرضعة النبي ﷺ حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية وتكنى أم كبشة.

وتحدث حليمة السعدية أنها خرجت من بلدها مع زوجها الحارث بن عبدالعزى، وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء. وتروي حليمة بنفسها أنها حين قدمت مكة تلتمس الصغار لرضاعتهم فما من امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك إنما كانت النساء المرضعات يرجون المعروف من أبي الصبي، فكانت النسوة تقول: يتيم!! وما عسى أن تصنع أمه وجده، فكنا نكره ذلك.

وهكذا كان حال الطفل الرضيع محمد ﷺ، وما أشق هذه الحال، تأبى المرضعات أن تأخذه، كونه يتيمًا، واليتم كما نعلم ونعي ونفطن ضعف ومذلة وقصور حيلة، ولكن يؤكد علماء نفس الطفل المعاصرين أن تعرض الطفل لمثل هذه الأحوال من شأنه أن يجعله أكثر صلابة وتحملا لما يتعرض له من محن في المستقبل. وما أشبه الليلة بالبارحة في المقدمات والنتائج، إن حال تقلب النبي ﷺ بين العرض والرفض أشبه بحاله حينما عرض نفسه على القبائل بالطائف.

ونجد الله دائمًا مع حبيبه محمد ﷺ، فنجد حليمة السعدية تقول في بلاغة موجزة لزوجها الحارث: والله

رئيس قسم اللغة العربية - صندوق تطوير التعليم برئاسة مجلس الوزراء بمصر

إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، فقال زوجها: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. وهكذا كان، بركة في الناقة الشارفة المسنة، والمطعم والمشرب والحال للطفل والمرضعة وابنها وزوجها حتى قال لزوجته: أصبنا نسمة مباركة، ولقد أعطى الله عليها ما لم نتمن.

ما يهمنا في هذه الواقعة أن يدرك الناظر لها كم هو أسعد حالا ومقامًا هو وأولاده وذووه، ولعله يدرك النعمة التي من الله عليه بها، وهي نعمة الأمومة والرضاعة من صدر أمه، فهذا هو حبيبنا محمد ﷺ تقول عنه مرضعته مقالتها تلك: وإني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعًا، وكيف بحال أبنائك وأنت تطمئن عليهم كل مساء، وترى ابتسامة أمهم وهي تحتضن صغارها، وكيف تنظر لحال صغارك وأنت تقرأ قول حليمة: فما من امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه، وكلمة تأبى تعني الرفض الشديد، ألا يجعلنا ما سيق ذكره أن نزداد عشقًا وولعًا ومحبة برسولها الجميل ﷺ.

وتعد حادثة شق الصدر للرسول أثناء وجوده بمضارب بني سعد من إرهاصات النبوة الأولى، ونذير خير لما سيحدث لهذا الصبي الصغير من اصطفاء واختيار له. وعود على بدء لحليمة السعدية التي تخبرنا عن القصة كاملة.

فتقول: عندما رجعنا بعد مقدمنا بأشهر مع أخيه إذ أتانا أخوه يشتد، فقال لي ولأبيه ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاه فشقا بطنه، فهما يسوطانه، فخرجت أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائمًا ممتقعا وجهه، فالتزمته والتزمه زوجي، فقلنا له: مالك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب

شق الصدر نوع من أنواع الابتلاء .. والمستشرقون ادعوا أنه صرع وهو قمة التكريم

بيض فأضجعاني وشقا بطني فالتمسا فيه شيئًا لا أدري ما هو، فقالت حليمة: فرجعنا به إلى خبائنا، وقال أبوه الحارث: يا حليمة، لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به.

والناظر لسياق الحدث السابق يتبين أن حليمة وزوجها قد أحبا الصغير حبًا جمًا، ويظهر ذلك بوضوح في قولها «أبوه» مرتين، وهذا خير دليل على تعلقهما بهذا الصغير. والرسول ﷺ يخبرنا عن حادثة شق الصدر وما تحملها من دلائل ذات معنى، حينما سأله نفر من أصحابه فقالوا له: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك؟ قال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام، واسترضعت في بني سعد، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما إذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجًا فأخذاني فشقا بطني، واستخرجا قلبي فشقاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه».

وكعادة المستشرقين من أعداء الإسلام وخصومه، يتناولون هذه الحادثة بمنظور أكثر غرابة، فالمستشرق فنيكولسون في كتابه «تاريخ أدب العرب»، وماير في كتابه «حياة محمد» وغيرهما يرون أن هذه نوبة صرعية، وهذا بالطبع مردود عليه، فلم تشاهد علامات الصرع على حبيبنا محمد ﷺ طول عمره، وإذا كان الصرع كحالة مرضية يصيب صاحبه بحالات عصبية موتورة وقلق وتوتر دائم، فكيف هذا والنبي ﷺ هو النبي، والزوج، والقائد، والمصلح، والأب، والمربي، والمرشد، والنذير، وكل هذه الأدوار قام بها النبي ﷺ في وعي وجلد شديدين؟

إن المستشرقين، يبذلون جهدًا بشريًا مقصورًا غير عادي للنيل من النبي ﷺ، وأظن أني قد وفقت اللفظ في (بشريًا) لأن قدرة الله وقوته أبقى وأعز وأجل. كل هذا ولابد أن نعي حال هذا الصبي، الذي يتعرض لمثل هذه المواقف العصيبة، وغيرها مما ورد في كتب السيرة النبوية، مثل وفاة أمه صغيرًا، كل هذا أيضًا من شأنه أن يقوي ساعد الصبي على ما ستخبره الأيام اللاحقة من عوارض، وهو ما أشار إليه جده عبدالمطلب بقوله: «دعوا ابني فوالله إن له شأنا».

والحكمة من هذا الشق هو الزيادة في إكرامه وإمداده ﷺ وتقويته وإعداده، ليتلقى ما سيوحى إليه بقلب قوي سليم متين في أكمل الأحوال. وشق الصدر لأنه حادث جلل غيبي يلزمنا التصديق به أولا، والوقوف عنده طويلا بالدرس والتحليل لاستنباط الفوائد والحكم منه، فشق الصدر من جنس ما ابتلى الله به الذبيح وصبر عليه، بل هذا أشق وأجل، لأن تلك

مـعـاريض وهـذه حقيقة، وما أحوجنا هذه الأيام أن تحدث لنا حادثة ولو معنوية لشق صدورنا المعتمة، إن حظ الشيطان منا عظيم في الآونة الأخيرة، في ظل الفتن والمغريات التي تتخر بنا ليل نهار، ولا راد لها سوى عصمة من الله.

وتتجلى الحكمة أيضًا من شق الصدر في القدرة على أن يمتلئ قلب الصبي الصغير إيمانا وحكمة وزيادة في قوة اليقين، لأنه أعطي برؤيته شق صدره وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية، ولذلك كان رسولنا ﷺ أشجع الناس حالا ومقامًا، ولذلك وصف النبي ﷺ بقوله تعالى: ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ (النجم: ١٧).

وهناك واقعة مهمة من وقائع السيرة النبوية ينبغي لنا جميعًا أن نسترجعها لأهميتها وجللها في سياق السيرة النبوية، فلما لجأ رسول الله ﷺ إلى حائط لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة، رقّا له، فدعوا له غلامًا نصرانيًا يدعى «عداسًا»، وأمراه أن يقطف عنبًا ويذهب به إلى رسول الله ﷺ. ففعل عداس ما أمر به، ولما وضع العنب أمام رسول الله ﷺ قال له: كل. فلما وضع رسول الله يده فيه، قال: «بسم الله»، ثم أكل.

فنظر الغلام في وجهه وقال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له رسول الله ﷺ: «ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟» قال عداس: نصراني، وأنا من أهل نينوى. فقال رسول الله ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن متى»، فقال عداس: وما يدريك من يونس بن متى؟ فقال رسول الله ﷺ: «ذاك أخي، كان نبيًا وأنا نبي»، فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه.

وحينما علم عتبة بن ربيعة ورأى ما رأى من تقبيل الغلام لوجه ويد رسول الله قال لأخيه: أما غلامك فقد أفسده عليك،

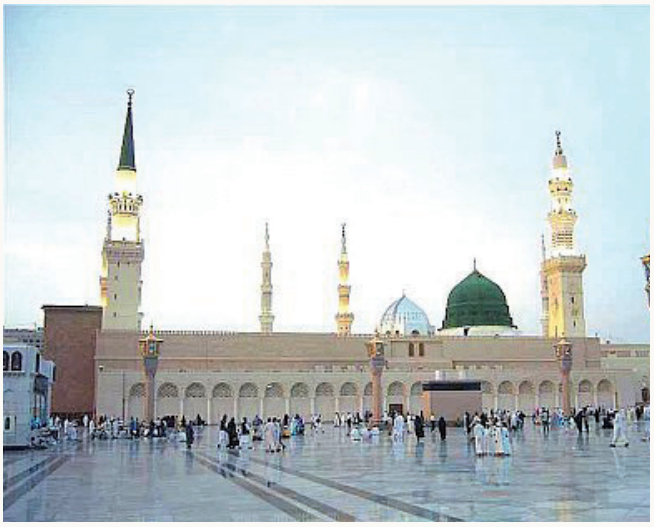

الجن تلقوا دعوة الرسول ﷺ وبلغوها قومهم دون أن يعلم بهم

ودعوا عداسًا فقالا له: ويلك يا عداس! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي. قالا له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك عن دينك، فإن دينك خير من دينه.

والقصة السابقة وردت في أكثر من نص سابق، ومعظم النصوص التي سردت الواقعة السابقة، تحدثت عن صبر رسول الله ﷺ على الشدائد، وتحمله الصعاب التي واجهها وهو يدعو القبائل للإسلام، وبعضها تحدث عن فضائل الإسلام في الطعام، كالتسمية قبل تناول الطعام والشراب. والذي يمكن أن نستخلصه من هذه الواقعة الطيبة أن الذي لفت انتباه الغلام الصغير في حديث رسول الله ﷺ هو ذكره للفظ الجلالة «الله»، وهو أمر مستغرب على أهل هذه البلاد، التي لا تعرف سوى اللات، والعزى، وهبل، ومناة، وغيرها من الأصنام التي لا تفيد ولا تنفع، ولا تسمن من جوع، ولاشك أن نطق رسول الله ﷺ للفظ الجلالة «الله» قد هز كيان الغلام، وهدهد مشاعره، الأمر الذي جعله متقبلا ومستعدًا للدخول في الإسلام، لاسيما وأنه من أهل الكتاب.

ومن أبرز معالم رحلة الرسول ﷺ إلى الطائف واقعة إسلام الجن. حقًا، إنه اليقين بالتوحيد لرب العالمين، لقد انفرد الله سبحانه وتعالى بعبادة الإنس والجن له، بل لقد انحصرت مهمتنا على الأرض في عبادة الله وحده، لا نشرك به شيئًا.

والواقعة تفيد أنه لما انصرف النبي ﷺ من الطائف راجعًا إلى مكة، قام بجوف الليل يصلي، فمر به النفر من الجن الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم، فاستمعوا لتلاوة الرسول ﷺ، فلما فرغ من صلاته، ولوا إلى قومهم مدبرين منذرين، قد آمنوا وأجابوا إلى ما استمعوا إليه من تلاوة الرسول ﷺ. وقد قص الله تبارك وتعالى نبأهم على النبي في سورة الأحقاف، يقول الله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين. قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابًا انزل من بعد موسى مصدقًا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم﴾ (الأحقاف: ٢٩، ٣٠).

هؤلاء النفر من الجن يتلقون دعوة الرسول ﷺ في صلاته ودعائه دون أن يعلم بوجودهم، وأصبح اسم محمد تهفو به قلوب الجن، وليس الإنس فقط، حملوا راية التوحيد، ووطنوا أنفسهم دعاة إلى الله. يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا. يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا. وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا﴾ (الجن: ١-٣).

النبي محمد ﷺ صاحب الذوق السليم

رشيد ناجي الحسن

قد يرى الإنسان منا من البشر من يُعجب بخلقه، ولا يملُّ من الحديث عن حسن أخلاقه وأدبه، ويتمنى أن يرزقه الله شيئاً مما رزقه الله من حسن الخلق والأدب. ولكن في الحقيقة البشر الذين يُضرب بهم المثل في حسن الخلق قد اشتهروا في باب أو ميدان واحد من الميادين، فلا يكاد يُعرف عنهم غيرُه، أما النبي عليه الصلاة والسلام فقد جمع الله تبارك وتعالى فيه كمال الخلق في كل مجال وفي كل باب، تحدثْ عما شئت، وائت بالشواهد من هنا وهناك، فلن ترى أصدق شاهداً مما روي عن هذا النبي العظيم.

إنه إن ذُكر أهلُ الحلم فهو أحلمُ الناس، وإن ذُكر أهلُ الغيرة فهو أغيرُ الناس، وإن ذُكر أهلُ الشجاعة فهو أشجعُ الناس، وإن ذكر أهلُ الجود فهو أجودُ الناس، فقد حاز صفات الأخلاق كلِّها، وزاد عليها زيادة الشمس على البدر والبحر على القطر.

هذا وإنَّ ما نراه من نماذجَ أخلاقية سيئة في المجتمع يدفعنا للحديث عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام وشمائله وأدبه وذوقه.

وقد رأيت أن أسوق في هذا المقال شواهدَ على كمال خلقه وأدبه ﷺ مع ربه عز وجل، ومع الناس، لعلنا نستضيء بهديها ونقتدي بها.

أدب النبي ﷺ مع الله

وأبدأ بأدبه ﷺ مع ربه، وهو أمر نرى فيه الشواهد الكثيرة عنده عليه الصلاة والسلام؛ فالمتأمل في سيرته ﷺ يجده في كلِّ أحواله مُتوجهًا إلى الله- عَزَّ وجَلَّ- بالدعاء والثناء والحمد والشكر، ناسباً له كل فضل، ملتجئاً إليه، راجياً رحمته، ومستجيراً من عذابه، ولا نكون مبالغين إذا قلنا: إنه لا يوجد أحدٌ تأدب مع خالقه تبارك وتعالى بمثل أدب نبينا عليه الصلاة والسلام مع ربه، وهو القائل: «والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له». وقد جاء هذا من أسباب كثيرة مَنَّها الله عليه جعلته أعظمَ النبيين وأكملَ الخلق صلوات الله وسلامه عليه.

فقد كان من أدبه ﷺ أنه جعل نقشَ خاتمه كلمة محمد أسفلَ وكلمةَ رسول في الوسط، وكلمة الله التي هي لفظُ الجلالة في الأعلى، فأصبحَ يُقرأ من الأدنى: محمد رسول الله، سبحان الله... حتى في نقش خاتمه تأدب عليه الصلاة والسلام مع ربه جل وعلا.

- ولمَّا عُرج به إلى سدرة المنتهى لم يلتفت يميناً ولا شمالاً ولم ينظُر في أي شيء إلا وفق ما يريه اللهُ، فما أراه اللهُ رآه، وما لم يرِه الله لم تتحرك منه جارحة واحدة من غير أن يُؤذنَ له، ولذلك زكى الله بصرَه في القرآن فقال الله في سورة النجم: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ أي: لم يتجاوز حدوده.

وهذا غايةُ الكمال والأدب مع الله الذي لا يلحقه فيه سواه، فإن عادة النفوس إذا أقيمت في مقام عال رفيع: أن تتطلعَ إلى ما هو أعلى منه وفوقَه، ألا ترى إلى موسى لما أقيم في مقام التكليم والمناجاة: طلبت نفسُه الرؤية، ونبيُنا لما أقيم في ذلك المقام وفَّاه حقَّه: فلم يلتفت بصرُه ولا قلبُه إلى غير ما أقيمَ فيه البتة. يقول ابنُ القيم رحمه الله: ولأجل هذا ما عاقه عائق ولا وقف به مرادٌ حتى جاوز السموات السبعَ حتى عاتبَ موسى فيه وقال: يقول بنو إسرائيل: إني كريم الخَلْق على الله وهذا قد جاوزني وخلفني علوا، فلو أنه وحده ولكن معه كلُّ أمته.

وفي رواية للبخاري: فلما جاوزتُه بكى قيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي أن غلاما بُعث بعدي يدخل الجنةَ من أمته أكثرُ ممن يدخلها من أمتي، ثم جاوزه علوا فلم تُعقه إرادةٌ ولم تقفْ به دون كمال العبودية همة، ولهذا كان مركوبُه في مسراه يسبق خَطوُه الطرفَ فيضعُ قدمَه عند منتهى طرفه مشاكلا لحال راكبه وبُعد شأوه الذي سبق به العالمَ أجمعَ في سيره، فكان قدمُ البراق لا يختلف عن موضع نظره كما كان قدمُه لا يتأخر عن محل معرفته، فلم يزل في خفارة كمال أدبه مع الله سبحانه وتكميل مراتب عبوديته له حتى خرق حجبَ السموات وجاوزَ السبعَ الطباقَ وجاورَ سدرةَ المنتهى ووصل إلى محل من القرب سبقَ به الأولين والآخرين فانصبَّت إليه هناك أقسامُ القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائبُ الحجب ظاهرا وباطنا حجابا حجابا وأُقيم مقاما غبطَه به الأنبياءُ والمرسلون فإذا كان في المعاد أقيم مقاما من القرب ثانيا يغبطه به الأولون والآخرون.

أدب النبي ﷺ مع الناس

وأما أدبه ﷺ مع الناس وذوقه السليم فقد استفاض حتى اشتهر، فمنه:

مراعاتُه ﷺ لمشاعر الناس: وهو جانب دقيق في معاملته، وشواهدُه في السيرة كثيرة، منها ما يرويه أنسُ بنُ مالك رضي الله عنه أن رجلا دخل على رسول الله ﷺ وعليه أثرُ صُفرة وكان النبيُ ﷺ قلما يواجه رجلا في وجهه بشيء يكرهه، فلما خرج قال: «لو أمرتم هذا أن يغسل هذا عنه». (أحمد وأبوداود).

فهو ﷺ لما رأى منه ما يكره لم يواجهه بذلك أدبا وذوقا، بل وجَّه الصحابة بعد

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف الكويتية

خروج الرجل ليأمروه بإصلاح حاله.

وفي الصحيحين أنه ﷺ أهدى إليه رجل صيدًا وهو محرم فردَّه فلما رأى ما في وجهه قال: «إنّا لم نردَّه عليك إلا أنَّا حُرم».

وحين جاء مالكُ بن الحويرث رضي الله عنه وأصحابُه إلى النبي ﷺ فبقوا عنده أيامًا، قال مالك: وكان رسول الله رحيما رفيقا فظن أنا قد اشتقنا إلى أهلنا فسألنا عمن تركناه من أهلنا فأخبرناه، فقال: «ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا عندهم وعلموهم ومروهم، إذا حضرت الصلاة فليؤذنْ لكم أحدُكم وليؤمَّكم أكبرُكم». (البخاري).

ومن خلقه وأدبه وذوقه الرفيع اهتمامه بالناس فها هو عليه الصلاة والسلام حين ماتت امرأة كانت تقمُّ المسجد، وحقَّر الناس من شأنها وصلوا عليها ودفنوها بليل، قال ﷺ : «هلا آذنتموني؟» فيذهبُ إلى قبرها ويصلي عليها. (البخاري).

فهو ﷺ يهتم بشأن خاصة أصحابه، بل يبلغُ هذا الأمرُ عنده شأناً عجيباً، فقد كان النبي ﷺ يوما جالساً فدخل أبوبكر فلم يعدِّل جَلسته فلما دخل عمرُ كان كذلك، فلما دخل عثمانُ تهيأ النبيُّ عليه الصلاة والسلام وعدَّل جَلسته فيقال له في ذلك فقال: «إنَّ عثمانَ رجلٌ حييٌ».

ومنها مراعاتُه عليه الصلاة والسلام حالة الملل والسآمة فإنَّ للنفس إقبالاً وإدباراً، ونشاطاً واسترواحاً، وقد كان ﷺ يباسط أصحابه ويمازحهم، ويتخولهم بالموعظة، ولم يَطغَ جانبٌ على آخر.

ومن الشواهد مراعاتُه ﷺ حالة السرور عند أصحابه: فالنفس ترغب بمن يشاركها فرحتَها، ولمَّا أنزلَ اللهُ توبةَ كعب بن مالك رضي الله عنه استقبله النبي ﷺ ووجهُه يبرُق بالسرور، وبشَّره بتوبة الله عليه.

ومنها مراعاتُه حالة الحزن: فالمصاب محتاج إلى تسليته، وتخفيف لوعته، وعدم مؤاخذته على ما يبدر منه لغلبة الحزن عليه، ولذا لم يعاتب النبيُّ ﷺ المرأةَ التي كانت تبكي عند قبر ابنها.

ومن الشواهد أيضا مراعاته ﷺ حالة

جملة نبوية من ست كلمات كتبت فيها عشرات الدراسات .. يا أباعمير ما فعل النغير

الغضب، فمن الغضب ما يُفقد الإنسانُ فيه سيطرتَه على تصرفاته، فالتعامل معه يحتاج إلى حكمة ورَوية، ومجانبة ما يهيجُ الغضب، ولما كان أبومسعود يضربُ غلامه وهو مغضَب، تعامل معه النبي ﷺ بالرفق واللين، مما كان سببا في جعله يكف عن ضربه.

ومنها مراعاتُه حالة المشقة والنَصَب: فاللحظات التي تتلو تعبَ النفس ونصبَها، لحظاتٌ يحتاج فيها العاملُ إلى عبارات تخفف عنه آلامَه وتزيحُ عنه همومُه، ولذا كان ﷺ يستقبل المسافر بعبارات تنسيه وعثاء سفره وتزيل عنه نصبَه، فقد قال لوفد عبد القيس: «مرحباً بالوفد غيرَ خزايا ولا ندامى».

أدب النبي ﷺ مع النساء

أما عن أدبه ﷺ وذوقه الرفيع مع النساء، فلا أبالغ إن قلت: إن زوجات نبينا الكريم ﷺ كنَّ يتمتعنَ بسعادة زوجية تغبطُهن عليها كلُ بنات حواء.

لمَ لا وقد ورد في سنن النسائي حديثُ الحميراء، وفيه تقول عائشةُ رضي الله عنها دخل الحبشة المسجد يلعبون، فقال لي النبي ﷺ: يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟ فقلت نعم، فقام بالباب وجئتُه، فوضعتُ ذقني على عاتقه، فأسندت وجهي إلى خده، فقال رسول الله: حسبُك! فقلت يا رسولَ الله، لا تعجل، فقام لي ثم قال: حسبك. فقلت لا تعجل يا رسول الله، قالت: وما لي حبُّ النظر إليهم ولكني أحببت أن يبلغَ النساءَ مقامَه لي ومكاني منه. وكان يراعي فيهن حالَهن والسنَّ التي كان عليها بعضُهن: فعن عائشة قالت: كنت ألعب بالبنات (وهو ما نسميه اليوم بلُعَب العرائس) فربما دخل علي رسول الله ﷺ وصواحباتي عندي فإذا رأينَ رسول الله ﷺ فررنَ فيقولُ رسول الله ﷺ كما أنت وكما أنتُنَّ. وهذا حديثٌ يفسر لنا أن ما في قلب رسول الله من رحمة هي من كنوز الله الرحيم الكريم، ويفسرُ لنا أنَّ أدبَ النبي إنما هو أدب رباني تتجلى فيه السلوكيات الراقية في الرحمة وفي تقدير ظروف البشر، فوصفها بصفة محببة ومصطفاة (الحميراء)، ثم رعاها حتى حملها على كتفه لتفرحَ بالعيد مثلما راعى مشاعرها حيث تركها تلعبُ بعرائسها إحساساً منه بحاجاتها الصغيرة.

– بل بلغَ من ذوقه الرفيع ﷺ أنه لما تزوج جميعَ زوجاته أسكنهن بجوار المسجد النبوي، ولما تزوج مارية القبطية المصرية وهي آتية من أرض النيل الخضراء على عكس باقي زوجاته اللاتي نشأنَ في البيئة الصحراوية أسكنها في مكان في المدينة يسمى العوالي يتميز بالخضرة الدائمة والزرع.

– وعن أنس رضي الله عنه قال: خرجنا إلى المدينة قادمين من خيبر فرأيت النبي ﷺ يجلس عند بعيره، فيضعُ ركبته وتضع صفية رجلها على ركبتيه حتى تركب» (البخاري) . فالرسول الله ﷺ وضع لصفية فخذه لتركب لكنها أجلَّت رسولَ الله ﷺ أن تضعَ رجلها على فخذه فوضعت ركبتها على فخذه وركبت.

ومن ذوقه الرفيع مع النساء أنه كان للنبي ﷺ حاد يحدو بأمهات المؤمنين ونسائهم يقال له: أنجشة وكان حسنَ الصوت، فقال له النبيُ ﷺ: «رويدَك يا أنجشةُ لا تكسر القوارير». (متفق عليه). قال قتادة: يعني ضعفةَ النساء، قال ابن حجر رحمه الله: والقوارير جمع قارورة وهي الزجاجة سميت بذلك لاستقرار الشراب فيها، كنى عن النساء بالقوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة فشُبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية.

ثم إنه ﷺ ولمراعاته حال النساء وضعفهن أمرَ رجلا أن يدعَ الخروجَ للجهاد ليصحبَ زوجتَه في رحلة الحج، فعن ابن

عباس رضي الله عنهما ما قال: قال رجل: يا رسول الله إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا وامرأتي تريد الحج، فقال رسول الله اخرج معها. (البخاري ومسلم).

أدب النبي ﷺ مع الأطفال

وأما عن علاقته ﷺ بالأطفال فقد جعل لهم من وقته وقتاً لتربيتهم وتعليمهم الأدبَ والذوقَ في كل شيء، بدءا من الطعام والشراب مرورا بآداب المجالس، وهذا الوقت المستقطع منه ﷺ لتأديب الأطفال بحد ذاته كان مكسبا تربوياً عظيما.

ولأن الطفولة لها ميزاتها الخاصة التي تتطلب فهمها بطريقة تتناسب مع هذه المرحلة الخاصة، فقد تناول رسول الله ﷺ كثيرًا من الأمور التي تخص قضاياهم.

فعن أنس رضي الله عنه قال: انتهى إلينا رسول الله ﷺ وأنا غلام في الغلمان، فسلم علينا، ثم أخذ بيدي فأرسلني برسالة وقعد في ظل جدار، أو قال إلى جدار حتى رجعت إليه (أبوداود).

بل إن جملة واحدة قالها ﷺ لطفل صغير ألَّف فيها المربون وأهل الذوق المقالات الكثيرة، وهاك عزيزي القارئ مثالا على ذلك:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسنَ الناس خُلقاً وكان لي أخ، يُقال له أبوعُمير- وهو فطيم- كان إذا جاءنا ﷺ قال: «يا أبا عُمير ما فعل النُّغير»، والنغير: تصغير لكلمة نغر وهو طائر كان يلعب به.(البخاري).

يقول علماء التربية والذوق وغيرُهم:

- تمتعت الجملة التي قالها- عليه الصلاة والسلام- بصفات تربوية عظيمة: فالجملة كانت قصيرة من حيث عدد الكلمات؛ وهي ستّ، وعددُ أحرفها عشرون حرفا، وهي كلمات مناسبة لسن الصغير. والجملة سهلة النطق، وخالية من

الكلمات الصعبة، فمن السهل أن ينطق الصغير بها، يا / أبا/ عُمير/ ما/ فعل/ النُّغير.

والجملة سهلة الحفظ، لوجود السجع، والسجعُ محببٌ لنفس الطفل، ويستجيبُ له استجابةً نفسية يعبر عنها بابتسامة وضحكة.

وهذا مما يدخل السرور في نفس الطفل وأهله، ويعتبر ذلك سلوكا تربويًا، ودعويا حيث تزداد محبة أهل الطفل لرسول الله ﷺ، وأيضا يثمر التفاعل بين الرَّسُول ﷺ والطفل، ولعلَّ من الأمراض النفسية التي تصيب الشباب ما لها أبعاد طفولية، نتيجة حرمانهم العطفَ من والديهم فيصابون بتلك الأمراض كالانطواء، والتوحد، والغيرة، والتبرير، وغيرها.

أرأيت أيها الأخ القارئ؛ جملة نبوية صغيرة مؤلفة من ست كلمات ألف فيها عشرات المقالات.

- ويرى كثير من الأطفال أن الكبار يسلمون على بعضهم البعض، ويتبادلون التحية فيما بينهم، غير أنهم يرون أن بعض الكبار يتجاهلونهم. أما نبينا ﷺ فقد مرَّ يوما على أطفال يلعبون.. فقال لهم: «السلام عليكم يا صبيان». ولأن الطفل لبنة أساسية في بناء المجتمع، فلا ينبغي أن نتجاهله عندما يكون بين عالم الكبار، بل إن إعطاء الولد حقه يشعره بقيمته في الحياة، ويؤهله إلى أن يراعي حقوق الآخرين في المستقبل. فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره أشياخ، فقال: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام: لا، والله لا أوثر بنصيبي منك أحداً، قال: فتله (وضعه) رسول الله ﷺ في يده. (البخاري ومسلم).

وأخيرا فلكمال أدبه وذوقه ﷺ علمنا ما يجب أن يقال، وما لا يجب أن يقال، حيث أوصى ﷺ في مجموعة أحاديث فقال:

لا يقولن أحدكم: زرعت ولكن ليقل: حرثت.

لا يقولن أحدكم: نَسيت آية كيت وكيت فإنه ليس هو نَسي ولكنه نُسِّي.

لا يقولن أحدكم: قبح الله وجهك ولا وجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورته.

لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة فإنه لا مكره له .

لا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر! فإن الله هو الدهر.

لا يقولن أحدكم: الكرم فإن الكرم الرجل المسلم ولكن قولوا حدائق الأعناب.

لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي، ولا يقولن المملوك ربي وربتي، وليقل المالك فتاي وفتاتي وليقل المملوك سيدي وسيدتي، فإنكم المملوكون والرب الله عز وجل.

ومع أن حديث: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» ضعيف إلا أن معناه بغير شك صحيح.

والحديثُ عن شمائله عليه الصلاة والسلام حديثٌ يطول، لا تتسعُ له المجلدات، ولا خطبٌ في سنوات، ولكن الله جلَّ في علاه لخصها بكلمات، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤).

الحنكة النبوية في علاج كبوات النفس البشرية

د.خالد النجار

علم إدارة الذات يتميز برعايته للفرد والمجتمع، وتحقيق التوازن في المصالح والعلاقات، بما يؤدي إلى إيجاد المجتمع الفاعل، المتماسك، المتكافل، وإقامة ذلك على تصور محكم وشامل للإنسان، والكون، والحياة..إنه علم في غاية الأهمية من جهة علاج الواقع الذي نعيش فيه، فإننا في حال هزيمة على المستوى الفردي والمستوى الجماعي، والعودة بالنفس والمجتمع من حال الهزيمة إلى حال الانتصار تحتاج إلى مزيد الاهتمام بهذا العلم، وتقديمه للكبير والصغير في صورة مبسطة وسهلة، وفق عقيدة إسلامية سليمة، وبعيدا عن التعقيدات الفلسفية والشطحات الفكرية.

ورغم أن لعلماء الغرب جهودًا واضحة في هذا العلم، فإنه يعاب عليهم تلك المادية المفرطة في تناول جزئياته، والتي تدور دوما حول تكوين الرجل الجبار الذي يقهر الأقدار، وعلى تسلسل الأحداث وفق مقدمات ونتائج حتمية أشبه بالمعادلات الرياضية الصماء، حتى غابت الحقيقة التي لا ريب فيها من أن أساس النجاح في أي عمل يرجع إلى توفيق الله سبحانه وتعالى.

أما علماؤنا المسلمون فلهم القدر الأعلى والحظ الأوفر في خدمة هذا العلم الشريف، لكن في أجواء روحانية سامية، ولمسات إيمانية راقية، وتناغم مع الفطرة البشرية بما فيها من قوة في مجالات وضعف في مجالات أخرى، وبما فيها من إقدام وإحجام، وحزن وفرح، وعلم في أمور وجهل بأمور أخرى.. بما فيها من تناقضات، وإيجابيات وسلبيات.

ويرجع السبب الأعظم في هذا التميز الإسلامي، وهذا المذاق الخاص عند علمائنا الأخيار، إلى النهل من النبع الكريم، نبع القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، والاسترشاد بالسنة النبوية المطهرة التي نزلت على أطهر قلب، قلب الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

ولا ريب أن الاغتراف من معين الكتاب الكريم وأقوال رسولنا الأمين لهما أبعد الأثر في الوقوف الحقيقي على طبيعة النفس

البشرية ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤) وكيفية التعامل معها، فضلا عن النظرة الشمولية لحياة الفرد، بداية من أخذ الله الميثاق عليه في الأزل ثم وجوده على الأرض في الحياة الدنيوية، ثم ما يتبعها من حياة برزخية، وأحداث يوم القيامة، ثم دار القرار جنة الخلد أو النار أعاذنا منها الكريم الجبار.. ولاشك أن هذه النظرة الشمولية تختلف كثيرا عن النظرة القاصرة لحياة الإنسان الدنيوية فقط، والتي تكرس المادية المفرطة، والدوران في فلك اللذات والشهوات دون رقيب أو حسيب.

هذا التناغم بين المصادر الإلهية والتجارب الحياتية في إطار سلامة المعتقد وشمولية النظرة للكون والحياة، جعل من علم إدارة الذات رائعة من روائع الحضارة الإسلامية لا تجد لها مثيلا في الأمم الأخرى، حتى صار هذا العلم فنًا إسلاميًا باقتدار، ويكفي أن تتابع كتابات الأفذاذ من أمثال ابن القيم وابن الجوزي وابن حبان.. وغيرهم من المتأخرين، فضلا عن كتابات مشايخنا المعاصرين حتى تدرك هذه اللمسات الإيمانية الفريدة التي تدلل على براعة علمائنا.. ومن ذاق عرف.

أيضا مما يمتاز به علم إدارة الذات الإسلامي التطرق إلى أمور تغيب تماما عن الفكر الغربي المادي، رغم شدة حاجة كل ذي فطرة سوية إليها، ومنها: عقيدة القضاء والقدر، وقيم الصبر على أقدار الله، والرضا بالقسم الرباني، وأمراض القلوب من غل وحقد وحسد... وغيرها، والهوى والشيطان وكيف يستعيذ منهما الإنسان، وإستراتيجية العمل لما ينفع بعد الموت، وقيم الصدقة الجارية، وفقه من تجاوزت أعمالهم أعمارهم.. وغيرها الكثير، ودور الإيمان بالغيبيات في إيجابية حياة الفرد في الدنيا والآخرة، علما بأن قيم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الأخر كلها قيم دافعة لصلاح الذات.. وهذا غيض من فيض، فالمقام لا يسمح باستقصاء كل مميزات علم إدارة الذات الإسلامي، لكن لا يغيب على كل فطن أهمية هذه المميزات في حياة الإنسان، وفي تفاعله المثمر مع خالقه وبارئه، بل مع الكون كله.

إن الإيمان الحق بالله سبحانه وتعالى، أي الإيمان الراسخ في القلب رسوخ الجبال الشامخات، والذي يصدقه العمل الصالح،

وليس الإيمان الذي يردده اللسان فقط- هذا الإيمان يجعل الإنسان المؤمن قويًا في إرادته، لا تعجزه ولا توقفه العقبات والمشاكل التي تعترض طريقه في الحياة، بل ينظر إليها ويضعها في حجمها الطبيعي، ويوقن أنه سيتغلب عليها أو يتأقلم معها طالما التزم التوكل على الله سبحانه حق التوكل، وهذا التوكل- وليس التواكل- هو الدافع الحقيقي للفرد المؤمن نحو الشجاعة والإقدام واقتحام المشاكل وعدم التسويف الذي يورث في النفس الخوف من المجهول، والخوف من المستقبل.

إن التوكل على الله تعالى يولد الثقة بالنفس، والثقة بالقدرات الهائلة التي وضعها الله سبحانه فينا... فلا مجال إذن إلّا للإرادة القوية المقرونة بالتوكل الحق على الله سبحانه خالق ومالك كل شيء، وأن تنطلق هذه الإرادة من يقين راسخ بأن الله سبحانه هو المتصرف في ملكه، وهو القادر عليه، وهو المعطي والمانع، وهو الرافع والخافض.. قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٢٦ - ٢٧).

من هذا المنطلق نستطيع أن نقول إن النبي ﷺ كان رائد علم إدارة الذات باقتدار، وتنوعت مهاراته- بأبي هو وأمي- في معالجة كبوات النفس البشرية تنوعا يناسب طبيعة الكبوة، سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي.

فعن أبي أمامة قال: أتى رسول الله ﷺ غلام شاب، فقال: يا رسول الله أئذن لي في الزنا. فصاح به الناس، وقالوا: مه. فقال النبي ﷺ: «ذروه، ادن» فدنا حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال: «أتحبه لأمك؟» قال: لا. قال: «فكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتحبه لابنتك؟» قال: لا. قال: «وكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم. أتحبه لأختك؟» قال: لا. قال: «فكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم. أتحبه لعمتك؟ قال: لا. قال: «فكذلك الناس

التناغم بين المصادر الإلهية والتجارب الحياتية مع سلامة المعتقد جعل علم إدارة الذات في مقدمة روائع الحضارة الإسلامية

لا يحبونه لعماتهم. أتحبه لخالتك؟» قال: لا. قال: «وكذلك الناس لا يحبونه لخالاتهم، فاكره لهم ما تكره لنفسك، وأحب لهم ما تحب لنفسك». فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يطهر قلبي. فوضع النبي ﷺ يده على صدره، فقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه». قال: فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء. (الطبراني).

وهنا تكمن براعة المصطفى ﷺ في التعامل بفردية بحتة مع هذه القضية الفردية، ذاك أنها مشكلة تخص هذا الشخص وحده، ولا تخص غيره، حيث لا يختلف عاقلان على قبح الزنا وبشاعته، ولكنها حالة خاصة من تشوش الفكرة وانقلاب الفطرة، فكانت السياسة النبوية قائمة على الإقناع أكثر منها بالمواجهة لحكم الله تعالى في هذا الأمر، ذاك لأن العقول لو تفهمت مراد الله عز وجل لسهل عليها الانقياد لشرعه والإذعان لحكمة.

لم نجد النبي ﷺ يسرد على الفتى آيات القرآن الكريم التي قبحت الزنا وتوعدت فاعله، بل إنه عليه الصلاة والسلام قابل تشوش الفكرة بعين الحكمة والإقناع، ثم بجميل الدعاء، مما سهل عليها الانصياع لحكم الله الذي لا يجهله مسلم.

لكن في موقف آخر نجد أن الطريقة النبوية تختلف تماما في تناول معالجتها، ذلك لأنها قضية عامة تمس الأمة قاطبة لا فردا بعينه، فكان لابد من الجهار والاستنكار دون تجريح أو تفضيح.

فعن أبي حميد الساعدي قال: استعمل النبي ﷺ رجلًا من الأزد- يقال له ابن اللتبية- على الصدقة، فلما قدم، قال: هذا لكم وهذا أهدي إليّ!! قال: فقام رسول الله على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هديةٌ أهديت لي! أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا، والله لا يأخذ أحدٌ منكم شيئًا بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاءٌ أو بقرةً لها خوار أو شاة تيعر، ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطيه، يقول: اللهم هل بلغت» (الجمع بين الصحيحين: ٧٥٦).

ولما كانت النصيحة على الملأ فضيحة نجد الأدب النبوي أعرض عن ذكر اسم الرجل على المنبر، فالتشهير بذوات الناس لا يحقق المراد ويوغر الصدور، ولكن المقصود أن يعلم القاصي والداني عاقبة الرشوة، لأنها ثمرة فساد الأمم، حيث تستجلب بها الرغبات بغير حق، فيتحول المجتمع إلى غابة موحشة، الحق كله فيها للغني دون الفقير، وهذا نذير شؤم وعاقبة هلاك.

لذلك قال شراح الحديث:

- وفيه أنَّ مَن رأى متأوِّلًا أخطأ في تأويلٍ يَضرُّ مَن أخَذ به، أن يُشهر القول للناس، ويُبيِّن خطأه؛ ليحذَّر من الاغترار به.

- وفيه جواز توبيخ المخطئ وجواز تقريعه تقريعا يتوجَّع منه كلُّ ذي شعور، ويستحقه مثل هذا العامل الذي أراد أن يَخدع نفسه، ويخدع الناس، ويُفتيهم بحلِّ ما أخَذ من المُزكِّين بدعوى أنه هَديَّة.

إننا في أشد الحاجة لتلمس تلك الحنكة النبوية في تعاملها مع الأحداث، وأن نقدمها لشبابنا وبناتنا خاصة، لتتسع نظرتهم للحياة، ولتحسن إدارة ذواتهم في رحلة الحياة بما يضمن لهم الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، نريد أن نسترشد بهدي سيد المرسلين لنخرج من متعة اللحظة إلى آفاق المتعة الرحبة في الدنيا والآخرة، وندير حياتنا بشكل نموذجي نشكر في السراء ونصبر على الضراء، ونرضى بقضاء الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

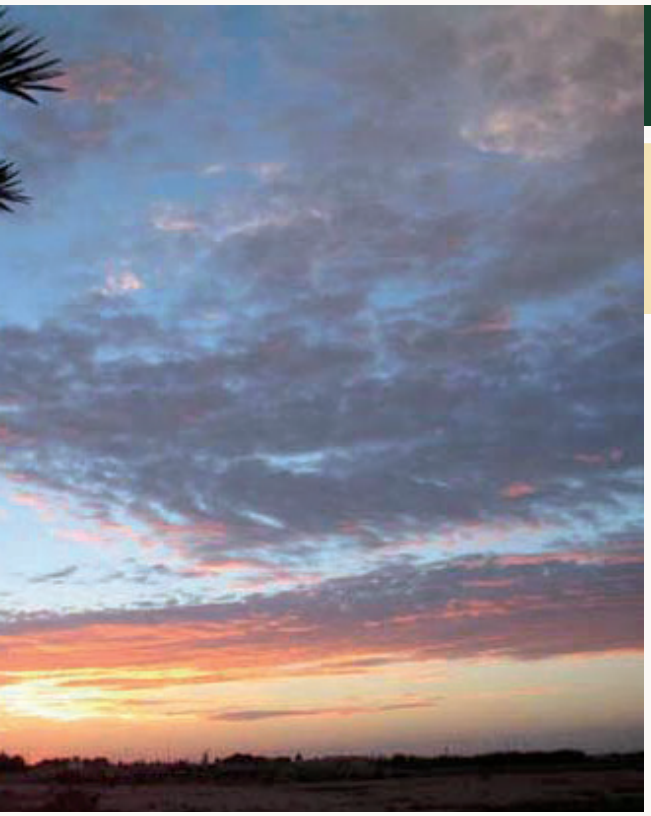

ميلاد جديد للإنسان والمكان والزمان

لمحات إيمانية من مولد المصطفى

د. وصفي عاشور أبو زيد

الاحتفال بمولد النبي ﷺ له خصوصية، وله مذاق خاص؛ وذلك لما يمثله النبي ﷺ للمسلمين من قيمة ثابتة، ومكانة كبرى؛ إذ كان السبب في هداية البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور، ولما تعرض ويتعرض له النبي ﷺ من حملات غربية ظالمة جائرة، هيجت مشاعر المسلمين ووحدت صفهم وجددت الإيمان به عندهم وزادت حبه ﷺ في قلوبهم. وبقدر ما تُظهر أحداث الإساءة للنبي ﷺ من جوانب سلبية عند المسلمين فقد كان لها آثار إيجابية عديدة ومتنوعة.

ومن المعتاد في الاحتفال بمولد النبي ﷺ أن يتكلم الدعاة والخطباء عن محاسن هذا النبي، وعن مكانه ومكانته عند الله، وعن أخلاقه وسيرته العطرة، وربما كان الحديث عن مكانته ومحاسنه أكبر مساحة من الحديث عن أخلاقه وشمائله وإبراز مواضع القدوة وجوانب الأسوة في حياة هذا النبي العظيم.

بيد أن هناك جانبا من الأهمية بمكان يمكن أن نلمحه وسط هذه المحفلة الإسلامية الكبرى التي تعم أرجاء العالم الإسلامي بهذا النبي الكريم، وهو الجانب الإيماني الذي يجدد الإيمان به والحب له ﷺ.

والجانب الإيماني ليس مقصورا على ما ينعكس على القلب وينمي فيه الحب له والإيمان به فقط، بل يتخطى ذلك ليشمل تجديد السلوك والقيم الإنسانية والأخلاق العظيمة التي هي ثمرة لهذه القيم وتلك الأخلاق.

تجديد الإيمان به

ومن أهم اللمحات الإيمانية التي يمكن أن يلمسها المسلم في الاحتفال بمولد النبي الكريم أنه يجدد الإيمان به، ويجدد البيعة له أن يظل على العهد معه والاتباع له والاقتداء به والعمل بما جاء به وتبليغ رسالته في العالمين، وهو يستشعر .

ابتداء . خطورة هذا الحكم الذي رواه مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» (١).

هذا الحكم يدع القلب وجلا مذعورا، ويتركه مدعوًّا لمراجعة حقيقة إيمانه في هذه المناسبة، ويحمله على تجديد هذا الأمر، واستكمال مكملاته وتحسيناته؛ لأنه يعتبر شطر الإيمان.

تجديد وزيادة الحب له

ومن الملامح المهمة في هذه المناسبة أن الحب له يزداد رصيده في قلوب المؤمنين؛ ذلك أن بعض العلماء والدعاة والمسلمين الواعين يقضون هذه المناسبة في قراءة سيرته والحديث عنها والاستماع لها مستعرضا ما حدث في الفترة المكية وما لاقاه النبي هناك حتى سالت منه الدماء، ثم إخراجه من أحب البلاد إلى قلبه التي ودعها في مشهد حزين يبعث على الإشفاق والحزن، وما كابده ﷺ في هجرته إلى المدينة، ثم ما جاهد وكابد في مواقعه ومعاركه المختلفة التي بلغ فيها الجهد منه منتهاه.

كل هذا من أجل من؟ لاشك أن الإجابة واضحة كالشمس، وهي من أجل أمته التي حرص على هدايتها وإنقاذها من النار، وإخراجها من الظلمات إلى

باحث بالمركز العالمي للوسطية

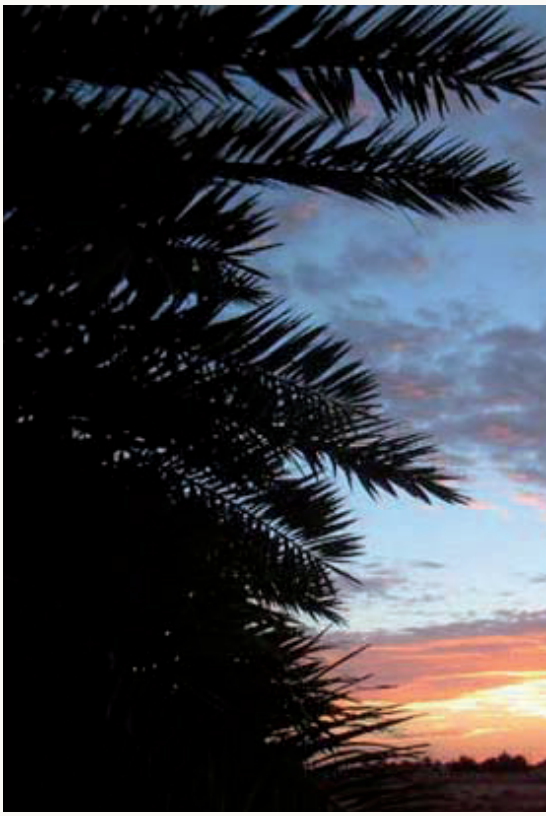

الغزالي : ما أرخص الحب إذا كان كلامًا وأغلاه عندما يكون قدوة وذمامًا

النور: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ . يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٥-١٦).

ماذا يكون شعورنا نحو من يعز علينا تعبُنا وعنتُنا، ودائما حريص علينا، رءوف رحيم بنا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨).

ماذا نستشعر تجاه من لا هم له إلا نحن، حتى في الآخرة يوم العرض ويوم الاستشفاع، يوم ينشغل كل نبي بنفسه حيث يذهب الناس إلى الأنبياء فيقولون: «نفسي نفسي»، ثم يأتي الناس إليه فيقوم ويقول: «أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله ثم أخر له ساجدا فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: رب أمتي أمتي، فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل» (٢).

في هذا اليوم الذي ينشغل فيه خيرة خلق الله بأنفسهم يجرد هو نفسه تماما من الانشغال بها، ويوجه كل همه إلى أمته وأحبابه وأتباعه، وليس هذا بالطبع انتقاصا من مكانة الأنبياء، بل إبراز لقيمة هذا النبي الكريم، وبيان منزلة أمته منه، وحبه لها، وخوفه عليها عليه الصلاة والسلام.

أيُّ حبٍّ يُسكب في نفوس أمته وهي تطالع سيرته الشريفة التي جَهدَ فيها من أجلنا، وإلى كم يبلغ مقدار هذا الحب وهم يسمعون عن يوم الفزع الأكبر، وكل هم النبي ﷺ ألا يبقى واحد من أمته في النار؟!

ولذلك لم يكن مستغربا ولا مستبعدا أن يُنفى الإيمان عمن لا يقدم حب النبي ﷺ على حب نفسه وولده والناس جميعا. فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» (٣).

ميلاد جديد للإنسان

ومع ميلاد النبي ﷺ نلمح ميلادا جديدا للإنسان . مطلق الإنسان . وهو ملمح يرتبط بالقيمة، حينما رفع الإسلام مكانته، وشرَّفه الله وكرمه وكلفه، وخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في الكون جميعا.

حين جعل له حرمة، وجعل له ذمة، وحرره من العبودية لغير الله، وحرم الرق والظلم والقهر، وأن يسام الخسف، فحقق فيه معاني الإنسانية العظيمة.

فحل العدل محل الظلم، والنور محل الظلام، والهداية محل الضلالة، والوحدة محل الفرقة، والبناء محل الهدم، والحرية محل الرق والعبودية، والتسامح محل العصبية، والانتصار للمبدأ والحق محل الانتصار لفرد أو قبيلة.

ومن هنا نقول إن بعث النبي . عليه الصلاة والسلام . بهذه الرسالة العظيمة كان بمثابة ميلاد جديد لبني الإنسان، مطلق الإنسان، الذي يعتبر تكريمه والإعلاء من شأنه وقيمته لا ينقصه الوضوح والبروز في الإسلام وشريعته.

ميلاد جديد للمكان

ومع ميلاد النبي ﷺ يولد المكان الذي وطئته قدماه الشريفتان ميلادا جديدا، فمكة والمدينة ليستا كأي بلاد على وجه الأرض لأنهما بلدتان عاش فيهما ومشى عليهما خير خلق الله، فلا غرابة أن يكون لهما خصوصية ومكانة في قلوب المسلمين، ولهما علاقة وجدانية تجعل القلوب تهوي إليهما شوقا وحبا وتحنانا.

فالمكان بذاته لا ميزة له إلا بمن يمشي

فيه، ولا شرف له إلا بالقيم المحمودة الموجودة فيه والتي تدب عليه، ولولا ذلك لم يكن للحبشة في التاريخ هذا الشأن، إذ دلهم الرسول ﷺ على الهجرة إليها، لأن هناك قيمة عظيمة، بينها النبي ﷺ عندما قال للمسلمين: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحدٌ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا» (٤).

وبهذه القيم كان ميلاد جديد لأرض الحبشة خلدها في التاريخ، وشرفها بذكر النبي لها وهجرة المسلمين إليها لما تتمتع به هذه البقعة من قيم العدل والصدق والحرية.

ميلاد جديد للزمان

ومع ميلاد النبي ﷺ نلمح ملمحا قيميًّا آخر، وهو ميلاد جديد للزمان، إذ شَرُف شهر ميلاده بميلاده ﷺ والزمان المجرد لا شرف له ولا ميزة تميزه عن غيره إلا لما احتضنه هذا الزمان واحتواه من أحداث كبار غيرت وجه التاريخ، فشهر رمضان لم تكن له قيمة حتى نزل فيه القرآن: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥). وكذلك ليلة القدر: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١).

ولا أعظم في الأحداث على الإطلاق من ميلاد المصطفى الذي غير وجه البشرية، وقاد البشرية من قيم الجهالة والضلالة والغواية، إلى قيم العلم والنور والهداية، ومن هنا كانت قيمة الزمن في الأحداث التي تلت ذلك الحدث، حيث الهجرة والغزوات والمعارك التي خاضها النبي ﷺ، وبالتالي فإن ميلاده مثّل ميلادا جديدا للزمان الذي ولد فيه، وشرفه وكرمه، وجعل له ميزة ليست لباقي الأزمان.

وأخيرا أريد أن أقرر أنه من الظلم لنبينا ـ صلوات الله عليه ـ أن نجعل الاحتفال به ـ وقد تحقق فيه كل هذه المعاني الإيمانية والقيمية ـ مقصورا على يوم من الأيام أو شهرا من الشهور.

إن سيرته يجب أن تكون حية بيننا، ليتجدد إيماننا به دائما، ويزداد حبنا له أبدا، ونستشعر الميلاد الجديد للإنسان والمكان والزمان، ونتمثل أخلاقه التي لابد أن تكون موضع القدوة والأسوة، وما أكثر جوانب القدوة ومواطن الأسوة في حياة هذا النبي العظيم، لتستقيم حياتنا الفردية والأسرية والعالمية؛ حيث بلغ ـ عليه السلام ـ في كل جانب مداه وأدرك منتهاه.

ويحسن بي أن أختم هذه اللمحات بكلمة لداعيتنا الكبير الشيخ محمد الغزالي إذ يقول ـ يرحمه الله ـ في كتابه الماتع «فقه السيرة» (٥): «إن المسلم الذي لا يعيش الرسول في ضميره، ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره، لا يغني عنه أبدا أن يحرك لسانه بألف صلاة في اليوم والليلة... ألا ما أرخص الحب إذا كان كلاما، وأغلاه عندما يكون قدوة وذماما».

الهوامش

١- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته.
٢- رواه مسلم بسنده عن أنس، كتاب الإيمان. باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.
٣ - رواه مسلم، كتاب الإيمان. باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة.
٤ - سيرة ابن هشام، ١٦٤/٢. دار الجيل. بيروت. ط أولى. ١٤١١هـ.
٥ - فقه السيرة، محمد الغزالي، ٩، ١٢. دار الدعوة. بتخريج الشيخ الألباني. ط. ثانية.

خطبة مؤثرة

د.محمد حسان الطيان

ما قرأت خطبة الرسول ﷺ في الأنصار مرة أو سمعتها في مناسبة إلا رأيتني أشارك الأنصار بكاهم، إذ لا يملك الإنسان نفسه أمام هذا المشهد المؤثر، والإنصاف الموضوعي، والبيان المتدفق، إلا أن تتحرك محاجر عينيه.

وكي يكون القارئ على ذكر منها لابد أولا من إيرادها كاملة، وإردافها بما عنّ لي من تعليق عليها:

قال ﷺ يخاطب الأنصار بعدما بلغه من وجدهم لعدم إصابتهم من فيء حنين:

يا معشر الأنصار، ما قالةٌ بلغتني عنكم، وجِدَةٌ (١) وجدتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله، وعالة (٢) فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم!

قالوا: بلى، الله ورسوله أمنُّ وأفضل.

ثم قال: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار، قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟، لله ولرسوله المنُّ والفضلُ، قال رسول الله ﷺ:

أما والله لو شئتم لقلتم ولصُدِّقْتُم: أتيتنا مكذَّبا فصدَّقناك، ومخذولا(٣) فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلا فآسيناك (٤)، أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم من لُعاعَة (٥) من الدنيا تألّفت بها قومًا ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟

ألا ترضون يا معشر الأنصار أن

منسق مقررات اللغة العربية بالجامعة العربية المفتوحة
عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق

يذهب الناس بالشاء (٦) والبعير وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم!

فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلكت الناس شِعْبا (٧) وسلكت الأنصار شِعْبا لسلكت شِعْب الأنصار.

اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

قال: فبكى القوم حتى أخضلوا (٨) لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قَسْما وحظًّا (٩).

التعليق:

جمعت هذه الخطبة البينة من فنون القول المؤثر ما لا ينقضي منه العجب، وقد بدا فيها مقدار محبة رسول الله ﷺ لأنصاره، وحرصه عليهم، وإيثارهم، واختيارهم، ودعائه لهم.

كيف لا وقد بدأ الرسول ﷺ بعتاب رقيق لما بلغه عنهم من سخطهم وغضبهم لإيثاره بالغنائم أقوامًا عليهم، مذكرًا إياهم بفضل الإسلام عليهم هدايةً وغنىً وتأليفًا بين القلوب.

ثم أردفه بذكر فضل الأنصار ومالهم من التصديق والنصرة والإيواء والمواساة التي يحق لمثلهم بها أن يمَّن ويتفضل، ولكنه يتبع ذلك بكلمة لا يمكن أن تدع في قلب واحد منهم موضعًا لسخط أو غضب أو عتب: ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء (١٠) والبعير وترجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالكم! هل يمكن لعاقل بعدها أن تتحرك نفسه بغير البكاء والرضا والقبول؟!

ثم يؤكد ذلك بحبه للأنصار وإيثاره العيش بينهم وسلوك واديهم، ليختم بأجمل دعاء وأرجاه وأحلاه: اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

والحق أن كل ما في هذه الخطبة بليغ فصيح، بل هو في الغاية من البيان والفصاحة والجمال، بدءًا من مفرداتها، ومرورًا بتراكيبها، وانتهاء بضروب الحسنات فيها.

ولعل أول ما يلفت نظر القارئ المتذوق هذه المفردات الدقيقة الموحية التي اختيرت بعناية بالغة لتناسب المقام، من نحو: جِدة.. عالة..واسيناك..لُعاعة...

ثم إنها صيغت بجمل قصيرة يغلب عليها الأسلوب الإنشائي الاستفهامي، فغدت أقرب للقلوب وأرجى للقبول، بل هي لامست شغاف القلوب بما اشتملت عليه من حجة وإقناع وتذكير وتحبب وموازنة.

وقد تخللتها محسنات بديعية زادتها بهاءً وجمالًا، أهمها الطباق الذي تبدى في كثير من مقاطعها: الضلالة والهدى، التكذيب والتصديق، الشعار والدثار... والسجع في مثل قوله: فصدقناك، ونصرناك، وآويناك، وواسيناك... والجناس الناقص في جِدة وجدتموها...

وما أحسن ما عبَّر به الأستاذ الدكتور محمد رجب بيومي بعد إيراده هذه الخطبة في كتابه البيان النبوي، حيث قال: «هذه الكلمات المنصفة قد نزلت على القلوب نزول الغيث الدافق على المحل الظامئ، فأخضبت الجديب، وأنعشت الذاوي، بل إن تيارها القوي قد دفع بالدمع إلى العيون، ففاضت المحاجر ندمًا واستسلامًا، ولا أجد أروع ولا أبدع من براعة المقابلة المذهلة ين رجوع المهاجرين بالشاء والبعير، ورجوع الأنصار برسول الله ﷺ .. وهي إحدى وثبات العبقرية في خطابة الرسول ﷺ.. وكم لها من أمثال» (١١).

الهوامش

(١) الجِدة: الغضب، من وجد عليه في الغضب يجُد ويجِد وجْدًا وجِدة وموجِدَةً ووِجْدانًا: غضب.
(٢) جمع عائل أي فقير.
(٣) هو من تُركت نصرته وإعانته.
(٤) آسى مواساةً الرجل في ماله أي جعله أسوته فيه، والمواساة المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق.
(٥) اللعاعة: البقية اليسيرة من كل شيء.
(٦) جمع شاة.
(٧) هو الطريق في الجبل، جمعه شعاب.
(٨) خَضَّل وأخضل الشيء: نَدَّاه وبلَّه.
(٩) أخرجه أحمد ٣/٦٧ (١١٦٥٩) عن أبي سعيد الخدري بسند حسن، وهو في مختارات من أدب العرب لأبي الحسن الندوي ١/ ٣٢-٣٣.
(١٠) جمع شاة.
(١١) البيان النبوي ص٨٩.

الرسول الأعظم ﷺ قدوتنا في التحاور

د.مصطفى عطية جمعة

عند النظر إلى منهج الحوار في السيرة النبوية وأشكاله وقضاياه ندرك كيف كان الحوار هو الأساس الذي اعتمده الرسول ﷺ في الدعوة ونشر أحكام الإسلام وتعميقه في الأفئدة، وفي صناعة القرار وتشكيله مع صحابته الأبرار، وفي طريقة تنفيذ القرار، وهنا لا ندرس الحوار بوصفه حوارًا صادرًا عن عالم أو أديب، وإنما صادر عن رسول مرسل من الله جلّ وعلا، تهيأ في شخصيته كثير من العوامل المميزة التي جعلته يتبوأ مكانة سامية شهد له بها الكافر قبل المسلم، الحكيم قبل البسيط، المرأة والرجل والطفل، هذه المميزات في شخصية الرسول ﷺ جعلت حواراته تتسم بالصدق والبلاغة والحكمة والهدى، ولا يمكن أن نجمل هذه المميزات إلا أننا نذكر منها ما يلي :

باحث أكاديمي

لقد كانت شخصية الرسول ﷺ شديدة التميز على المستوى الإنساني والعقلي والقيادي ثم تمت المنة الكبرى بالرسالة الإلهية المنزلة، وهذا ما يؤكده الشيخ محمد أبوزهرة في وصفه لشخصية الرسول بقوله: «لم يتوافر العقل في إنسان كما توافر في محمد بن عبدالله، ولو لم ينزل عليه الوحي، ويُخاطب من السماء، لكان عقله وحده كافيًا لأن ينشئ دولة، ويقيم مجتمعًا طيبًا فاضلاً، ولكن أتم الله عليه نعمته فجعله نبيًا مرسلاً، فاجتمع له الكسب الذاتي بالإدراك بالفطرة الإنسانية العالية المكتملة، بالتكوين الإنساني، والرسالة الإلهية الهادية المرشدة، وما كانت إحداها لتغني عن الأخرى»(١).

فالسمات السابقة تجلي كيف كان الرسول متميزًا إنسانًا وقائدًا وبليغًا قبل الدعوة، وهذا من إعداد الله تعالى له، حتى يكون أهلاً لحمل الرسالة، وهو ما يؤهله لقيادة العرب بالحكمة، وتكوين مجتمع فاضل معهم، ولكنه مجتمع إنساني فحسب، أما وقد نال منة الله بالهداية والقرآن، فقد جمع ما بين القوة الإنسانية، والإرشاد الرباني.

ويرى البعض أن الرسول محمد ﷺ لم يكن متميزًا وسط قومه في مكة بشيء ذي بال في عرف العرب في الجاهلية، «فلم يكن بالشاعر الذي يرنن أوتار القلوب ولا بالخطيب الذي اختلب أهواء النفوس، ولا بالعالم الذي يستهوي شهوات العقول، ولا بالفارس الذي يلجأ إليه في حماية الحوزة في حرب، فلم يُعرف بشيء مما كان العرب يعولون عليه في منازعاتهم ومكاثراتهم ومماتناتهم (مبارياتهم) ومنافراتهم (٢)، ولكن الميزة التي تميز بها عن جيله ميله الواضح إلى السكينة والوقار والتفكير كلما تقدمت به السن، وهي مظهر لما استتر في نفسيته من نزوع إلى أفق الروح، والاتصال بعالم الملأ الأعلى، وما لازمت هذه الصفة نفسًا بشرية إلا وجهتها هذا التوجيه الروحي على قدر ما فيه من قوة (٣).

ربما يكون الرأي السابق مقبولاً

ميل النبي ﷺ إلى السكينة ميزه عن أبناء جيله .. ودلل على ما في نفسه من نزوع إلى أفق الروح والاتصال بالملأ الأعلى

بشكل أولي، ولكن هناك مجموعة كبيرة من المؤشرات في شخصية الرسول ﷺ الدالة على أنه متميز في أعماقه، ثم جاءت البعثة والتكليف الإلهي لتظهر هذه المواهب، ومن هذه المؤشرات تصرفه الحكيم في حادثة وضع الحجر الأسود في الجاهلية، فلما تهدم البيت الحرام بفعل سيل شديد، واجتمع أهل مكة على بناء الكعبة بنفقة ليس فيها مهر بغي ولا بيع ربا حتى تم البناء ثماني عشرة ذراعًا، اختلف أشراف قريش عندما أرادوا وضع الحجر الأسود، فيمن يضعه، وتنافسوا في ذلك ورفعوا السيوف ودام الخصام أربع ليال، وكان أسن رجل في قريش إذ ذاك أبوأمية بن المغيرة المخزومي، عم خالد بن الوليد، جاء فقال لهم: يا قوم لا تختلفوا وحكّموا بينكم من ترضون بحكمه، فقالوا نكل الأمر لأول داخل، فكان هذا الداخل هو محمد بن عبدالله، فاطمأن الجميع له، لما يعهدون فيه من الأمانة وصدق الحديث فلما أخبروه بالخبر بسط رداءه، وقال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم وضع فيه الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا إلى موضعه أخذه ووضعه فيه (٤).

فهذا الموقف يشير إلى المكانة الطيبة التي احتلها الرسول ﷺ في الجاهلية، وهي ليست بمكانة زعيم قبيلة ولا خطيب ولا شاعر وإنما هي مكانة أخلاقية، فهو الصادق الأمين، ومكانة عقلية، فقد كانوا يحتكمون إليه في أمورهم، ومكانة نسبه الطيب في القبيلة، وقد جاء تصرفه في حل هذه المشكلة ليضع حدًا لفتنة بين بطون مكة، كان يمكن أن تكون نارًا تحرق أبناءها وتفنيهم، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإنه من المنطقي أن يكون الرسول غير ذي زعامة ومنصب في هذا المجتمع، حتى لا يكون منغمسًا في حياتهم بمثالبها ومآخذها، حتى إذا جاءته البعثة من الله تعالى، ظهرت المعجزة الربانية في شخصه الكريم، فهو ليس بشاعر فيُتَهم بتأليفه آيات القرآن، وهو أمي ولم يطلع على كتب الأمم السابقة حتى يوردها فيما يقول قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ (العنكبوت: ٤٨)، وصدق الله تعالى وهو يقول عن المبعوث رحمة للعالمين مبرئًا إياه من الاطلاع على الكتب السابقة، فقد تلقى العلم كاملاً من الله تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون. قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾(الاعراف: ١٥٧-١٥٨).

وقد جاء في تفسير الآيتين الكريمتين تفرد الرسول بهذه الصفة «لِأَنَّهُ لَا يُعْلِم للَّه رَسُول وُصِفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ- أَعْنِي الْأُمِّيَّ- غَيْر نَبِيِّنَا مُحَمَّد ﷺ»(٥).

وهو ﷺ صادق أمين لا يتوقع منه الكذب ولا الاحتيال، وليس بخطيب معروف لأنه غير مشارك في الجاهلية وتجمعاتها بما فيها من ملذات ومنهيات، وليس زعيم قبيلة أو بطن لأن الزعامة تأتي لشخص يتم التوافق عليه من رجال قبيلته أو بطنه، وهذا يعني أنه يوافقهم في معتقداتهم ويقر أخلاقهم وإن ساءت، وهذا لم يحدث من شخص الرسول الذي كان يُدين معتقداتهم وأصنامهم التي لا تنفع ولا

تضر، ولا يشرب الخمر ولا يعرف طريق الغانيات ﷺ، فابتعاثه كان عنوانًا على الإعجاز الإلهي في ظهور مواهبه الخاصة، الأدبية والحوارية، وقدرته على الإقناع، وكونه نموذجًا في الخلق والهدي الكريم، وعنوانًا لزعامة وقيادة نبوية تخالف ما درج عليه الناس من زعامات قبلية، أساسها التعصب القبلي والثروة والجاه.

«وقد دون من شمائله أنه كان متواضعًا، هينا لينا، يلقى أصحابه هاشًا باشًا لا يترفع عنهم بل يؤثرهم على نفسه، ولا يسمح لهم بتعظيمه ولا تقبيل يده» (٦)وهذه الصفات لا تجتمع لزعيم قبيلة جاهلية ولا لشريف من أشرافهم، فهي صفات الخلق المتكامل، والنبوة الصادقة.

وفور عقل الرسول

لم يكن الرسول ﷺ فيلسوفًا ولا أديبًا، ولا مؤلفا، إنه صانع أمة، ومكون شعب، ونبي مرسل، يحمل ما تنوء الجبال بحمله، وهو رسالة القرآن، فلا يمكن أن نتعامل مع الرسول- في حواریاته- بكونه مفكرًا أو فيلسوفًا، وإنما نتعامل معه بوصفه نبيًا مرسلًا، مربيًا أمة كانت خير أمة أخرجت للناس، وهذا ما يفارق به الرسول ﷺ الفلاسفة والمفكرين وقادة الشعوب، فالعقل الإنساني يضل ويصيب، مهما توافرت له المعلومات والقيم، أما لو تسلح بالهداية الإلهية، فلا مجال للخطأ ولا سبيل للزيغ، «إنما العقل يدبر ما يحيط به وهو من غير هداية الوحي لا يفكر إلا فيما بين يديه، ولا يخترق الحجب والأستار إلى ما وراء ما لديه، فلابد من علم الله يمده بعلم القابل وهو عالم الغيب والشهادة» (٧).

وقد فطن الفقهاء القدامى إلى تميز شخصية النبي ﷺ، كما أوجزه القاضي عياض في نعته للرسول: «أما وفور عقله وذكاء لبه، وقوة حواسه، وفصاحة لسانه، واعتدال حركاته، وحسن شمائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم، وسياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره...» (٨)، فمثل هذه

لم يكن الرسول ﷺ فيلسوفا ولا أديبًا ولا مؤلفًا ... إنه صانع أمة ومربٍ للرجال

الشمائل لا تتوافر لشخص عادي، وإنما لشخص مميز ملهم موحى إليه، فدومًا نجد في عباقرة البشر أنهم متميزون في أمور ولديهم قصور في أمور أخرى، أما هذا التكامل الخلقي والجسدي والروحي والعقلي واللساني، فلا يتحقق إلا في شخصية أعدت وربيت بيد الله تعالى.

ولنتوقف عند سمة العقل لدى المبعوث ﷺ يقول القاضي عياض: «.. فضلًا عما أفاضه من العلم، وقرره من الشرع، دون تعلم مسبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله، وثقوب فهمه لأول بديهة» (٩).

لا نجد فيما سبق تميزًا بشريًا، بل المنة الإلهية، فكيف تأتت هذه القدرات العقلية للرسول وهو الأمي، الذي لم يمتلك قدرة القراءة، حتى يطالع الكتب الدينية السابقة والمعارف والعلوم والحكم، فهذا أدل على إلهام الله تعالى لرسوله الكريم، وقد قال وهب بن منبه «قرأت في واحد وسبعين كتابًا فوجدت في جميعها أن النبي ﷺ أرجح الناس عقلًا، وأفضلهم رأيًا، وفي رواية أخرى: فوجدت في جميعها أن الله لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا» (١٠).

إن هذا الإجماع على التميز العقلي للرسول ﷺ يجعل محبتنا له وإيماننا به تشمل التعلق الروحي إلى التأمل والدرس في شخصية خاتم الأنبياء، فهي جامعة للكمال البشري في المنظور الفلسفي والنفسي والعقلي، والوحي الرباني.

ويضاف إلى هذه السمة ثقته ﷺ بالله تعالى، وهي منعكسة على تمسكه بالدعوة إلى أن يهلك دونها، «فقد كان جامعًا للمحبة والثقة كأفضل ما تجتمعان، وكان مشهورًا بصدقه وأمانته كاشتهاره بوسامته وحنانه» (١١).

إن هذه السمة تعطي ثباتًا لمن حول الرسول الذين يتعرضون للمحن والتعذيب، وعندما تضاف إليها المحبة لمن حوله من الصحابة الأبرار وكل من يدخل الدعوة جديدًا، تصبح مزيجًا من الثبات والاطمئنان والارتباط في طريق واحد.

بيئة الرسول اللغوية وتكوينه الأدبي

كان الرسول ﷺ ذا لسان عربي فصيح، ولا عجب في ذلك، فقد نشأ في قريش وهي من أفصح اللهجات العربية، وكان يحضر أسواق مكة، ويتذوق ما ينشد فيها من أشعار، وعاش رضاعته في بني سعد بهوازن وهوازن من أفصح قبائل العرب وكما يقول إسماعيل بن عبدالله: «أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشًا أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جلّ ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم، واختار منهم نبي الرحمة محمدًا ﷺ فجعل قريشًا قُطّانَ (ساكني) حَرَمِه، وجيران بيته الحرام، وولاته» (١٢) فقد تميزت قريش مكانة برعايتها بيت الله الحرام، ولغة باستواء لسانها، وهذا ما جعل لغتها العربية منتشرة بين عموم قبائل الجزيرة العربية، بحكم المكانة الروحية لقريش، وقد كانوا يسمون قريشا «أهل الله؛ لأنهم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام، ولم تشبهم شائبة، ولم تنقلهم عن مناسبهم ناقلة» (١٣).

والنصوص الشعرية الواردة من الشعر الجاهلي تدل دلالة قاطعة على أن القبائل العربية الشمالية اصطلحت فيما بينها على لهجة أدبية فصحى، كان الشعراء على اختلاف قبائلهم وتباعدها وتقاربها ينظمون فيها شعرهم، رغم أن المستشرقين شككوا في هذه اللهجة وفي أصلها، وسعوا إلى نفي لهجة قريش

وادعوا ادعاءات مختلفة في هذه اللهجة الفصيحة المستقرة في الشعر الجاهلي، وبها نزل القرآن الكريم، ولكن الواضح أن هذه الآراء تعتمد على الفرض والحدس وقد أراد بها أصحابها أن يناقضوا أشد المناقضة ما استقر في نفوس أسلافنا من أن هذه اللهجة الفصحى إنما هي لهجة قريش التي نزل بها الذكر الحكيم (١٤)، وقد رفض المستشرقون أيضًا نظرية العرب في كون الفصحى عين اللهجة القرشية، فقد ذهبوا يطلبونها في لهجات القبائل النجدية، متناسين أن شيوع لهجة ما يقترن بحالة سياسية أو روحية أو حضارية، بحيث تصبح لغة الفكر والشعور للجماعة الكبرى، وهذا ما تحقق في لهجة قريش، فقد كانت مكة مهوى أفئدة العرب في الجاهلية، وكان لها نفوذ واسع بسبب مركزها الروحي ونفوذها الاقتصادي لكونها مركز التجارة وملتقى القوافل والأسواق (١٥) وهذا من السنن اللغوية أن تتفوق لهجة أو لغة ما لعوامل عدة، وقد توافرت هذه العوامل لقريش بجلاء، وهي عوامل خارجية أي تتصل بظروف جغرافية (موقع مكة)، وتجارية (ملتقى الأسواق)، وروحية (وجود الكعبة)، وهناك عوامل لغوية تتصل بمسلك قريش اللغوي، فقد كانت «مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب، ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس»(١٦).

فليس بمستغرب أن تكون لغة قريش هي الفصحى التي عمت في الجاهلية لتشمل كل القبائل العربية شمالًا وغربًا وشرقًا وفي اليمامة والبحرين، وسقطت إلى الجنوب في اليمن لتكون في لغة حمير، وعندما قدمت الوفود إلى الرسولﷺ كان يحاورها وهم يفهمونه دون مشقة، وسرعان ما فهموا القرآن الكريم بمجرد سماعه، وحتى اللهجات التي نزل بها القرآن الكريم كانت لهجات القبائل الأقرب إلى قريش، ومن هنا جاءت فصاحتها وحجية الاستشهاد بها، وقيل إن لغة قريش نفسها تستوعب اللهجات السبع للقرآن (١٧)، ومن المنطقي أن تعدد القراءات القرآنية، واللهجات التي نزل بها القرآن الكريم، ليدل على أن القرآن كان مفهومًا لدى القبائل العربية، وتناقلوه فيما بينهم، قبل أن يغدوا إلى الرسول ويسلموا، فقد كانوا يتناقلون الأشعار، وهي مصاغة على لغة قريش، وأيضًا تناقلوا السور القرآنية، وتذوقوا بلاغتها وهداها، لأنهم يعرفون لغة قريش جيدًا، فلما قابلوا الرسول، وسمعوا بلاغته في حواراته، دخلوا في الإسلام أفواجًا، خاصة أنهم وجدوا في شخصية الرسولﷺ تكاملا في التكوين اللغوي والبيئي والعربي، فقد جمع ما بين الحضارة النسبية (التمدين) في مكة، وفصاحة وبساطة أهل البادية، بجانب فهمه عاداتهم وتقاليدهم، وطريقة تفكيرهم، وسبل تلقيهم المفاهيم والتصورات والمدركات، كما أنهﷺ علم كثيرًا عن لهجات القبائل العربية واختلافها.

وقد كان محمدﷺ «خبيرًا بالنفوس ومعادنها، والدنيا وأطوارها، والزمان وتقلبه، والأديان الأولى وما عانت وعانى رجالها، وهم يشقون طريقهم في الحياة، وعقول الأنبياء من ورائها فطر مجلوة وإلهام لمّاح، فكيف بشيخ الأنبياء الذي تعهده القدر من نشأته ليحمل رسالة معجزة في أسلوبها، وأسلوبها يقوم على الفطر وتفتيق الألباب» (١٨).

فإذا كانت هذه سماته التي بانت في سيرته العطرة، وأقواله النضرة، وأحاديثه الشريفة، فكيف أوتيها؟ إنها من تأديب الله تعالى له، وهذا سر الإعجاز الرباني في شخصية النبي، وكما قال المصطفىﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي» ليكون في شخصيته نموذجًا للنبوة الحقة التي لم تلوثها التقاليد والعادات الحضرية أو البدوية، فهو: «لم يتلق علمًا على راهب أو كاهن أو فيلسوف ممن ظهروا على عهده، ولكنه بعقله الخصب وفطرته الصافية، طالع صحائف الحياة، وشؤون الناس، وأحوال الجماعات، فعاف منها ما ساءه من خرافة، ونأى عنها، ثم عاشر الناس على بصيرة من أمره وأمرهم» (١٩).

الهوامش

١- خاتم النبيين، محمد أبوزهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ج١، ص٢٣١.
٢- السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة، محمد فريد وجدي، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٨٦.
٣-السابق، ص٨٧
٤- جاءت قصة تجديد الكعبة الشريفة في مصادر عدة منها: نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الخضري، دار الجيل ببيروت ودار عمار بعمّان، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٧م، ص٢١-٢٣ وقد حقق روايات عدة عن الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في المستدرك، والطبراني، وراجع أيضًا: صحيح البخاري، الحديث رقم (٣٨٢٩) رواية جابر بن عبدالله.
٥- تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، سورة الأعراف، الآية (١٥٧).
٦- السيرة المحمدية في ضوء العلم والفلسفة، ص٨٧، ٨٨.
٧-خاتم النبيين، ص ٢٣١.
٨-الشفاء، القاضي عياض، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دون تاريخ، ج١، ص٤٣.
٩- الشفاء، ص٤٣.
١٠-نفسه، ص٤٣.
١١- عبقرية محمد، عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٩م، ص٣٣.
١٢-الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، أبوالحسين أحمد بن فرسي بن زكريا، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، يوليو، ٢٠٠٣م، ص٣٣.
١٣- نفسه، ص٣٣.
١٤- انظر: العصر الجاهلي، د.شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ١٩٦٠، ص١٣١، ص١٣٢.
١٥-العصر الجاهلي، ص١٣٣.
١٦-الصاحبي في فقه اللغة، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، ١٩٩٩، ص٣٣، ٣٤.
١٧-راجع: العصر الجاهلي، ص١٣٤- ١٣٥.
١٨- فقه السيرة، الشيخ محمد الغزالي، راجع أحاديثها الشيخ محمد ناصر الألباني، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٧، ص١٩٧٦م، ص٥٤.
١٩-السابق، ص٧٣.

عبقرية مُحَمَّد ﷺ العسكرية

محمد عبدالشافي القُوصي

كثير من العظماء والعباقرة الذين أنصفوا الإسلام ونبيه الكريم، ليسوا من العرب أو المسلمين.. بلْ من الغربيين أنفسهم (غير المسلمين) وبعضهم من الغلاة والمتطرفين المعروفين بكراهيتهم للحضارة الإسلامية، والمشهورين بعداوتهم للإسلام وأهله! أمثال: عالم اللغات الشرقية، المستشرق الإنجليزي البروفيسور هامفري بريدو H.prideaux (١٦٤٨-١٧٢٤) الذي اعترف - رغم أنفه- في كتابه «حياة مُحمّد» باريس ١٦٩٩- بالصفات السامية لمُحمّد وعظمة أعماله، إنه يؤكد أن مُحمّدًا طوال فترة بعثته «امتاز بشجاعة وفطنة عقله، وبدرجة عالية من المجد، مما جعله أعظم القادة الذين عرفهم التاريخ، وقد أنشأ إمبراطورية في أربعة وعشرين عامًا امتدت لتشمل المناطق التي تحتلها الإمبراطورية الرومانية لمدة خمسمائة عام بلْ وأكثر منها، وقد رأينا تلك المملكة الواسعة استمرت لقرون عديدة وهي في أوج عظمتها، وقد رأينا كثيرًا من الإمبراطوريات والممالك الإسلامية التي لا تُقارن بغيرها في الامتداد والسيطرة لمدة طويلة».

كذلك، المفكر الأيرلندي «المتطرف» أدموند بيرك Edmund Burke (١٧٢٩-١٧٩٧) الذي أكد: «أن القانون المُحَمّديّ قانونٌ ضابطٌ للجميع من الملك إلى أقل رعاياه، وهو قانونٌ نُسِجَ بأحكَم نظام حقوقيّ، وأعظم قضاء علميّ، وأعلم تشريع عادلٍ، لم يسبق قط للعالَم إيجاد مثله».

ويعد المستشرق الإنجليزي مارجليوث Margoliouth (١٨٥٨-١٩٤٠) الأكثر عداءً للإسلام ونبيه، ومع ذلك نراه يقول في كتابه «مُحمّد ونهضة الإسلام»: «إذا نحن قارنّا بين الوحي القرآني، وبين ما في أيدينا من كتب مقدسة، سندرك على الفور أن الإسلام وحده هو الدين الحقيقي». ومعاصره المستشرق اليهودي المجري جولد زيهر joldziher (١٨٥٠-١٩٢١) إذْ يقول في كتابه «العقيدة والشريعة في الإسلام»: «كان مُحمّدٌ يريد إقامة دين الله الواحد كما جاء به إبراهيم، كما أنه بوجه عام كان مُصدّقًا لما سبق أن أوحاه الله لمن تقدّمه من الرسل والأنبياء.. فمُحمّد كان بلا شك أول نبيّ مصلح حقيقي من الوجهة التاريخية». كذلك

أول من أوجد مفهوم الأمَّة لتحلّ محل الولاءات القبلية والعائلية

المستشرق اليهودي المعاصر برنارد لويس L.pernard نصير الحركة الصهيونية، وشديد العداء والافتراء على المسلمين ودينهم وقضاياهم الوطنية والقومية.. وشديد الاستعداء لصانع القرار الأميركي ضد الإسلام وأُمته.. إلا أن ذلك كله لم يمنعه من أن يعترف للإسلام بالتميز كدين ودولة، وبالسماحة في الانتشار السلمي، وبالعدل الذي تميز به الحكم الإسلامي مع الشعوب غير المسلمة، فيشهد L.pernard أن: «مؤسّس المسيحية نادى أتباعه: أن أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»، أمّا مؤسّس الإسلام فقد جعل من نفسه «قسطنطين» (٢٧٤-٣٣٧) ففي حياته أصبح المسلمون جماعة سياسية ودينية، كان الرسول سيدها المطلق، يحكم أرضًا وشعبًا، ويقضي بين الناس، ويجمع الضرائب، ويقود الجيوش، ويسيّر الدبلوماسية، ويخوض الحرب... وبينما كان شيخ القبيلة يحتل منصب الرئاسة على أساس الموافقة الطوعية للقبيلة، وهي موافقة يمكن إلغاؤها، فإنّ مُحمّدًا جاء إلى الحكم على أساس من الامتياز الديني المطلق، واستمد سلطته ليس من الطرف المحكوم، بلْ من الله».

عظمة نبيّ الإسلام

الملاحظ في شهادة الغربيين، أنهم كثيرًا ما يركّزون على أزماتهم الاجتماعية والنفسية، ومشاكل الحضارة الغربية، لذلك لجأوا إلى سيرة «نبّيّ الإسلام» للبحث عن حلول لمعاناتهم وإنقاذ مجتمعاتهم من الضياع والانهيار. وبالفعل فقد وجدوا أن «الإسلام» وحده هو القادر على حل معضلات حضارتهم، واكتشفوا أن الخروج من مشاكلهم المستعصية يكمن في قوانين الإسلام وشريعته العالمية، وأيقنوا أن سيرة «مُحمّد» وأقواله وأفعاله هي الملاذ الآمن، وشاطئ النجاة، ومرفأ السلامة.

هذا، وقد شَهِد كبار الزعماء والقادة ورجال السياسة الغربيين على عظمة

باحث إسلامي

نبيّ الإسلام، ويأتي على رأس هؤلاء القادة: نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte (١٧٦٩- ١٨٢١) فقد أفصح في مذكراته عن إعجابه بعبقرية نبيّ الإسلام، ووصفه بأنه أعظم قائد عرفه التاريخ، كما أشاد بونابرت بالتشريع الإسلامي، فكتب في الباب الرابع من رسائله، يقول «أرجو ألا يكون قد فات الوقت الذي أستطيع فيه أن أوحّد جميع الرجال العاقلين والمثقفين في الدولة، وأن أنشئ نظام حكم متناسق، مؤسس على مبادئ القرآن، التي هي وحدها الصادقة، والتي يمكنها أن تقود الناس إلى السعادة. بعيدًا عن «المسيحية» التي تبشّر فقط بالعبودية والتبعية».

بطولات الرسول

هذه المذكرات الشخصية لبونابرت -التي أُفرج عنها أخيرًا، والتي تقع في حوالي ٣٠٠ صفحة- كشفت عن إيمانه بالدين الإسلامي، بل إنه دعا الناس إلى فهمه والاستفادة من توجيهاته الإلهية. ونحن لسنا بصدد مناقشة موضوع إسلام بونابرت الذي مازال يشهد جدلًا بين الغربيين أنفسهم، لكن نحب أن نتناول جانبًا مما سجّله هذا القائد العسكري التاريخي عن بطولات الرسول وعبقريته العسكرية.. يقول بونابرت: «إن الرسول مُحمّدا هو أول من أحدث تغييرا ثوريا في العقيدة العسكرية، فجعل أتباعه يقاتلون تحت راية الدين، وإنه أول من أوجد مفهوم «الأُمّة Nation» لتحلّ محل الولاءات القبلية والعائلية الصغيرة!

ويرى بونابرت أنه «بدون عبقرية ورؤية الرسول مُحمّد العسكرية الفذة ما كان ليبقى الإسلام ويصمد وينتشر بعد وفاته. ويصفه - أيضًا- بأنه أول جنرال عسكري محنّك first insurgent في الإسلام. وأنه لولا نجاح الرسول مُحمّد كقائد عسكري، ما كان للمسلمين أن يغزوا الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية».

«بونابرت» كان ينوي تأسيس نظام حكم مؤسس على مبادئ القرآن

تغيير العقيدة العسكرية

يعزو «بونابرت» نجاح الرسول في إحداث تغيير ثوري في العقيدة العسكرية لما كان معروفًا وسائدًا في جزيرة العرب، لإيمانه بأنه مُرسَل من عند الله. ويشير إلى أنه وبفضل ذلك نجح في إيجاد أول جيش نظامي عربي قائم على الإيمان بنظام متكامل للعقيدة الإيديولوجية (الدين الإسلامي). وبمفاهيم مثل «الحرب المقدسة» و«الجهاد» و«الشهادة» من أجل الدين قدمها أولًا واستخدمها الرسول مُحمّد قبل أي شخص آخر».

ويقول بونابرت: «إنّ مُحمّدا الرسول كان نموذجًا ناجحًا لما تقوم عليه إستراتيجيات القادة في العصر الحديث. وتوفرت لتلك الإستراتيجيات ظروف مكّنت من نجاح الرسول في نشر الإسلام في الجزيرة العربية».

مفهوم «الأُمة المؤمنة»

يرى «بونابرت» في الدين الإسلامي نظامًا متكاملًا حلّ بنجاح مذهل محل ما كان موجودًا من نظم اجتماعية وسياسية واقتصادية متخلفة في جزيرة العرب، فأوجد الرسول مفهوم الأمة، «الأمة المؤمنة» Gods community of believers لتحلّ محل الولاءات القبلية والعائلية الصغيرة.

ويذهب إلى أن الرسول نجح في بناء منظومة عسكرية للقيادة والسيطرة للمرة الأولى في التاريخ العربي.. وأن مُحمّدًا الرسول أوجد للمرة الأولى في التاريخ مفهوم «الحرب النفسية» التي لم تكن معهودة من قبل! ويؤكد أن الرسول نجح في خلق منظومة عسكرية متطورة كان هو شخصيًا محورها الأساسي، إضافة إلى خلق هوية جديدة لا تفرّق بين المواطن والمقاتل في إطار مفهوم «المساواة».

تنفيذ أوامر الله

يشير «بونابرت» إلى أن الرسول مُحمّدا نجح في إقناع أتباعه أنهم ينفّذون أوامر الله في الأرض وأنهم جند الله، وكانت تلك المرة الأولى في التاريخ التي يعتقد ويؤمن فيها جيش نظامي أنه ينفذ أوامر الله في الأرض، ومن هنا تطور مفهوم «الحروب المقدسة». وترى الدراسة أن الرسول نجح في جعل «الدين Religion» أهم مصدر للوحدة بين جنوده.

كما يرى «بونابرت» أن نجاح الرسول في إقناع المقاتلين بالتضحية بحياتهم من أجل نصرة هذا الدين جعل المقاتل المسلم لا يهاب الموت إيمانًا منه بتمتعه بالجنة بعد وفاته - كما تقول تعاليم الدين الإسلامي- مشيرًا إلى أن «الجهاد في الإسلام جوهره الكفاح والتغلب على المصاعب من أجل تحقيق السعادة».

الحيل في الشريعة الإسلامية

د. صالح سالم النهام

لقد اعتنى العلماء قديمًا وحديثًا بموضوع الحيل، فمنهم من أفرد «الحيل» بمؤلف مستقل، ومنهم من جعله فصلًا أو بابًا في تأليفه، فهذا الإمام البخاري قد أفرد كتابًا في صحيحه وترجم له باسم «كتاب الحيل»، وهذا كتاب «بيان الدليل على بطلان التحليل» لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهو أوسع وأجمع ما كتب في الحيل، وقد يفهم من عنوانه أنه خاص بالكلام عن بطلان التحليل، إلا أن ابن تيمية جعل هذه المسألة مدخلًا للكلام على الحيل، وربما اختارها لأنها أشهر الحيل، وكذلك كتاب «إعلام الموقعين عن رب العالمين» للإمام ابن القيم، الذي أفرد في كتابه الفريد قسمًا كبيرًا في الكلام عن الحيل، ثم كتاب الموافقات للإمام الشاطبي، الذي أفرد قسمًا من كتابه للكلام عن الحيل، وغيرها كثير.

وفي المقابل هناك كتب جمعت الحيل والمخارج من المآزق التي يقع فيها الإنسان، وهذه الكتب كانت موضع نقد كبير من العلماء، منها: كتاب المخارج في الحيل للإمام محمد بن الحسن الشيباني الحنفي، وقد حصل خلاف في نسبة الكتاب لمحمد بن الحسن، فقد روى الذهبي في ترجمته لمحمد بن الحسن من طريق الطحاوي عن أحمد بن أبي عمران عن محمد بن سماعة أنه قال: سمعت محمد بن الحسن يقول: هذا الكتاب (يعني كتاب الحيل) ليس من كتبنا، إنما ألقي فيها، كذلك لم يذكر أحد من أصحابه أو رواة مؤلفاته كتابًا له من هذا القبيل.

المسألة الأولى: تعريف الحيل لغةً واصطلاحًا

أولًا، الحيل لغةً(١): هي جمع حيلة من التحول؛ تقول: حال يحول، فهي من ذوات الواو، وإنما انقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها، ومعناها في الأصل: الحذق، وجودة النظر، والقدرة على التصرف في الأمور، والتخلص من المعضلات(٢).

> طرق خفية يتوصل بها صاحبها إلى حصول غرضه ولا تعرف إلا بذكاء ودهاء

ثانيًا، الحيل اصطلاحًا(٣):

لقد استعمل العلماء الحيلة بمعنى أخص من معناها في اللغة، ومن ذلك ما يلي: قال ابن القيم: «الحيلة هي نوع مخصوص من التصرف والعمل، الذي يتحول به فاعله من حال إلى حال، ثم غلب عليها بالعرف استعمالها في سلوك الطرق الخفية التي يتوصل بها الرجل إلى حصول غرضه، بحيث لا يتفطن له إلا بنوع من الذكاء والفطنة؛ فهذا أخص من موضوعها في أصل اللغة، وسواء كان المقصود أمرًا جائزًا أو محرمًا، وأخص من هذا استعمالها في التوصل إلى الغرض الممنوع منه شرعًا، أو عقلًا، أو عادة، فهذا هو الغالب عليها في عرف الناس؛ فإنهم يقولون: فلان من أرباب الحيل، ولا تعاملوه فإنه متحيل، وفلان يعلم الناس الحيل، وهذا من استعمال المطلق في بعض أنواعه كالدابة والحيوان وغيرهما»(٤).

ويندرج في هذا المعنى للحيل صور مأذون فيها، لكنها اختصت بأسماء أخرى تمييزًا لها عن الحيل الممنوعة كالتدبير، ومثاله: من هوى امرأة فسعى لتزوجها لتحل له مخالطتها، والحرص، ومثاله: ركوع أبي بكرة رضي الله عنه لما دخل المسجد فوجد رسول الله ﷺ راكعًا، وخشي فوت الركعة، وأحب أن يكون في الصف الأول تحصيلًا لفضله، ركع ودب راكعًا حتى وصل الصف الأول، فقال له رسول الله ﷺ: «زادك الله حرصًا، ولا تعد»(٥). والورع، ومثاله: أن يتخذ من يوقظه إلى صلاة الصبح إذا خشي أن يغلبه النوم، كما فعله رسول الله ﷺ في إحدى الغزوات في قضية بلال حين غلبته عيناه، كما في حديث الموطأ(٦).

وقد عبَّر الإمام الشاطبي عن الحيلة بقوله: «إن حقيقتها المشهورة: تقديم عمل ظاهر الجواز لإبطال حكم

شرعي، وتحويله في الظاهر إلى حكم آخر»(٧)، ثم قال: «فمآل العمل فيها خرم قواعد الشريعة في الواقع»(٨)، وقد ذكر في المسألة العاشرة من مقاصد المكلف- قبل ذلك- أن الحيل بهذا المعنى مشتملة على مقدمتين(٩):

الأولى: قلب أحكام الأفعال بعضها إلى بعض في ظاهر الأمر.

والثانية: جعل الأفعال المقصود بها في الشرع معاني وسائل إلى قلب تلك الأحكام.

وقريب من هذا ما قاله الطاهر بن عاشور حين عرَّف الحيل بأنها: «إبراز عمل ممنوع شرعًا في صورة عمل جائز»(١٠).

إلا أن نظرة الفقهاء إلى معنى الحيل قد تعددت بناء على مقصد كل مكلف من فعلها، ولأهمية ذلك أسوق إليك أهم المعاني التي احتوت التعريف بالحيل وهي على النحو التالي(١١):

المعنى الأول: الوصول إلى المقاصد الشرعية بالوسائل المشروعة، مثل: النكاح والبيع والرخص الفقهية، والحنفية تُرجح هذا المعنى، وهو قريب من المعنى اللغوي، وهذا يتضمن معنى الخروج من المضايق بوجه شرعي؛ ليكون مخلصًا شرعيًّا لمن ابتلي بحادثة دينية على اعتبارها نوعًا من الحذق وجودة النظر.

المعنى الثاني: الوصول إلى المقاصد غير المشروعة بالوسائل غير المشروعة، مثل: عدم تأدية الصلوات المكتوبة بشرب الخمر قبل أوقاتها.

المعنى الثالث: الوصول إلى المقاصد المشروعة بالوسائل غير المشروعة، مثل: سرقة أو غصب سكين الغير واستعماله لذبح الأضحية.

المعنى الرابع: الوصول إلى المقاصد غير المشروعة بالوسائل المشروعة،

الحيل تأخذ أحكام مقاصدها ووسائلها

مثل: بيع العينة، والتحليل، والسفر أيام رمضان؛ للهروب من الصيام.

فإذا لاحظنا المعاني السابقة للحيل يتبين أنها واضحةٌ معانيها، بينةٌ أحكامها؛ فالمعنى الأول: جائز، والمعنى الثاني: لا يجوز، والمعنى الثالث: قسم منه يجوز، والآخر خلافه، بينما المعنى الرابع: وقع فيه خلاف بين الفقهاء، من جهة النفاذ قضاء باعتبار الوقوف على ظاهر الأمر الذي يطابق الشرع من حيث الشكل والمعاملة، أو عدمه، على اعتبار نية الشخص الذي يريد أن يصل إلى مقاصده غير الشرعية، مستخدمًا المعاملات الفقهية، إذ نلتمس فيها نية مضمرة مختفية تحت ستار المعاملة الشرعية والمراوغة بغطاء القواعد الفقهية، مثل: بيع العينة وما شابهها من الحيل(١٢).

ويفهم من ذلك أن الحيل وسائل تتخذ لتحقيق غرض ما، قد تؤول هذه الوسائل إلى أمر محرَّم، وقد تؤول إلى أمر جائز، يحقق مقصدًا أو يهدمه. وحكم الحيلة يأخذ حكم مقصدها ووسيلتها، لكون الأحكام الشرعية مقترنة بمصالح العباد في العاجل والآجل اقتران الوسيلة بالمقصد، ويؤكد ذلك ما قرره الشاطبي بقوله: «لما ثبت أن الأحكام شُرعت لمصالح العباد كانت الأعمال معتبرة بذلك؛ لأنه مقصود الشارع فيها كما تبين، فإذا كان الأمر في ظاهره وباطنه على أصل المشروعية فلا إشكال، وإن كان الظاهر موافقًا والمصلحة مخالفة؛ فالفعل غير صحيح وغير مشروع؛ لأن الأعمال الشرعية ليست مقصودة لنفسها، وإنما قُصد بها أمورٌ أُخر هي معانيها؛ وهي المصالح التي شرعت لأجلها؛ فالذي عُمِل من ذلك على غير هذا الوضع فليس على وضع المشروعات»(١٣).

ومن هنا يتضح أن الحيل غير الشرعية هي إحدى الوسائل التي تؤدي إلى المناقضة بين مقاصد المكلف ومقاصد الشارع؛ لأن باعث المكلف أو قصده يخالف به مقاصد الشرع، أما إذا كان فعله لا يناقض الشريعة ويحقق مقاصدها فهو لاشك جائز؛ لعدم وجود خلاف بين مقاصد المكلف ومقاصد الشارع.. ومما يشهد لذلك ما ذكره القرطبي عندما علَّق على قصة نبي الله سليمان - عليه السلام- مع المرأتين المتنازعتين في الولد؛ وكيف اهتدى إلى معرفة المحقة منهما، وأصل هذه القصة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: «بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت هذه لصاحبتها: إنما ذهب بابنك أنت، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود - عليهما السلام- فأخبرتاه؛ فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما؛ فقالت الصغرى: لا، -يرحمك الله - هو ابنها! فقضى به للصغرى»(١٤)، حيث علق القرطبي فقال: «وفيه من الفقه استعمال الحكام الحيل التي تستخرج بها الحقوق؛ وذلك يكون عن قوة الذكاء والفطنة وممارسة أحوال الخلق»(١٥).

المسألة الثانية: ظهور الحيل وأسبابها

أما عن وقت ظهور الحيل وأسبابها، فإليك ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية

أولًا، ثم قول تلميذه ابن القيم، وذلك فيما يلي(١٦).

أما عن وقت ظهورها، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما الإفتاء بها وتعليمها للناس، وإنفاذها في الحكم، واعتقاد جوازها؛ فأول ما حدث في الإسلام في أواخر عصر صغار التابعين بعد المائة الأولى بسنين كثيرة، وليس فيها ولله الحمد حيلة واحدة تؤثر عن أصحاب رسول الله ﷺ، بل المستفيض عن الصحابة أنهم كانوا إذا سئلوا عن فعل شيء من ذلك أعظموه وزجروا عنه»(١٧)، ثم ذكر سببين للوقوع في الحيل(١٨)، فقال: إما ذنوب وقعوا فيها فجوزوا عليها بتضييق أمورهم، فلا يستطيع دفع هذا الضيق إلا بالحيل، كما جرى لأصحاب السبت من اليهود، وإما مبالغة في التشدد؛ حيث ضيقوا على أنفسهم أمورًا وسعها الشرع فاضطرهم هذا إلى الاستحلال بالحيل.

وأما ابن القيم فقد ذكر: «أن أكثرها من وضع ورَّاقي بغداد، وقد سبقه لهذا الحكم الجوزجاني عندما أنكر نسبة كتاب الحيل لمحمد بن الحسن حيث قال: «من قال إن محمدًا- رحمه الله- صنف كتابًا في الحيل فلا تصدقه، وما في أيدي الناس فإنما جمعه وراقو بغداد»(١٩).

وقد قيل: إن الذي يظهر في هذا الموضوع: أن بعض علماء الحنفية هم أول من تكلم بالحيل(٢٠)، ولكن في البدايات لم يكن فيها التوسع الذي عرف لدى المتأخرين(٢١)، مع العلم أن الحنفية كانوا يستعملون الحيل على أنها مخارج من الضيق والحرج بوجه شرعي لا أكثر(٢٢).

المسألة الثالثة: أدلة الحيل الجائزة

أولا: القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾(النساء: ٩٨)، ووجه الشاهد أنه أراد بالحيلة التحيل على التخلص من الكفار، وهذه حيلة محمودة يثاب عليها من عملها.

هذه هي أدلة مشروعية الحيل الجائزة

ثانيًا: السنة النبوية

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، إن لي جارًا يؤذيني، فقال: «انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق، فانطلق فأخرج متاعه، فاجتمع الناس عليه، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني، فذكرت للنبي ﷺ، فقال: انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق، فجعلوا يقولون: اللهم العنه، اللهم أخزه، فبلغه، فأتاه فقال: ارجع إلى منزلك، فوالله لا أؤذيك » (٢٣). وفي الحديث دلالة على جواز التحيل لمن كان مظلومًا بحمل الناس على مسبة ظالمه والدعاء عليه؛ لعل ذلك يروعه ويمنعه من الإقامة على ظلمه.

فالمقصود أن صالح الوسيلة مباح، وفي إفضائها إليه نوع خفاء لعدم التفات الذهن إليها، فانطبق عليها حد الحيلة، وليس فيها ضياع حق لله أو للعبد، فالحيل من هذا القبيل مباحة شرعًا بخلاف التي يستحل بها محارم الله من إبطال الحقوق فلا تجوز.

ثالثًا: فعل الصحابة

كان الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، أعلم الناس بالشر والفتن، وكان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكان هو يسأله عن الشر مخافة أن يدركه(٢٤).

فحذيفة بن اليمان رضي الله عنه تعلم طرق الشر الظاهرة والخفية، التي يُتوصَل بها إلى خِدَاعه والمكر به، فيحترز منها، ولا يفعلها، ولا يدل عليها(٢٥).

رابعًا: القياس

إن الحيل الممنوعة شرعًا هي التي تؤول إلى كل ما يهدم الأصول الشرعية، ويناقض المصالح الشرعية، كالتي تقوم على المخادعة والتلبيس والتدليس، وما دام أن هناك حيلًا لا تهدم الأصول الشرعية، ولا تناقض المصالح الشرعية، كإجازة الشريعة للمكره على الكفر أن يتلفظ بكلمة الكفر إحرازًا لدمه، فهو نطق بكلمة من غير اعتقاد معناها توصلًا إلى غرض دنيوي، وهو إحراز الدم، فأجريت عليه أحكام الإسلام في الظاهر، وهذا أمر جائز شرعًا.

المسألة الرابعة: أدلة الحيل المحرمة

أولًا: القرآن الكريم

قال الله تعالى لما ذم اليهود على تحايلهم على الحرام: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(البقرة: ٦٥).

ووجه الشاهد أن الله سبحانه حرم على اليهود العمل يوم السبت شيئًا، فكان بعضهم يحفر الحفيرة، ويجعل لها نهرًا إلى البحر فإذا كان يوم السبت فتح النهر فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتى يلقيها في الحفيرة، فإذا كان يوم الأحد، جاءوا فأخذوا ما تجمع في الحفيرة من حيتان وقالوا: إنما صدناه يوم الأحد، فعوقبوا بالمسخ قردة؛ لأنهم استحلوا الحرام بالحيلة(٢٦).

ثانيًا: السنة النبوية

قال رسول الله ﷺ: «قاتل الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها»(٢٧)، ووجه الدلالة أنهم

احتالوا على تحريم أكل الشحوم بأكل أثمانها(٢٨).

ولقد حذر النبي ﷺ من ارتكاب الحيل، كما فعلته بنو إسرائيل فقال: «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»(٢٩).

ثالثًا: فتاوى الصحابة

عن أنس بن مالك وعبد الله بن عباس- رضي الله عنهم- أنهما سئلا عن العينة، فقالا: إن الله لا يخدع، هذا مما حرم الله ورسوله، فسميا ذلك خداعًا (٣٠)، وفي قول رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»، دلالة واضحة على أن الأعمال تابعة لمقاصدها ونياتها، وأنه ليس للعبد من ظاهر قوله وعمله إلا ما نواه وأبطنه، لا ما أعلنه وأظهره، وحينئذ من نوى الربا بعقد البيع في الربويات وأدى إلى الربا كان مرابيًا، وكل عمل قصد به التوصل إلى تفويت حق كان محرمًا (٣١).

المسألة الخامسة: الضابط العام للحيل

لا ريب أن الضابط العام للحيل هو الذي يميز الحيل الجائزة من غير الجائزة؛ لأن كل طريق مشروع يترتب على سلوكه تحقيق مقاصد الشارع من فعل ما أمر الله به، واجتناب ما نهى الله عنه، وإحياء الحقوق، ونصر المظلوم، فهو حلال، وكل طريق يترتب عليه العبث بمقاصد الشارع من إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، فهو محظور شرعًا، ومن الحيل أيضًا ما تتعارض فيه الأدلة ظاهرًا ولا يتضح فيها مقاصد الشارع ومن ثم يختلف العلماء، فيلحقها بعضهم بالقسم الجائز، ويلحقها الآخرون بالقسم المحظور، كلٌ بحسب ما ظهر له واطمأن إليه، فلا يقال لمن أجازها قد خالفت قصد الشارع؛ لأنه تحرى قصد الشارع ومن ثم ترجحت عنده أدلة الإباحة فألحقها بالقسم الجائز، وأما من منعها فترجحت عنده أدلة الحظر، ومن ثم عدها مخالفة لقصد الشارع فردها إلى القسم المحظور.

ويمكن القول: إن الخلاف الواقع في الحيل يكمن في المقاصد، وهي معتبرة في التصرفات؛ لقول رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»، ومن تأمل الشريعة وتعرف أحكامها وحكمها رآها قد أبطلت على أصحاب الحيل مقاصدهم، وقابلتهم بنقيضها، وسدت عليهم المقاصد التي فتحوها للتحيل الباطل، ومن ذلك أن الله تعالى عاقب من احتال على إسقاط نصيب المساكين وقت الجذاذ بتحريق بستانهم عليهم وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾(القلم: ١٧).

وكذلك أبطل تدبير المدبر إذا قتل سيده ليُعجِّل العتق، ومن هنا جاء تشنيع بعض العلماء على هذه الطرق المخالفة لشرع الله، فمنعوها وأغلظوا القول عليها.. ورأيهم في ذلك صواب.

أما من كان قصده في استعمال الحيل مشروعًا كنصرة المظلوم، وإحياء الحقوق، فهذا لا يخدش في أحكام الشريعة، وإن كان ظاهر هذه الطرق يخالف باطنها، فمثلًا من تلفظ بكلمة الكفر حال الإكراه وكان قلبه مطمئنا بالإيمان، فإنه استعمل الطريق الظاهر الممنوع المخالف لباطنه؛ حتى ينقذ حياته من هلاك محقق أو متوقع، وهذا مقصد سليم وشرعي، وهذه حيلة، فالفرق بين الطريقين واضح وجلي، ولا يخفى على ذي لب؛ لأن المجوز لها أجازها لمقصد ومطلب شرعي، والمانع لها منعها حماية لأحكام الشريعة من العبث والتضليل، فحينئذ يرتفع الخلاف.

الهوامش

(١)انظر: لسان العرب: (١٠٥٥/٢)، القاموس المحيط: (ص: ١٢٧٨)، المصباح المنير: (٧٣/١)، المعجم الوجيز: (ص: ١٨٢).
(٢) انظر: القاموس المحيط: (ص: ١٢٧٨)، المصباح المنير: (٧٣/١)، مقتبس الأثر: (٩٤/١٧).
(٣) انظر: مقدمة كتاب: جنة الحكام وجنة الخصام في الحيل والمخارج للشيخ الإمام سعيد بن علي السمرقندي الحنفي: (ص: ٥)، الموافقات: (٢٠٢/٤)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية: (١٦٨/٣)، إعلام الموقعين: (١٨٨/٥)، كشاف القناع: (٣٠٧/٦).
(٤) انظر: إعلام الموقعين: (١٨٨/٥).
(٥) البخاري، برقم: (٧٨٣)، وأبو داود، برقم: (٦٨٣-٦٨٤).
(٦)الموطأ برقم: (٢٤- ٢٥).
(٧) انظر: الموافقات: (٢٠١/٤).
(٨) انظر: الموافقات: (٢٠١/٤).
(٩) انظر: المرجع السابق: (٣٧٨/٢-٣٧٩).
(١٠) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية: (ص: ١١٠).
(١١) انظر: مقدمة كتاب: جنة الحكام وجنة الخصام في الحيل والمخارج: (ص: ٥).
(١٢) انظر: الحيل الشرعية في الفقه الإسلامي للدكتور صفوة كوسة.
(١٣) انظر: الموافقات: (٣٨٥/٢).
(١٤) مسلم، برقم: (١٧٢٠).
(١٥) انظر: تفسير القرطبي: (٢٢١/٦).
(١٦) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤٥/٢٩)، المخارج في الحيل: (ص: ٩٣).
(١٧) انظر: بيان الدليل: (ص: ١٢١).
(١٨) انظر: مجموع الفتاوى (٢٤٥/٢٩).
(١٩) انظر: المخارج في الحيل: (ص: ٩٣).
(٢٠) انظر: تاريخ التشريع للخضري: (ص: ٢٨٠).
(٢١) انظر: الحيل الفقهية لمحمد إبراهيم: (ص: ٢٩).
(٢٢) انظر: أبو حنيفة للشيخ أبي زهرة: (ص: ٤٢٧-٤٢٨).
(٢٣) الأدب المفرد، برقم:(١٢٤)، البزار، برقم:(٨٣٤٤).
(٢٤) البخاري، برقم: (٧٠٨٤).
(٢٥) انظر: إعلام الموقعين:(١٨٩/٣).
(٢٦) انظر: الموافقات: (٣٨١/٢)، إعلام الموقعين: (١٦٣/٣).
(٢٧) البخاري، برقم: (٢٢٢٣) والنسائي، برقم: (٤٢٦١).
(٢٨) انظر: الموافقات: (٣٨٠/٢)، إعلام الموقعين: (١٦١/٣).
(٢٩) ابن بطة العكبري في جزء إبطال الحيل: (ص:٢٤).
(٣٠) انظر: إعلام الموقعين: (١٦٠/٣-١٦١).
(٣١) انظر: فتح الباري: (٣٢٨/١٢).

الأدب الإسلامي.. إشكالية المصطلح

د. كمال سعد محمد خليفة

في الآونة الأخيرة زاد الاهتمام بما يسمى بـ» الأدب الإسلامي» وتدافعت الدراسات الأدبية في مجموعة من الدوريات التي تصدر في العالم العربي والإسلامي في الاستئثار بإبداعات ودراسات لأقلام كثير من المبدعين، وفكر كثير من النقاد، لفت انتباههم انتشار هذه الظاهرة فأعملوا فيها أقلامهم وخبراتهم، مما أوغر صدور بعض المبدعين والنقاد، ومن ثم انقسموا إلى فريقين: أولهما: رحب بالإبداع الأدبي الصادر عن تصور هذه الظاهرة، وعد ذلك مظهرًا صحيحًا من مظاهر الثقافة والإبداع. سيما ومنتصف هذا القرن شهد صحوة إسلامية مباركة، حاولت إسقاط الإسلام فكرًا وعقيدة على جميع إفرازات العقل البشري ومظاهر تفوقه خاصة الإبداع الأدبي. وثانيهما: جاهدوا في مواجهتها، وتخذيل كوادرها الناهضة، فهمشوا كل ما يصدر عن أدبائها من إبداع، وشككوا في كل ما أفرزته من نتاج في ساحة النقد في ضوء هذه الرؤية الإسلامية، متهمين دعاتها بالظلامية والتراجع الحضاري المحطم للتقدمية والتغريب .

احتدم العراك بين هؤلاء وأولئك من فوق منابر الرأي ومدارس الفكر، وآلة الإعلام الرافضة للجهود المخلصة، التي استطاعت أن تتبوأ مكانا لم يكن ضيقا في عالم الإبداع الأدبي خاصة، حتى غدت هذه النظرية منهجا إبداعيا أفرز أدبا استطاع نقاده مع مبدعيه أن يضعوا اللبنات الأولى لنظرية إبداعية، تصدر في إبداعها عن عقيدة الإسلام، بوصفه دينا شاملا ودستورًا؛ لتنظيم علاقات الحياة، سواء الإنسان بالإنسان أو الإنسان بالكون أو الإنسان وعلاقته مع الله.

انتشر النتاج الإبداعي لما يسمى «بالأدب الإسلامي»، وحاول النقاد الذين تناولوا هذه الأعمال بحس نقدي منبثق عن عقيدة الإسلام. واتسع نشاط هؤلاء الناس حتى فاضت صفحات الدوريات التي تصدر في العالم العربي والإسلامي بهذا اللون الإسلامي الجديد، الذي تهيأت له تربة خصبة متسعة اتساع الكون والحياة والإنسان؛ «العقيدة الإسلامية» بشمولها وثرائها الديني والفكري والسلوكي.

في غمرة هذا التراكم الإبداعي تنبه بعض المخلصين لمحاولة استخلاص بعض المقومات الفنية والإبداعية التي تشكل ملامح ما يمكن تسميته بنظرية «الأدب الإسلامي» حتى يستلهمها المبدع عند إبداعه لأدب تشكل في ضوء التصور الإسلامي، فعندما يتعامل الناقد المسلم مع أي نص إبداعي من نصوص هذا الأدب تكون لديه مقومات جمالية خاصة تحكم تصوره في مناقشته لهذا العمل، وثوابت منهجية قائمة على ثوابت الإبداع الفني في تشكيله العالمي، وثوابت فكرية مستمدة من العقيدة الإسلامية.. وليس هذا معناه أن نفرغ النص من محتواه الفكري ونطوعه لمقاييسنا النقدية الصارمة، ولكن نبحث ونناقش النص في هذه المعارف أو المقاييس

من غايات الفن بناء مجتمع أفضل ومن غايات الدين سيطرة المثل الفاضلة على علاقات البشر

الجمالية التي يرتضيها الذوق الإسلامي، ولاسيما إذا عرفنا أن الأدب أي أدب لا يمكن أن يتخلى عن العقيدة أي عقيدة!! حتى الأدب الذي أبدعه بعض المعتنقين لمذاهب فكرية وضعية أو أيديولوجيات بشرية، إذا بحثنا في جوهره وجدناه ملتزمًا بهذه العقيدة أو الأيديولوجية أيًّا ما كان منبعها!! حتى الأدب الجاهلي كان يصدر في كثير من نصوصه إن لم تكن كلها، عن عقائدهم السائدة آنئذ، بخلاف أن الأدب يشارك الدين في وظيفة من أسمى وظائفه وهي كونه يسمو بالنفس الإنسانية إلى إنسانيتها الحقيقية «فالفن والدين صنوان في أعماق النفس، وقرارة الحس، وإدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع، وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال...» (١).

كما أن الدين يلتقي في حقيقة النفس بالفن، والأدب جزء منه- فكلاهما انطلاق من عالم الضرورة، وكلاهما شوق مجنح لعالم الكمال، وكلاهما ثورة على آلية الحياة (٢).

أستاذ الأدب والنقد المساعد- جامعة الأزهر

الأدب في ظل هذا التصور الديني، وجد في مجال الدرس النقدي جدلًا مازالت معركته قائمة، ولن تهدأ على الرغم من أن النظرية- إذا جاز لنا أن نسميها كذلك- قد استوى عودها وتجاوزت الفكرة طفولتها وأصبحت شابة فتية تبهر العين وتدهش النفس بعدما انتشر عبقها في عالم الإبداع الأدبي، وأصبحت لها مؤسسات ودوريات تتحدث باسمها، وتناقش أعمال مبدعيها في ضوء معطياتها الفنية والفكرية.

على الرغم من كل ذلك فإن الموتورين من دعاة التنوير والعلمانيين يحثون دائمًا التراب في وجه دعاة القيم الإنسانية، والتزام الثوابت الدينية!! إلا أن الأدب الإسلامي شق طريقه بثبات نحو عالم الإبداع فولد شامخًا شموخ العقيدة التي ينتمي إليها، ويترجم عن قيمها وثوابتها العريقة.. بمقدار وعيه بالذات التي ينتمي إليها (الله- الكون- الإنسان)، بحيث يتفاعل معها وينفعل بها، فتنعكس في ذاته وتطفو في إبداعه تجارب إنسانية وحياتية قادرة على التعامل مع مفردات الكون وطبيعة الحضارة التي تشكل توجهات الحياة التي يحياها المجتمع في واقعه، يومه وغده..

بدأت الدعوة إلى «الأدب الإسلامي» في العصر الحديث، منذ التفكير في محاولة أسلمة منظومة الحياة في شتى مناحيها.. لاسيما الثقافية والفكرية، عندما حاول المخلصون من مثقفي الأمة ومفكريها رد الأمة نفسها إلى الإسلام ردًا جميلًا، بعد أن لفت انتباههم سيطرة الفكر التغريبي على الحياة، هذا التيار الذي أفرزه الاستعمار الغربي في ربى الوطن العربي الإسلامي، فحملهم على التفكير في الواقع الثقافي للأمة- فضلًا عن القضايا الأخرى سياسية وعسكرية واجتماعية- ومحاولة تمزيق هذه الشرنقة التي كادت أن تخنق حالة التواصل الفكري مع العقيدة الإسلامية في ذلك الوقت.

فكان أول من فكر في ذلك المفكر الإسلامي «سيد قطب» في دراسته «منهج الأدب» التي نشرت ضمن بحوث كتابه: «في التاريخ.. فكرة ومنهاج»(٣).

فوضع خلالها مصطلحًا للأدب الإسلامي فقال: «الأدب- كسائر الفنون- تعبير موح عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان.. هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس ومن بيئة إلى بيئة، ومن عصر إلى عصر، ولكنها في كل حال تنبثق من تصور معين للحياة، والارتباطات فيها بين الإنسان والكون، وبين بعض الإنسان وبعض...».

ثم يشرح هذه الرؤية في مواطن مختلفة من هذا المبحث... والإسلام تصور معين للحياة تنبثق منه قيم خاصة لها، فمن الطبيعي أن يكون التعبير عن هذه القيم، أو عن وقعها في نفس الفنان ذا لون خاص «وحين يتم التكيف الشعوري في النفس البشرية بالتصور الإسلامي الإبداعي للحياة، فإن أثر هذا التكيف يبدو في كل ما يصدر عن هذه النفس، لا على وجه الإلزام والإرغام، ولكن على وجه التعبير الذاتي عن حقيقة هذه النفس، يستوي في هذا التعبير أن يكون صلاة في المحراب أو سلوكًا مع الناس أو عملًا فنيًا وجهته تصور الجمال وتصور الحياة بما فيها من القبح والجمال».

وحينما أقول «إن الأدب موجه، وإن له منهجًا يلتزمه، فلا أعني بذلك التوجيه الإجباري على نحو ما يفرضه أصحاب مذهب التفسير المادي للتاريخ، إنما أعني تكيف النفس البشرية بالتصور الإسلامي للحياة وهو وحده سيلهمها صورًا من الفنون غير التي يلهمها إياها التصور المادي أو أي تصور آخر، لأن التعبير الفني لا يخرج عن كونه تعبيرًا عن النفس، والإسلام يرسم صورة للحياة في النفس، ويكيف النفس بهذه الصورة فتندفع في حركة واعية مبدعة إلى تحقيقها في عالم الواقع بتطوير الحياة كلها في هذا الاتجاه» (٤).

والمفكر الإسلامي يقدم في بحثه «التصور الإسلامي» لفكرة الأدب في عمومه فهو تعبير موحٍ عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان» (٥) وخصوصًا «تنبثق من تصور معين للحياة»، «والإسلام تصور معين للحياة، تنبثق منه قيم خاصة لها» أي لهذه الحياة.

وهنا يقدم الناقد في مصطلحه ما يطمئن المتخوفين من أن «الأدب الإسلامي» لا يكون إلا أدب وعظ وإرشاد- في تعبير مباشر فيكون ضعيفًا مملًا، لا تميل إليه النفس، لفقدانه مقومات الإبداع وحيويته فأحيوا ادعاء قديمًا: بأن «الأدب عندما ولج باب الإسلام ضعف ولان»، «إن الشعر نكد لا يقوى إلا في الشر، فإذا أدخلته في باب الخير لان» (٦) فلذا قدم الناقد قطبي المعادلة في نجاح العمل الأدبي: «تعبير موح، وقيم حية ينفعل بها ضمير الفنان تنبثق من تصور الإسلام».

وبهذا يكون قد اكتمل طرفا المعادلة التي تصنع أدبًا خالدًا، قادرًا على التواصل مع المتلقين في حياة الأحياء من البشر، فإن المضمون الإنساني الإسلامي لابد له من مقومات إبداعية تستطيع تقديم هذا الفكر، ولو انعدم أحد جناحي العمل الإبداعي لتحطم العمل كله، ولا يستطيع أن يكتب النص الأدبي شهادة ميلاده، مهما كان أحدهما موفقًا على حساب الآخر، فلابد أن يتوازنا معًا «فكل منهما مؤثر في الآخر كما يقول الناقد جيروم سولينتز» (٧). ومن ثم فإن «كلمات الصدق والورع والإيمان والتقوى والشجاعة إذا جاءت بمفردها عارية من الإشراقات الروحية التي يشعها البناء الفني أصبحت مجرد كلمات مملة لا توحي بشيء» (٨).

إذن، فالأدب الإسلامي في إبداعه (شكله ومضمونه) يراعي إلى جانب الفكرة (المضمون) مقومات الشكل الفني، للوعاء الإبداعي.. الذي تتشكل التجربة داخله، من ثم يحرص الأدب الإسلامي على القيم الفنية الجمالية في إبداعاته، وينميها، ويضيف إليها بوصفها، تراثًا جماليًا عالميًا متاحًا لكل من لديه موهبة على الرغم من اختلاف اللغات والصيغ الفنية

وخصوصيات التعبير.

يأتي بعد ذلك المفكر الإسلامي «محمد قطب» ولعله طالع ما كتبه سابقه المرحوم «سيد قطب» فأفاد منه، وأيًّا كانت الإفادة فالأخوان يصدران معًا عن ثقافة واحدة وفكر واحد ورؤية واحدة في الأعم الأغلب إلا أن المفكر محمد قطب أراد أن يضع مفهوم «الإسلامية» ليشمل كل الفنون كالرسم والتصوير الفني التشكيلي والموسيقى، فأبدل لفظة الفن بالأدب- والأدب جزء من الفن- فقال في تعريفه «للفن الإسلامي» في كتابه «منهج الفن الإسلامي» (٩): إنه التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان.

ثم راح يقدم شرحًا لهذا المفهوم- كما فعل سابقه- فقال: الفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام، وهو على وجه اليقين الوعظ،المباشر والحث على اتباع الفضائل، وليس هو كذلك حقائق العقيدة المجردة، مبلورة في صور فلسفية، إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود...»، هو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود (١٠).

وإذا تصفحنا كتابه هذا عثرنا على مجموعة من الأفكار وإن اختلفت صياغاتها اختلافًا ما، إلا أنها ترتكز على أسس النشاط الإبداعي ومقوماته فيقول: «الفن- في أشكاله المختلفة- هو محاولة البشر لتصوير الإيقاع الذي يتلقونه في حسهم من حقائق الوجود، في صورة جميلة موحية مؤثرة، والفنان شخص موهوب ذو حساسية خاصة تستطيع أن تلتقط الإيقاعات الخفية اللطيفة التي لا تدركها الأجهزة الأخرى في الناس العاديين، وذو قدرة تعبيرية خاصة تستطيع أن تحول هذه الإيقاعات- التي يتلقاها حسه مكبرة مضخمة- إلى لون من الأداء الجميل يثير في النفس الانفعال، ويحرك فيها حاسة الجمال...» (١١).

والفن ليس «فكرة ولا فلسفة»، ولا «مفاهيم مجردة» كالتي تعنى بها البحوث الفكرية في شتى الميادين،وإنما هو: الانفعال الذاتي الخاص بالأشياء والأشخاص من الأحداث، الانفعال الذي تتلقاه كل نفس مفردة، على طريقتها الخاصة في التلقي، وتنفعل به في أعماقها، وتعانيه معاناة كاملة بكل جزئياته وتفصيلاته، ثم تخرج من هذه المعاناة المشتبكة بوشائج النفس النافذة إلى حناياها ودروبها المختلطة، برصيدها الخاص من المشاعر والتجارب والاتجاهات والميول.. تخرج منها بتجربة شعرية معينة أو بإفراز معين يحمل السمات الذاتية لصاحبه في صورة جميلة يتوافر لها التأثير والإمتاع (١٢).

والمدقق في هذه المقتطفات للأستاذ «محمد قطب» يجد أنه لا يخرج كثيرًا عن مفهوم «الأدب الإسلامي» لأخيه «سيد قطب»، إلا أنه أسرف في توضيح مفهومه! وله العذر في ذلك؛ لأنه يعد من أوائل الذين نادوا بهذه الفكرة، فالتقط الخيط من أخيه الذي أوجز مفاهيمه عن صورة الأدب، أو منهج الأدب الإسلامي في مبحث بسيط قليل الصفحات، أما هو فأراد أن يرسم الملامح العامة لهذا «الفن الإسلامي»، الذي أراد له أن يكون شاملًا شمول العقيدة الإسلامية، التي ينبثق عنها، في قيمه وأفكاره وتصوراته. «فالتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، هو أشمل تصور عرفته البشرية.. يأخذ الوجود كله بمادياته وروحانياته ومعنوياته بكل كائناته.. تصور لا يجعل الحس بمعزل عن الحياة المنبثقة في أعمال الكون، بل يطلق الحس ليتمثل الحياة في كل شيء في هذا الكون، ويتصل بها اتصال المودة والقربى والإخاء...» (١٣).

من هنا ندرك أن «التصور الفني الإسلامي للكون والحياة والإنسان، هو تصور كوني إنساني.. مفتوح للبشرية كلها؛ لأنه يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان، ويتلقى منه كذلك من حيث هو كائن تتلاطم داخله الأمواج، ومن ثم يستطيع أي إنسان أن يتجاوب مع هذا التصور، ويتلقى الحياة من خلاله بمقدار ما تطيق نفسه هذا التلقي، وذلك التجاوب» (١٤).

في ظل هذه الشمولية الرائدة يحفزنا هذا الناقد الإسلامي أن ندفع بهذا المفهوم إلى حلبة الإبداع ونحن مطمئنون تمامًا أن الرؤية المستغرقة للخير المكاني (الكوني) والحياتي (الواقع) والنمطي (الإنسان)، باستطاعتها إذا ما توافرت لدى مبدعينا مقومات الإبداع، والتي لم يغفل عنها المصطلح في ترسيمه الأول، أن تقدم إبداعًا- أدبًا، فنًّا- رائعًا، قادرًا في الوقت نفسه على تصحيح المسار الاجتماعي في الحياة بكل جوانبها الحضارية التي تفرز مجتمعًا حقيقيا، باستطاعته أن يكون نموذجًا للخلافة في الأرض، فيحقق إرادة الله تعالى في خلقه، ووجودهم في هذه الحياة.

وبعد أن وضع الأخوان (سيد ومحمد قطب) البدايات الأولى لمصطلح «الأدب الإسلامي» ومقومات إبداعه، في ضوء هذا التصور الإسلامي الشامل شمول الحياة الإنسانية ذاتها، بدأت الجهود تترى، وتتدافع بعد ذلك لوضع التخطيط الدقيق لنظرية «الأدب الإسلامي»؛ لتكون نظرية كونية باستطاعتها أن تحتوي الإبداع في شتى مجالاته، الإنسانية والحياتية، إلا أن المفاهيم التي قدمها هؤلاء النقاد لم تخرج عن البدايات الأولى، ولذا في عجالة سنقدم هذه المفاهيم لنقف على الأسس الفنية لهذا الأدب الحضاري..

من هؤلاء الذين عنوا بـ«الأدب الإسلامي» نظرية وإبداعًا:

١- د.نجيب الكيلاني (١٥):

لاشك أن «نجيب الكيلاني» طالع وأفاد مما كتبه الأخوان (سيد ومحمد قطب)،

بل توافرت لديه بعض المشاريع الأخرى التي حاولت أن تتحدث حول موضوع أثر الإسلام في العلوم والفنون، واعتماده «الإسلامية» منهجًا في مطالعاته وإبداعه الأدبي، ودراساته النقدية، والاجتماعية... وغيرها، فنجده- مثلًا في دراسته المبكرة وهو ما يزال طالبًا في كلية الطب «إقبال الشاعر الثائر»- يقدم تصورًا عن ماهية الفن، فيقول:

«إنه ذلك «النتاج» الفذ، أو العمل الرائع، الذي تخرجه عقول ذات مميزة واستعداد خاص، والذي ينبع من صميم الوجدان النابض والشعور الواعي، والذي يصور مكنونات الصدور، ومخزون الأفكار في براعة وإبداع، والذي يرسم للحياة صورًا ناطقة صادقة...» (١٦).

ولسنا هنا بصدد الحكم على فنية الصياغة، ولكن يحمد له مراعاته- وهو حديث عهد بالتأليف، فهذا أول كتبه- لمقومات الإبداع في الفن: نتاج فذ رائع (فني)، تخرجه عقول ذات ميزة واستعداد خاص (الموهبة)، نابع من الوجدان النابض والشعور الواعي (تجربة شعورية واعية)، وأخيرًا يرسم للحياة صورًا صادقة (فنية في شكلها ومضمونها).

وهذا مفهوم عام للفن، أما كونه ينبثق عن الإسلام في تصوره ومعناه، فذلك ما قال به عند الحديث عن «غايات الفن» فقال: «الفن باعث للنور في دياجي الحياة، مرسل للبهجة في آفاقها، حامل لمشعل الأمل والهداية في جنباتها، جاعل من مادتها الثرية الفريدة متعة للنفس، وسعادة للروح، وتسلية لها في حياتها الصاخبة، ويسمو بالإنسانية نحو القمة المرموقة والآفاق الروحية التي تموج بما يسعد الحياة ويجعلها جديرة بالاحترام والحب، وهنا يلتقي الفن بالدين» (١٧).

بعد ذلك يلتحم «نجيب الكيلاني» بالإسلامية، لاسيما بعدما انتظم في سلك جماعة الإخوان المسلمين وتغلغلت العقيدة في ذاته إلى درجة تصل إلى حد الإفراز

ظل الأدب في العالم أجمع مرتبطًا بالعقيدة الدينية على مدى عصور طويلة

الفكري والأدبي الخاص بها، فأصدر كتابه «الإسلامية والمذاهب الأدبية» في عام ١٩٦٢م، وكان الكتاب في جوهره بمنزلة استدراك على ما قدمه «محمد قطب» حيث تناول فيه الموضوعات التي كان «نجيب الكيلاني» وغيره من المهتمين «بالأدب الإسلامي»، يرون أن كتاب «منهج الفن الإسلامي» جاء ناقصًا منها، فأراد بكتابه هذا أن يتم البناء، ويقيم الصرح الذي نذر له نفسه فكرًا وإبداعًا... فقدم في هذا الكتاب أيضًا مفهومًا لا يبعد كثيرًا عن مفهومه الذي ذكرناه آنفا.. حاولنا صياغته في أنه: «تعبير رائع ممتع عن النفس والحياة.. يتميز بالأصالة والصدق.. تعبير عن التجارب الإنسانية في شكل «فني» متعارف عليه، سواء أكان هذا الشكل قصة أو قصيدة أو مسرحية أو قطعة موسيقى» (١٨).

وحاول أن يفصل ما قدمه في عبارة أخرى تكشف ما أجمله من مفردات الفن فقال: «إن مادة الفن هي الحياة والنفس الإنسانية، ومقوماته هي الصدق والأصالة الفنية والمضامين السليمة، ومادة الدين هي الحياة والنفس البشرية، ومقومات الدين الصادق هي الصدق والأصالة والمثل العليا التي تتواءم مع واقع الحياة وتتطور معها وتشبعها بالسعادة والحب والإخاء والعدالة والحرية» (١٩).

وغاية الفن الإمتاع، والإفادة والتحريض على بناء مجتمع أفضل، وغاية الدين لا تخرج عن إسعاد البشرية واستمتاعها بحياتها، وسيطرة المثل الفاضلة على علاقات البشر، والتهيؤ لعالم آخر.. عالم أفضل» (٢٠).

وكأن الأديب «الكيلاني» هنا يحاول التأكيد على علاقة الدين بالأدب، لاسيما إذا كان هذا الدين هو دين الإسلام، الذي جاء لهدف إسعاد البشر كافة، فلابد أن يكون الأدب الذي ينبثق عنه قائمًا على أسس جمالية مستمدة من الإسلام نفسه، وإذا انتفت عنه هذه المقومات أصبح عبثًا لا قيمة له، مثل أشياء كثيرة ولدت شائهة في حياتنا، فشوهت الصور الجميلة التي أبدع الله تعالى عليها الخلق والحياة..

ونجده في كتابه «مدخل إلى الأدب الإسلامي» ربما تحرر من القيود السياسية التي كانت تفرض عليه آنئذ، فينطلق ليحدد مفهومه الخاص عن «الأدب الإسلامي» (٢١)، الأدب المرتبط بالإسلام بوصفه عقيدة ربانية مميزة، فطرح فكرته عن هذا المنهج الإبداعي لـ«الأدب الإسلامي» أوضح فيه كل ما يتعلق بمفردات هذا المصطلح، وناقش من خلاله بعض الهواجس التي تطن في آذان بعض المتخوفين من سيطرة «الأدب الإسلامي» فيتفاداهم قطار الشهرة الذي يركبونه الآن، ثم لخص كل هذه الأفكار وبيّن مفهوم الأدب الإسلامي الشامل عنده فهو:

«تعبير فني جميل مؤثر نابع من ذات مؤمنة.. مترجم عن الحياة والإنسان والكون.. وفق الأسس العقائدية للمسلم.. وباعث للمتعة والمنفعة ومحرك للوجدان والفكر.. ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما» (٢٢).

ولاشك أن نجيب الكيلاني في مفهومه للأدب الإسلامي، يعرض خبرته بعملية الإبداع الأدبي، إذ لا يفوته منها ما ينال من التجربة الإبداعية، فهو على وعي تام بمتطلباتها الفنية والموضوعية، فالتعبير الذي يراد به الشكل في مجمله لابد أن يكون فنيًا وجميلًا ومؤثرًا في الوقت نفسه، ولابد له أن يولد عن تفاعل بين الذات المبدعة والنص المبدع نفسه (التجربة)،

وهذه الذات محكومة بتصور إيماني فاعل له خاصية المشاركة في الحياة واحتوائها لكل مفردات الإنسانية والكونية وفق التنظيم العلائقي للعقيدة الإسلامية، وفي الوقت نفسه يبعث في تشكيله على المتعة والمصالحة غير المباشرة للمشكلات التي تعترض طريق الإنسان في هذه الحياة، فيحرك الوجدان الإسلامي والفكر العقدي ليتخذ موقفًا لما يعرض له من هذه المشكلات الحياتية فلا يخضع للواقع المعاش، أو يستسلم لمقولاته، وإنما ينشط ويتحفز دائمًا ليسمو فوق هذا الواقع، ويتخطاه إلى حيث تهدأ نفسه وتسكن جوانحه، وتبدل الحياة من كآباتها إلى النشوة الإنسانية العاقلة التي تمخض عن واقعية الإسلام الذي لا ينفصل فيها الواقع الأرضي عن الواقع السماوي بحقيقته العليا، وروحانيته وإعجازه وقدره.. ومن ثم يشمل هذا الواقع كل عناصر الواقع القائم واحتمالاته غير المنظورة أو المدركة، فالواقعية الإسلامية تتجاوز البصر إلى البصيرة فترى بعينها الثاقبة المتزودة بنور الله ما لا يمكن بأرقامه وقوانينه الأرضية أن يراه (٢٣)، فهي إفراز للعقيدة الإسلامية التي تحمي الإنسان من الذوبان أو التهدم والسقوط في غياب الوضعيات الفكرية المتطاحنة والملتصقة بالأرض بوصفها واقعًا صلبًا تجتاحه أرجلهم من القفز الأعلى، ولكنه قفز الجراد ذو الأرجل المقيدة!! لكن الواقع الإسلامي لا يعدو كونه «فلسفة خاصة في فهم الحياة والأحياء» (٢٤) باستطاعة رؤيته الإسلامية أن تضفي عليها شيئًا من مقوماتها ومعطياتها، لتصبح واقعًا ملائمًا للمجتمعات التي تحتمي بالعقيدة، وتؤمن بها، وتبحث من خلالها كل شؤونها حتى يبدو انفعال العقيدة بالواقع انفعالاً حقيقيًا، من ثم يصبح الأدب أو الفن عمومًا، من وجهة نظر التصور الإسلامي، تعبيرًا عن الكون والحياة والإنسان من خلال التصور الديني، حتى يبدو الفن وكأنه جزء من الدين أو نبض من نبضاته ومعبر عن روحه

الأدب الإسلامي لا يتعارض مع الأدب العربي ولا يزاحمه في مقاعده ولكن بينهما علاقة الرحم والقرابة

من أجل سعادة حقيقية خالدة وممتدة، ولاسيما إذا اتضح لنا أن الدين لم يأت إلا لتنظيم حياة البشر وإقامتها على أصول ثابتة واقعية، ومنتظمة، تحمي ذلك الكيان العام وتفتح الطريق لنموه المستمر، وتخلق فيه الحوافز البناءة، وتمده بالأمل والشوق إلى الاكتشاف وارتياد المجهول (٢٥).

٢- د.عماد الدين خليل:

حاول الناقد «... عماد خليل»، من خلال التحامه بعملية الإبداع الأدبي في ضوء الرؤية الإسلامية المفعم بمقوماتها الفكرية في التاريخ الإسلامي وتصوره الفكري، فأفرز تجاربه الإبداعية المتنوعة التي تنطلق في رؤاها من العقيدة الإسلامية، وشحذ فكره كي يسهم بدوره في الكشف عن ملامح المصطلح الفنية والفكرية لهذا الأدب المنبثق عن الإسلام، بوصفه عقيدة تحتوي وتنظم كل سلوكيات البشر في تعاملاته مع الآخرين في كتبه المتعددة التي اختصت بهذه المهمة.

هل الأدب الإسلامي يتصادم أو يتضاد مع الأدب العربي؟

عندما قامت الدعوة للأدب الإسلامي، أو «أسلمة الأدب»، رأينا كثيرًا من الاحتجاجات المتضادة مع هذه الدعوة، وكيف يحدث ذلك ولدينا أدب عربي؟ وهل سيصبح لدينا مصطلحان فنقع في تحديد المصطلحات، وتماهي المفاهيم النقدية لهذا الأدب؟ وهل هذان المصطلحان سيتقابلان أم يمتزجان في تعانق وتواد يفرز تجارب ذات خصوصية مختلفة و فريدة؟

هذا ما واجهه الأخوان «محمد قطب والشهيد سيد قطب» ومن بعدهما أديبنا «نجيب الكيلاني» عندما دعوا لما يسمى بـ«الأدب أو الفن الإسلامي» فلاقوا من السخرية والاستكار ما لا يليق إلا بمن يأتون بدعة منكرة، أو بهتانًا من القول وزورا!

يقول الكيلاني (٢٧): «حينما قمنا ندعو إلى «الأدب الإسلامي» في أوائل الستينيات من هذا القرن، فكان الأمر مدعاة للدهشة، إن لم نقل الاستكار من غالبية المهتمين بالأدب والفن، وقال بعضهم: إننا لم نعرف إلا ما يسمى بالأدب العربي، في لغتنا العربية، ظنًا منهم أن «الأدب الإسلامي» سيكون بديلًا عن الأدب العربي.. ولم يَجُل بخاطرهم أن الأدب العربي جزء من الأدب الإسلامي، وأن مصطلح الأدب الإسلامي، يتضمن الأساس العقائدي للأدب العربي، وذاك ليس في الأدب، فلقد ظل الأدب في العالم أجمع مرتبطًا بالعقيدة الدينية، على مدى عصور طويلة حتى إذا كنا في العصور الحديثة، ولم يعد للسلطة الدينية وجهها الجماعي القديم، وراح الإنسان يبحث عن عقيدة أخرى، وظل هكذا ينتقل من عقيدة إلى عقيدة، ومن ثم لم تخل أعماله الفنية في أي وقت، أن تكون تعبيرًا عن عقيدة أيًا كانت هذه العقيدة» (٢٨).

فالأدب الإسلامي، لا يتعارض مع الأدب العربي، ولا يزاحمه في مقاعده، ولكن بينهما علاقة الرحم والقرابة.. فالأدب العربي مصطلح يطلق على الأعمال الأدبية المنشأة باللغة العربية أيًا كانت مضموناتها واتجاهاتها، وعصورها، أما الأدب الإسلامي فمصطلح يطلق على الأعمال التي تعالج قضية ما، برؤية إسلامية صافية، سواء كتبت باللغة العربية أو بغيرها من اللغات المختلفة، ومن ثم فالأدب الإسلامي كُلٌّ، بعضه ما يسمى بالأدب العربي، فبين الأدب العربي، والإسلامي إذن أمومة، وقرابة، فقد ولد الأدب الإسلامي في أحضان الأدب العربي» (٢٩).

ولهذا يقول الناقد . إقبال عروي (٣٠): عندما أعلن النقاد مصطلح الأدب الإسلامي، لم يجر في خلدهم أنهم

يخرجون على الناس ببدعة جديدة، وإنما كانوا يأملون، ويعملون على تصحيح مسار الأدب العربي، ومن ثم، فهم يعلنون بأن الأدب الإسلامي لا يتعارض مع الأدب العربي، ولا يزاحمه في مقاعده، لأن بينهما علاقة حميمة، وكل ما في الأمر أن الأدب العربي- قديمًا- عاش في أحضان العقيدة الإسلامية، وتنفس مبادئ الدين وقيمه، حتى أضحى إطاره العام، من أجل ذلك فقد اكتفى النقاد، وفي مرحلة لاحقة بمصطلح الأدب العربي.

أما في العصر الحديث، فقد ظهرت مذاهب وأفكار مخالفة للإسلام عمل أصحابها على تجسيدها في آدابهم وفنونهم، ولم يعد الإسلام الإطار الأوحد، ولم تعد قيمه الحد الفاصل، لأجل ذلك فقد ظهر لأولئك النقاد، أن التركيز على مصطلح «الأدب الإسلامي»، أمر مشروع يفرضه الواقع والعقل معًا.

وعلى ذلك، فالأدب الإسلامي، لا يرفض الأدب العربي، أو يلغي شيئًا منه، فلا ينكر ما يعرف بالأدب الجاهلي، أو صدر الإسلام، أو الأموي، أو العباسي، بما فيهم من شعر ونثر، يوافق الأدب الإسلامي، أو يخالفه، بل يرى في الأدب العربي ميدانًا رحبًا، يضم تيارات شتى منها ما هو جزء من جسد الأدب الإسلامي ذاته» (٣١).

ومن خلال هذا العرض السريع نرى: أنه لا تصادم بين ما يسمى اصطلاحًا بالأدب العربي، أو الأدب الإسلامي، كما أن الأخير منهما لا يزاحم الأول، ولا يلغيه، كما يظن البعض، إلا أنه بمنزلة إضاءة للأعمال الأدبية التي تصدر عن تصور إسلامي راق، وكان من الممكن أن يسمى كما هو شائع بين الدارسين بالتيار الإسلامي أو الاتجاه الإسلامي في الأدب العربي، لتذوب تخوفات المتخوفين على الأدب العربي، غير أن الرؤية الإسلامية الشاملة، التي لا تقتصر على الجنس العربي وأدبه أو الرغبة في إيجاد صلة عملية، تجمع بين آداب الشعوب الإسلامية قاطبة، وفي مقدمتها الأدب العربي (٣٢).

الهوامش

١- التصوير الفني في القرآن ص: ١٤٣، ١٤٤- سيد قطب- دار الشروق- عاشرة- ١٩٨٨م- القاهرة.

٢- منهج الفن الإسلامي ص: ٥- محمد قطب- دار الشروق- سادسة- ١٩٨٣- القاهرة.

٣- ص: ١١١- دار الشروق- سابعة- ١٩٨٧م- القاهرة، وكذلك النقد الأدبي أصوله ومناهجه ص: ٩٩- دار الشروق- ثالثة- ١٩٨٠م. القاهرة.

٤- ما ورد بين الأقواس من كتاب «في التاريخ.. فكرة ومنهاج»، مواطن مختلفة من ص: ١١- ٢٩

٥- قدم الأديب نفسه تعريفًا للأدب في كتابه النقد الأدبي فقال: «هو التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية».

٦-حسان بن ثابت ص: ٧٧، د. محمد طاهر درويش. دار المعارف- د ت- مصر.

٧- النقد الفني. دراسة جمالية وفلسفية، ت د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب- ثانية- ١٩٨٥- مصر.

٨- الإسلامية والمذاهب الأدبية ص: ٢٥، نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة- رابعة- ١٩٨٥م- بيروت.

٩- محمد قطب- ص: ٦- دار الشروق- ١- سادسة ١٩٨٣م- مصر.

١٠- منهج الفن الإسلامي- ص: ١١.

١١- منهج الفن الإسلامي- ص: ١١.

١٢- منهج الفن الإسلامي- ص: ١٨٢.

١٣- منهج الفن الإسلامي- ص: ١٣.

١٤- منهج الفن الإسلامي- ص: ١٨٣ بتصرف.

١٥- للأديب د.نجيب الكيلاني (١٩٣١م- ١٩٩٥م) أكثر من ثمانين مؤلفًا في «الأدب الإسلامي «نقدًا وإبداعًا، يتخذ «التصور الإسلامي» منهجًا لمعالجاته الفنية في هذه المؤلفات. راجع الكيلاني أديبًا. رسالة ماجستير للمؤلف في كلية اللغة العربية بأسيوط ١٩٩٢م.

١٦- إقبال الشاعر الثائر ص: ٣٨ مؤسسة الرسالة- رابعة- ١٩٨٨م- بيروت.

١٧- راجع إقبال الشاعر الثائر ص: ٧٨ بتصرف.

١٨- الإسلامية والمذاهب الأدبية ص: ١٣. مؤسسة الرسالة - الرابعة. ١٩٨٥م. بيروت، ونلفت النظر أن هذا المؤلف كان بصدد إتمام لكتاب «محمد قطب»، لذا نرى أن الكيلاني في مقدمته لهذا الكتاب في ص: ٩ ارتضى مفهوم «محمد قطب» للفن الإسلامي ولم يناقشه فيه.

١٩- مع الإسلامية والمذاهب الأدبية ص: ١٣، ١٤.

٢٠- مع الإسلامية والمذاهب الأدبية ص: ١٣، ١٤.

٢١- يلاحظ على الكاتب في كتبه السابقة برغم أنها تتخذ الإسلامية منهجًا فكريًا في معالجاتها إلا أنه يقدم مصطلحًا مباشرًا عن «الأدب الإسلامي» فقد كان يطرح سؤالا على نفسه ما الفن؟ ويجيب عنه بمفهوم عام، ثم يحدد بعد ذلك علاقته بالدين، أي دين!!

٢٢- مدخل إلى الأدب الإسلامي ص: ٢٦. سلسلة كتاب الأمة رقم ١٤ الصادر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية- جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ. قطر.

٢٣-الواقعية الإسلامية ص: ١٧، و ٣٣. د. أحمد بسام ساعي- دار المنارة- أولى- ١٩٨٥م- جدة.

٢٤- الإسلامية والمذاهب الأدبية ص: ١١١- نجيب الكيلاني.

٢٥- حول الدين والدولة ص ٥٣، ٥٤، بتصرف نجيب الكيلاني- دار النفائس- ثالثة- بيروت

٢٦- مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ص:٦٩ مؤسسة الرسالة- أولى- ١٩٨٧ بيروت.

٢٧- آفاق الأدب الإسلامي ص ٥. نجيب الكيلاني. الرسالة- أولى- ١٩٨٥م- بيروت.

٢٨- الشعر في إطار الثورة ص ١٩. د / عز الدين إسماعيل. دار العودة- ١٩٧٦م- بيروت.

٢٩- مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ص: ٨١. د / عبد الباسط بدر- دار المنارة- أولى- ١٩٨٥- جدة.

٣٠- مصطلح الأدب الإسلامي المعاصر- مقال برسالة الجهاد عدد ٩٥ السنة التاسعة يناير ١٩٩١م.

٣١- مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ص: ٨٣. د. عبد الباسط بدر.

٣٢- مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي ص: ٩١. د. عبد الباسط بدر. بتصرف.

عناية البلدانيين بجزيرة العرب.. أبعادها وغاياتها

د.خالد فهمي

كان للارتباط بين الإسلام والعرب في أكثر من ملمح أثر ظاهر في الحفاوة بكل عوالق هذه المفردة المركزية في الاتجاهات كافة، وطالت مناطق متعددة أنتجت معرفة شديدة الثراء لسانيًا، وحضاريًا، وجغرافيًا، وتاريخيًا، على الأقل، حتى غدا العلم بخصائص العرب، والإحاطة بما يتعلق بهم أمرًا ضروريًا لتمام المعرفة بالإسلام.

ولعل أجلى مظاهر هذه الحفاوة هو ما يواجهنا في ميدان الدرس اللساني أو اللغوي، إذ كان إعلان الذكر الحكيم في مواضع كثيرة أنه نزل بلسان عربي مبين إيذانًا بنشاط جبار وغير مسبوق في تاريخ العلم الإنساني بالعناية بجمع اللغة العربية والتصنيف فيها ودراستها، والتقعيد لنظامها، والجد في استنباط خصائصها على المستويات المختلفة.

وهذا الذي حدث في ذلك المجال على هامش قوله تعالى ﴿إنا أنزلناه قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون﴾ (يوسف ٢/١٢) وأمثال له كثيرة، (انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث بالقاهرة سنة ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م ص ٥٥٩)، غير فريد في بابه، ولكنه معروف في الميادين العلمية كلها، بحيث نستطيع أن نقرر أن واحدًا من أسباب نهضة العلم باللسان العربي كان هو إرادة خدمة الكتاب العزيز، إن بطريق مباشرة، وإن بطريق غير مباشرة.

(١) أبعاد عناية البُلْدانيين بجزيرة العرب

لقد افتتحت أدبيات كثيرة باب القول في خدمة أغراضها العلمية بسؤال يستمد وجاهته من الارتباط بخدمة فهم الإسلام، كان هذا السؤال يبحث عن أسرار الاختيار الرباني لجزيرة العرب وللسان العرب ولرجل من العرب محضنًا أول لانطلاق الدين الخاتم، وهو الأمر الذي أسهم في تفجير ثورة معرفية بكل المقاييس، ومن دون مبالغة في استعمال هذا التعبير، وهو بعض الذي أسهم كذلك في ظهور عناية الجغرافيين العرب بتحديد جزيرة العرب تحديدًا جغرافيًا يقيس أبعادها، ويعين طرقها، ويسمي مواضعها، وهو ما انعكس في أشكال متنوعة يأتي في مقدمتها ما يلي:

بيان حدودها الجغرافية إجمالًا

وهو ما ظهر في المعاجم البلدانية المختلفة، بحيث تعاملت هذه المعاجم مع جزيرة العرب بحسبانها مدخلًا معجميًا، وازدادت تحته المعلومات المختلفة الكافية في بيان حدودها ومعالمها، وهو ما تجد أمثلة له في صنيع أبي عبيد البكري الأندلسي ٤٨٧هـ، حيث افتتح معجمه الجغرافي «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» بالحديث عن جغرافية جزيرة العرب، يقول ١/٥: «وأنا أبتدئ الآن بذكر جزيرة العرب»، ثم عاد فصنع لها مدخلًا بحسب ترتيب مداخله مرة أخرى، أحال فيه على الموضع الأول.

وهذا الافتتاح ربما يعكس بعضًا مما لمسناه في افتتاح مقالتنا هذه.

وهو الأمر الذي صنعه ياقوت الحموي ٦٢٦هـ في معجم البلدان الذي هو أشهر المعاجم البلدانية إطلاقًا، حيث صنع لها مدخلًا ١٣٧/٢ (طبعة صادر ١٩٩٥م) أحاط فيه بحدودها وتقاسيمها.

ولم تقف عناية هذه المعاجم البلدانية عند بيان الحدود والتقاسيم الإجمالية فقط، وإنما عنيت بكل موضع وبقعة ومحلة مفردة، وصنعت لكل منها مدخلًا بحسب ترتيب هذه المعاجم، مما يصح معه القول إن هذه المعاجم رصدت بلدان جزيرة العرب تفصيلًا في توزيعها على مداخل مختلفة متنوعة.

ب- التأليف المستقل في جغرافية جزيرة العرب

وقد كان طبيعيًا أن يستقل التصنيف في جغرافية الجزيرة العربية لغايات سوف يأتي المقال إليها بعد قليل، وفي هذا المجال يرد كتاب الهمداني «صفة جزيرة العرب» ليمثل القمة في العناية المستقلة بهذه البقعة المتميزة من أرض الله، وهذا الكتاب بتقدمه وبما حواه من معرفة جغرافية عن جزيرة العرب يمثل عمدة الأدبيات الجغرافية التي عنيت بجزيرة العرب، على ما شهد بذلك شكيب أرسلان، وعلامة الجزيرة حمد الجاسر رحمهما الله، وغيرهما.

ج- التصنيف في طريق الحج

وقد كان للغاية الدينية أثرها في ظهور أدبيات جغرافية فريدة ونادرة عند المسلمين هي المصنفات التي اهتمت ببيان طرق الحج ومسالكه ومواضعه وخططه، ومن أدبيات هذا الفرع كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة لأبي إسحق الحربي ٢٥٨هـ، والمتأمل لهذه الأفرع الثلاثة لعناية البلدانيين أو الجغرافيين

أستاذ بكلية الآداب جامعة المنوفية

العرب المسلمين يلحظ شيئًا مهمًّا جدًّا، وهو أنه لابد أن تكون ثمة أهمية بالغة لهذه الأرض التي خدمت هذه الخدمة المتفردة من الناحية الجغرافية، وهي بعض الذي توضحه الفقرة التالية.

(٢) غايات عناية البلدانيين بجزيرة العرب

ظهرت عناية الأدبيات الجغرافية في تجليات مختلفة رصدناها إجمالاً فيما مر مما يفتح الباب أمام سؤال الغايات التي أظهرت هذه العناية بأشكالها المختلفة، وبالإمكان أن نرصد الغايات التالية لنرى فيها حواكم أساسية حكمت عناية الجغرافيين المسلمين بها:

الغاية الدينية.

وهي الغاية الأم في تصورنا، التي حركت همة البلدانيين نحو العناية بحدود الجزيرة ومواضع بلدانها، وطرقها المختلفة، وهذه الغاية هي بعض ما التفت إليه كراتشكوفسكي في كتابه الأدب الجغرافي في تلميحه عن ريادة العرب جغرافيًّا، وهو بعض ما ألمح إليه أيضًا مصطفى الشهابي في كتابه «الجغرافيون العرب» (ص ٢٣).

وبالإمكان أن نرصد من أشكال هذه الغاية الدينية تنوعات عديدة تشكل أبوابًا متمايزة في هذا الميدان كما يلي:

غاية فهم النص القرآني

إذ تمثل الجغرافيا وسيلة لازمة لفهم كثير من الآي القرآني، ولاسيما في باب القصص القرآني، وفي باب الإعجاز القرآني في أبعاده الجغرافية.

غاية تشريعية

تتعلق بعدد من التكاليف الشرعية المرتبطة بمواقيت مكانية، ولاسيما على ما ظهر في فرع التأليف الجغرافي في طرق الحج، وهو الذي أعلنه الدكتور عبدالعزيز كامل رحمه الله في كتابه «طريق الهجرة».

غاية جهادية

وهذه الغاية من أسبق الغايات ظهورًا من وراء هذه العناية البلدانية والجغرافية بجزيرة العرب، في ارتباطها بالغزوات، وتطورها فيما بعد لتظهر خلف العناية الإسلامية بعلم الجغرافيا عمومًا لخدمة أغراض الفتوحات الإسلامية.

غاية دعوية

وهذه الغاية كانت بعض اللوازم التي فهمها المسلمون من وراء قوله تعالى ﴿ولتنذر أم القرى ومن حولها﴾ (سورة الأنعام)، بحيث صارت المعرفة البلدانية أمرًا لازمًا لتتميم نشاطات الدعوة الإسلامية، وتبليغ الرسالة، وهو غاية غير مفصولة عن الغاية الإيمانية الباعثة على تقدير بديع صنع الله في أرضه.

الغاية العلمية

هذه الغاية هي الغاية المركزية الثانية التي حكمت عناية البلدانيين بجزيرة العرب، على اعتبار أن تحصيل هذه المعرفة واجب بما هو علم ومعرفة لازمة التحصيل.

ج-الغاية الحضارية العمرانية

وهذه الغاية واحدة من أعلى الغايات التي نهضت بالحفاوة بجزيرة العرب جغرافيًّا، بما أن الضرب في الأرض وتذليلها، وتعبيدها لله تعالى أوامر إلهية متعانقة مع التكاليف الشرعية والمقاصد الكلية للدين.

لقد كان النص العزيز في حرصه على الدفع بالإنسانية إلى ارتياد آفاق الأرض وإعمارها، انطلاقًا من البقعة التي شهدت ميلاد الرسالة الخاتمة سببًا مباشرًا في هذه العناية بجغرافية هذه الأرض التي شهدت مولد النور.

وهذا الذي يقتضيه قوله تعالى ﴿قل سيروا في الأرض﴾، وما على شاكلته، وهو كثير جدًّا بحيث صارت العناية بجغرافية الجزيرة العربية، ثم بجغرافية الأرض كلها، مطلبًا قرآنيًّا لازمًا تقف في خلفية إرادة تحقيق أغراض إعمار الأرض وتقدمها وإسعاد الإنسان، وتوفير حاجاته منها، فضلاً عن إرادة تحقيق الإيمان بالله تعالى وترسيخه بما يظهر من آثار هذه الدراسة لجغرافية الأرض.

د- الغاية الاقتصادية

وتأتي هذه الغاية لتحقق التعاطي مع المطالب الاقتصادية في انعكاساتها المختلفة في ميادين الزارعة والمياه والرعي وطرق التجارة الداخلية والخارجية.

لقد اعتنى البلدانيون بجزيرة العرب للارتقاء بحياة المسلم على هذه الأرض، ولتحقيق الكفاية اللازمة لبناء الأبدان، بما هو حصاد لاستثمار الأرض الذلول، وتتبع عيون الماء، ومواطن انتشار الكلأ، وإقامة التجمعات السكانية... إلى غير ذلك من ملامح النشاط الاقتصادي.

لقد تحركت همم البلدانيين المسلمين العرب إلى العناية المتنوعة بالفحص الجغرافي لجزيرة العرب إجمالاً، ولذرعها وقياسها وملاحظتها تفصيلاً في تتبع المواضع والمياه، والمراعي، والطرق والمسالك، وفي الضمير منهم جميعًا خدمة الإسلام في ميادين الحياة المتشعبة.

وبالإمكان أن نقرر أن ثمة غايات أخرى غير هذه التي تقدم الحديث عنها، من مثل الغاية الأدبية واللغوية، بمعنى أن كتب جغرافية الجزيرة العربية، وجغرافية منازلها، وديارها، كانت دواوين جامعة للمعرفة الأدبية عامة والشعرية خاصة، بحيث تمثل هذه الأدبيات البلدانية مصادر أصيلة للشعر العربي في كثير من الأحيان- قادرة على تصحيح عدد ضخم من الأشعار، واستكمال عدد ضخم من شعر الشعراء، بالإضافة إلى حجم المعلومات التاريخية والأثرية والاجتماعية والثقافية عن العرب قبل الإسلام وبعده.

إن الضمير العلمي ليقرر وهو مطمئن أن مناطق من ميادين المنجز المعرفي المتعاطي مع جزيرة العرب ما تزال إلى اليوم بكرًا تحتاج إلى الفحص وإلى مزيد من الدرس والتتبع، ويوم يكون ذلك سنكتشف عظمة التأثير الذي أحدثه الإسلام في العقل العربي.

عمائر ومنشآت الرفق بالحيوان من شواهد عظمة الحضارة الإسلامية

أحمد أبوزيد

لم تهتم حضارة من حضارات العالم عبر التاريخ بالحيوان، أو تحرص على رعايته والرفق به، كما اهتمت حضارة الإسلام، فقد تعددت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الشأن، وبنى عليها الفقهاء أحكامًا شرعية وآدابًا التزم بها المسلمون في الحواضر والبوادي، ونشأت لها عمائر ومنشآت لرعاية الحيوان والرفق به، صارت عبر العصور من شواهد العظمة والريادة والتحضر في الحضارة الإسلامية.

وضع الإسلام، منذ أربعة عشر قرنًا، مبدأ الرفق بالحيوان، خلافًا لما يظنه البعض من أنه مبدأ أوروبي النشأة حديث الظهور، وبنى المسلمون لذلك عمائر لرعاية الحيوان، انتشرت على طرق الحج والقوافل في القرون الوسطى، ومازال بعضها قائمًا حتى اليوم في عديد من المدن العربية والإسلامية، وخاصة ما بني منها في العصرين المملوكي والعثماني، وهي عمائر تهتم بشؤون الحيوانات، من حيث سقايتها وإيوائها وإطعامها، وتمثلت في أحواض سقي الدواب والاسطبلات، وما كانت تضمه الوكالات والخانات التجارية من أماكن مخصصة لإيواء الحيوانات وإطعامها.

الإسلام والرفق بالحيوان

فالحضارة الإسلامية كان لها السبق في الرفق بالحيوان، باعتبار ذلك تعبدًا لله وطاعة بما أمر واجتنابًا لما نهى، فالرحمة بالحيوان قد تدخل صاحبها الجنة، والقسوة عليه قد تدخله النار، والنبي محمد ﷺ أول من دعا إلى الشفقة بالحيوان والرفق به ومساعدته في مطعمه ومشربه وفي صحته ومرضه، بل وأثناء ذبحه.

وهذا الدين الحنيف هو الذي ضرب للعالمين المثل الأعلى في الرحمة والرفق بالحيوان، فحرم القسوة عليه وإرهاقه بالأثقال والأعمال الشاقة، وحرّم التلهي بقتل الحيوان، كالصيد للتسلية لا للمنفعة، ونهى عن كي الحيوانات بالنار في وجوهها للوسم، أو تحريش بعضها على بعض بقصد اللهو أو التربّح المالي، وأنكر العبث بأعشاش الطيور وإحراق قرى النمل.

ولعلّ القرآن الكريم حين يصف أصنافًا من الحيوانات بالنعم والأنعام، فإنه يكرّم هذه المخلوقات، كما تسمّت سور عديدة بأسماء عدد من الحيوانات، كسورة البقرة والأنعام والنحل والنمل والفيل، وذكر القرآن الكريم عديدًا من الحيوانات والطيور وربطها بالإنسان عامة، وبكثير من الأنبياء والصالحين خاصة، واستعملها القرآن الكريم كمضرب للأمثال، مثل: ناقة صالح وحوت يونس وغنم داود وهدهد ونمل سليمان وطير إبراهيم، كما ضُرب بالحمار مع الرجل الصالح دليلًا على «البعث»، وضُرب المثل بالكلب في مواقف، وبالذباب في مواقف، وبالطير في مواقف أخرى.

وما قرره علماء الأمة وفقهاؤها من أحكام كفيلة برعاية الحيوان تبين وجوه الرحمة بذلك المخلوق، بدءًا من حرمة إجاعته وتعريضه للهزال والضعف، والتلهي

باحث دراسات إسلامية

به في الصيد، وطول المكوث على ظهره، وتحميله أكثر من طاقته، إلى رحمته قبل ذبحه إن كان مما يؤكل لحمه.

حقوق الحيوان

فالإسلام اهتم بالحيوانات ونظم لها حقوقًا قبل أن تقرها أو تعرفها الشعوب الأخرى، وقرر علماء المسلمين أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه، فإن امتنع أُجبر على بيعه، أو الإنفاق عليه، أو تركه إلى مكان يجد فيه رزقه ومأمنه، أو ذبحه إن كان مما يؤكل.

وقرر بعض الفقهاء أنه إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه، حيث لم تقدر على الانصراف، بل كانت الدولة الإسلامية ترى أن من واجبها متابعة رفق الناس بالحيوانات

فقد ورد عن فضائل عمر بن عبدالعزيز، رضي الله عنه، أنه كتب إلى صاحب السكك (أي رئيس أو مدير إدارة المرور والسير) ألّا يسمحوا لأحد بإلجام دابته بلجام ثقيل، ولا بنخسها بمقرعة في أسفلها حديدة، وكتب أيضا إلى عامله بمصر: «بلغني أن بمصر إبلًا نقّالات يُحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاك كتابي هذا، فلا أعرفن أنه يُحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل»، وأمر المحتسب (الشرطي) أن يمنع تحميل الدواب فوق ما تطيق، أو تعذيبها وضربها

أحواض سقاية الدواب انفرد بها المجتمع الإسلامي وعبرت عن معاني الرحمة في أوسع صورها

أثناء السير، ولديه الصلاحية لتأديب ومعاقبة من يراه يفعل ذلك.

ونقل الدكتور مصطفى السباعي طرفًا مما قرّره الفقهاء المسلمون من أحكام الرحمة بالحيوان ما لا يخطر بالبال ومنها ما رتبه الفقهاء من نتائج حقوقية في حق من يستأجر حيوانًا للحمل أو الركوب فحمّله أكثر مما يستطيع، وألزموه بضمان ثمنه لمالكه إذا نفق، ولم يعاقبوا الحيوان بما جنى على غيره، وإنما عاقبوا صاحبه إذا فرّط في حفظه وربطه، ومنعوا أن يؤجّر حيوان لشخص عرف بقسوته على الحيوان، خشية أن يجور بقسوته وغلظته على هذا المخلوق.

عمائر الحيوانات

وإذا نظرنا إلى العمائر والمنشآت الخاصة برعاية الحيوان والرفق به في الحضارة الإسلامية نجد أن هذه الحضارة كان لها السبق في إنشاء عديد من العمائر التي تأوي الحيوانات، وتوفر لها مياه الشرب في السفر والحضر، وأروع الأمثلة على هذه العمائر أحواض سقي الدواب.

فإلى جانب الأسبلة التي توفر مياه الشرب للإنسان، اشتهرت الحضارة الإسلامية بهذه العمائر المائية التي أطلق عليها اسم «أحواض المياه»، والتي قصد بها توفير ماء الشرب للدواب والأنعام، وذلك تطبيقًا لآداب الإسلام التي تحض على الرحمة بالحيوان والرأفة به، ومعروف أن الرحلات والأسفار في العصور الوسطى وما قبلها كانت تعتمد على الدواب، وكان لابد من توافر مثل هذه المنشآت التي توفر ماء الشرب لها.

وهذه الأحواض خصصت لها أوقاف حبسها الخيرون طلبا لحسن الثواب، وكان يراعى فيها أن تكون قرب أطراف المدن وأبوابها، حيث تكثر حركة الخارجين والداخلين من المسافرين والتجار.

وقد عرفت أحواض سقي الدواب بطرزها المختلفة في مصر وبلاد الشام، وفي مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وتحتفظ بعض المدن الأناضولية بنماذج من الأحواض السلجوقية التي مازالت قائمة حتى اليوم، وفي المغرب كانت

الأحواض تلحق بالمساجد، وتكون منفصلة عنها، وكان يصل إليها الماء الذي يفور من أحواض الأسبلة أو السقايات عن طريق أقصاب من الفخار، حيث يصب في أحواض سقاية الدواب، التي تشكلت معماريًّا من دخلات عميقة صغيرة تقع في أسفل صدر حائط السقاية، وفي أسفل تلك الدخلات تقع أحواض عميقة في أرضية السقاية ليسهل الشرب منها.

أحواض القاهرة

وكما يؤكد الباحث الأثري الدكتور خالد عزب فإن أحواض سقي الدواب انتشرت في مصر وبلاد الشام في العصر الفاطمي والمملوكي والعثماني انتشارًا كبيرًا، وكانت تقام على الطرق الرئيسة للمدن، وفي الأسواق المزدحمة، وعلى طرق الحج وطرق القوافل إلى الشام والمغرب، وكانت تقام بمفردها أو ملحقة بالخانات التجارية.

وداخل القاهرة وجدت الأحواض، إما منفردة أو ملحقة بالعمائر الدينية والمدنية والتجارية والحربية، حيث اتخذت موضعًا متميزًا في العمائر بالواجهات الرئيسة لها، ليسهل شرب الدواب منها، ويمكن تشبيه أحواض إرواء الدواب اليوم بمحطات الوقود التي تزود السيارات بالوقود وانتشارها في المدن وعلى الطرق، مما يبين مدى أهميتها.

ومن هذه الأحواض حوض قجماس الإسحاقي الملحق بمجموعته بشارع الدرب الأحمر، وحوض السلطان قايتباي بقرافة صحراء المماليك، ويوجد حوضان من العصر العثماني بنيا بالأحجار الرملية هما حوض إبراهيم آغا بباب الوزير، وحوض عبدالرحمن كتخدا بالحطابة.

عمارة الأحواض

ويتضح من الأحواض القائمة الآن في القاهرة، ومن الوصف الوثائقي للأحواض المندرسة، أن التكوين المعماري لها لا يخرج عن مساحة مستطيلة أو مربعة الشكل، وهي عبارة عن حجرة إيوان أو دخلة ذات ثلاثة جدران (صدر وجانبان)، والجانب الرابع مفتوح على الطريق، بأشكال وطرز مختلفة لتسهيل دخول الدواب للشرب من الأحواض.

أقيمت الأحواض إما منفردة أو ملحقة بالخانات التجارية والعمائر الدينية والمدنية والحربية

وكان صدر الحوض والضلعان الجانبيان يحتويان في أحيان كثيرة على عدد من الدخلات، ويختلف عدد هذه الدخلات من حوض إلى آخر حسب مساحته، فهي على سبيل المثال، خمس دخلات بصدر حوض قايتباي بالأزهر، وهي أربع دخلات بحوض عبدالرحمن كتخدا بالحطابة، وهي ثلاث في حوض قجماس.

وكان يوجد على جانبي هذه الدخلات أعمدة بنيت من نوع أحجار بناء الدخلات، وأحيانًا كان يعلو الحوض سواء بالصدر أو الضلعين الجانبيين، شريط كتابي، تتخلله أحيانًا رنوك تحوي نصوصًا إنشائية ودعائية، مثل حوض أم السلطان شعبان، وقد نص كتاب وقف الأمير عبدالرحمن كتخدا رقم ٩٤٠ المحفوظ في وزارة الأوقاف المصرية رقم ٩٤٠ على أن حوضه في الأزبكية كان بصدره أربعة ألواح من الرخام مكتوب عليها تاريخ محلى بالذهب، وكانت هذه الأحواض حجرية في غالبيتها، والقليل منها كان رخاميًّا، وكانت في معظمها مستطيلة الشكل، والقليل منها بيضاوي أو دائري.

تعدد الأحواض

ويختلف عدد هذه الأحواض من حوض لآخر، فمثلًا يوجد حوض واحد في حوض شرف الدين يحيى، وحوضان في حوض خجا بردي في ميدان الرميلة، وثلاثة في حوض دولات باي، وأربعة في حوض الوزير مصطفى في سوق السلاح، وخمسة في حوض الأمير رجب ببركة الحاج.

ومعظم أحواض الدواب كانت مغطاة بأسقف خشبية والقليل بقباب وأقبية، ولا يوجد في الوثائق ما يشير بوضوح إلى أن بعض الأحواض كانت بلا سقف، وقد زينت بعض الأسقف بنقوش ذات ألوان زيتية مختلفة، وذهبت وحليت باللازورد، مثل أسقف الإيوانات في المدارس وغيرها، وبعضها مغشاة من باطنها بحشوات خشبية مجمعة على هيئة أشكال هندسية ونباتية رائعة التكوين، كما في سقف حوض أم سلطان شعبان، وحوض السلطان قايتباي وحوض أزبك اليوسفي.

تزويد الأحواض بالماء

وكل أحواض سقاية الدواب كانت تستمد ماءها عن طريق السواقي الموضوعة على الآبار، وكانت الساقية ترفع الماء إلى حامل في مستوى علوي، وتتفرع منه مجاري مائية، سواء أكانت حجرًا أو أقصابًا فخارية أو رصاصًا، تنقل الماء إلى أحواض سقي الدواب، ومن أمثلتها الباقية ساقية السلطان قايتباي بالصحراء ومجاريها المائية المتفرعة منها، ومنها مجرى يصل إلى الحوض.

وقد عمل الخيرون ممن أنشأوا هذه الأحواض على تعيين خادم للحوض أو قيم أو فراش، لتمكين الدواب من الشرب بسهولة، ومساعدة الناس للاستفادة من ماء الحوض، كما أوكل إليه تنظيف الحوض وكنسه وغسله، وتجفيف أرضيته، والرش أمامه، والعمل على ملء الحوض بالماء بصفة دائمة، وكان العمل يبدأ من مشرق الشمس إلى آخر النهار أو أذان العشاء.

أما الفقراء فكانوا يضعون أمام بيوتهم ما يسمى «ميلغة الكلب»، وهو عبارة عن حجر صغير مجوف يُمْلأ بالماء، حتى تشرب منه الكلاب التي لا تستطيع الشرب من أحواض الدواب الكبيرة، ومازالت هذه الأحجار موجودة أمام بيوت البعض خاصة في الأحياء الشعبية بالقاهرة.

لغة وأدب

التوازن بين الشخصية والحدث في القصص القرآني

العمل القصصي الأدبي يقوم على محورين رئيسين هما الشخصية والحدث ، وفي القصص التاريخي تتغلب الشخصية على الحدث ، وقد تصل الشخصية لمرحلة القداسة ، وكذلك في القصص الخيالي حيث تدور أحداث القصة حول بطل خارق له مواصفات لا تنطبق على واقع البشر ، بينما القصص القرآني قصص واقعي لا يقدس الشخصية ولا يحلق بالإنسان في عالم الخيال واللاواقعية ، فلا نجد في القصص القرآني موقفًا من المواقف تستأثر به الشخصية وحدها أو الحدث وحده ، إنما تلتقي الشخصية مع الحدث أو الحدث مع الشخصية في توازن محكم ، فالشخصية في القصة القرآنية تؤدي دورها كشاهد من شواهد الإنسانية في هداها ورشدها ، وكذلك الحدث إنما هو موطن اختبار للشخصية حيث تظهر فيه معادن الرجال ، والحدث هو المقصد الأول من قصص القرآن ، فمن خلال الحدث تتكشف وجوه العبر والعظات مصداقا لقوله تعالى : ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ (الأعراف : ١٧٦)

التحرير

وظيفة الحلم والسخرية في القصة العربية القصيرة

«الكابوس» نموذج (١)

عبداللطيف خروبة

القصة القصيرة جنس أدبي قائم بذاته، مكتمل في تكوينه وتصوراته، تقوم بنيتها على الاختزال والتكثيف والترميز. و«الكابوس» هو عنوان المجموعة القصصية للكاتب نجيب الكيلاني. في هذه المجموعة تتداخل موضوعتان أساسيتان، هما الحلم والسخرية، وتدلان على أن صاحبها قد أدرك الاختلالات الحاصلة في القيم الإنسانية، والصراعات التي تعج بها الحياة، والتوترات المختلفة التي يعاني منها الإنسان المعاصر. فإلى أي حد ساهم الحلم والسخرية في تشكيل العوالم القصصية عند الكاتب؟.

١- تكثيف المضامين:

تتمحور هذه المجموعة حول قضايا إنسانية واجتماعية، فالمؤلف يكثف واقعا متكلسا، يسود فيه الظلم والقمع، والتشبث بالتقاليد البالية، وانهيار القيم الإنسانية الفاضلة. إنه يفضح الحياة المؤلمة ويدعو ضمنيا إلى جعلها إنسانية. ومن ذلك واقع المرأة في المجتمع العربي، فهي تعاني من القهر بكل أشكاله، لا مجال لها للاختيار، كل شيء يفرضه عليها الآباء فرضا، والشيء الذي يؤخذ بالاعتبار هو منفعة الأسرة ومصالحها المادية. وهذا ما نلمسه في قصص: «العار، ليلة الزفاف، الجو البارد، الجبابرة». ففي «ليلة الزفاف» فتاة يزوجها أبوها من رجل عجوز رغما عنها لأنه غني. كما تعرض لاستغلال الأزواج زوجاتهم من أجل ربح المال ولو على حساب الشرف، كما في قصة «الجو البارد» وتحكي قصة «الجبابرة» عن واقع فتاة فرضت عليها الأسرة الزواج من رجل مسن في الوقت الذي كانت تأمل أن تتزوج ابنه «سلطان» وفي قصة «العار» تتهم امرأة بحمل غير شرعي، فيقرر العم والأب قتلها محوا للعار، لكنها أصرت على براءتها، وعلى

نجيب الكيلاني

أن يفحصها طبيب مختص قبل أن يصدق كلام الناس. وكان ذلك سببا في نجاتها من موت محقق، ونجاة الأب من جريمة نكراء.

كما تعالج قضية الهجرة السرية من الدول الفقيرة إلى دول الخليج العربي الغنية كما في قصة «ساحل الذهب»، وتحكي بعضها عن معاناة المخلصين في العمل من حسد وكيد الوشاة، وهذا ما نلمسه في قصة «الطريق الشاق» أما قصة «الدليل التائه» فتتحدث عن الهوس بالشهرة الذي ينتهي بإفلاس صاحبه كما تعالج قضية القمع السياسي، كما في قصة «رجل في الزحام».

٢- الحلم:

الحلم وسيلة يتخلص بها الإنسان من الفضاءات الضيقة، لينطلق نحو الفضاء الشاسع الحر، فعندما لا تسمح ظروف الواقع بالانفلات والتحرر من الوضعية الراهنة، حينها تغرق الذات في الحلم. فيكون عزاء ونجاة، فيه تتداعى الأفكار والآمال والذكريات، فالحلم يشكل أساسا لتجاوز أو خلخلة سؤال الواقعية في الكتابة القصصية (٢). والقصة لا تسمى قصة إلا بتوظيفها الحلم والخيال والتحرر من الواقع. (٣). فكيف استطاعت قصص «الكابوس» أن تعكس هذه الإستراتيجية؟.

إن موضوعة الحلم تهيمن على الكثير من أجزائها، ذلك أن الواقع القاهر والمؤلم هو الذي يدفع بالشخصيات إلى الحلم. ففي قصة «الرجل والأرنب» ظل عبدالله السروجي الفقير المريض يحلم بأن يُطعَم يوما ما أرنبا كي يشفى من مرضه: منذ شهرين وأنا أحلم بالأرنب، يخيل إلي أن فيه الشفاء.. يقولون إن لحم الأرنب سهل الهضم، خفيف على المعدة، ويعجل بالشفاء. (٤). تصوري يا نجية.. لقد حلمت بالأمس أنني أكلت أرنبا بكامله.. كان لذيذ الطعم.. الغريب

ناقد أدبي مغربي

في الأمر أن الحلم بدا لي حقيقة.. إني صحوت من النوم وأنا أشعر بالشبع (٥).

إن الحلم انتقاد للواقع، ودعوة إلى جعل الحياة أكثر إنسانية، وأكثر حرية من القيود، ففي قصة «رجل في الزحام» السيد عبدالباري الرجل البدوي البسيط اعتقل بتهمة الانتماء إلى تيار معارض، يسجن، ويعذب بشدة، وظل يحلم دائما بأنه سيفرج عنه، وسيُكتشف أنه اعتقل خطأ: بالتأكيد سيكتشفون أني مظلوم، ولا دخل لي بشيء. (٦) إنه يحلم دائما بالحرية ولا شيء غيرها، فهو لا يعرف للسياسة وجها، ولا عن الجماعات الدينية وغيرها شيئا: فسوف يأتي العسكري ذات مساء وقد أظلمت الدنيا، ويقول له: تعال يا سيد.. أنت حر.. اذهب لامرأتك فاطمة وأولادك. إن العالم الحُلمي التخيلي يكاد يصير عالما واقعيا ممكنا، خاصة عندما تشتد الأزمة، ويكبر الأمل في الفرج القريب: ويظل هذا الحلم الجميل يراوده في اليقظة وفي المنام، وعندما يستيقظ في الفجر ويجلس مع المعتقلين من أهل بلده، ويروي لهم الرؤية التي رآها وكلها تؤكد أنه سيفرج عنه لا محالة، فأصبحت الرؤيا كأنها جزء من الواقع والحقيقة (٧). وأحيانا ينقلب الحلم إلى تعاسة وشقاء، فيجني على صاحبه، خصوصا إذا كان لا يرضى بالقضاء والقدر، ويملأه الغرور. ففي قصة «الدليل التائه» يحلم محمد البكري بالشهرة التي لا يحققها إلا في القاهرة حيث دور النشر كثيرة.. كانت القاهرة تبدو لخياله كالجنة الموعودة، ففيها ستتألق مقدرته الفنية، وتشرق عبقريته الخلاقة، ويصبح أديبا من ألمع الأدباء، تتهافت الصحف إلى نشر قصصه، وتتسابق إليه دور النشر (٨). لا يصح أن يظل رجل عظيم مثلي

للسخرية أفضل أسلوب لانتقاد الواقع وتعمل على إعادة توازنه

مجهولا.. إن ما أكتبه أروع بكثير مما يكتبه عشرات الكتاب في الصحف والمجلات.. ليس هذا غرورا (٩). ويحلم بحياة أفضل في وسط القاهرة في شقة فاخرة مجهزة بأحدث التجهيزات ويمني زوجته بذلك: لن يمر عام واحد حتى تجدي نفسك تعيشين في شقة فاخرة، مفروشة بغالي الرياش، وإلى جوارك تلفون وخادم وعلى جسدك ملابس ثمينة.. وسيكون اسم محمد البكري على كل لسان.. سترينه مكتوبا على الأفلام السينمائية، وستسمعينه في الإذاعة (١٠). وفي القاهرة ظل حلمه بالشهرة والعبقرية يراوده ويزداد حدة يوما بعد يوم ويكتشف في الأخير أن حلمه ما كان إلا وهما قضى عليه: إن كتابي الأول عن حياتي التافهة الحقيرة.. عن قصة حب سخيفة لا معنى لها.. إن الوهم قضى علي.. لم أكن صاحب مبدأ (١١).

وأحيانا يتحول الحلم إلى كوابيس مزعجة تؤرق صاحبها خلال الليل، حيث تتداعى الأحداث والأفكار بشكل مرعب مخيف، ففي قصة «الكابوس» زعيم أوقع ظلمه على العباد وسخر في قمع الناس أعوانه، يحلم بأنه في يوم الصراط والحساب، حيث تحتشد الخلائق كلها، ويشتد الزحام، جال الزعيم ببصره هنا وهناك، ملايين الرؤوس والعيون والأيدي الملوحة، وأصوات متداخلة صاخبة تستغيث، الحر شديد، والغبار يكاد يزهق الأرواح وبرك سوداء تطمر الأقدام الحافية، وهدير صاخب الماء.. الماء.. ووجد الزعيم نفسه يصرخ معهم: الماء.. الماء (١٢). ويحلم بأن أصحاب الحقوق المهضومة يطوقونه، والمظلومون يمسكون بتلابيبه، وأرواح الذين قتلهم تتعلق بأكتافه، انهمرت دموعه في نوبة تشنجية وصرخ: أنا مسكين (١٣). ويستيقظ من حلمه وهو يهذي بكلام مبهم ويجد زوجته تنظر إليه في دهشة، لم تره من قبل كذلك، فهتفت: ماذا بك؟ تمالك نفسه وقال: كابوس، يا له من كابوس (١٤).

٣- السخرية:

إنها أسلوب يتخذه الكاتب ليتبنى موقفه من الواقع والعالم من حوله، وهي طريق سهل للنقد، والوصول إلى القارئ، فالكاتب عندما يواجه واقعا متصلبا، لا يسمع ولا يفهم ولا يبالي، يكون مضطرا إلى مواجهته بأساليب مختلفة، وعلى رأسها السخرية، فهي أفضل أسلوب لانتقاد الواقع، فإلى أي حد استطاع المؤلف أن يستثمر طريق السخرية في مجموعته القصصية هذه؟ وبناء موقفه من ذاته ومن العالم؟

إن السخرية في «الكابوس» عنصر مهم في الكشف عن مواطن الخلل في الواقع الاجتماعي، وتأتي في كثير من الأحيان مصبوغة بروح القوة والقسوة، ومن النماذج والأمثلة على ذلك ما جاء في قصة «الكابوس» حيث يسخر السجان من زعيمه: ابتسم السجان الصغير، وقال: عرفتك.. لشد ما تغيرت سحنتك.. كان اسمك بالأمس يهز القلوب.. لكنك اليوم أسود الوجه منظرك منفر، ويبعث القرف (١٥). صرخ الزعيم: أغلق فمك وإلا.. وإلا ماذا؟؟ أنت لا تساوي اليوم بعرة على الطريق..(١٦). إنها سخرية قاسية لاذعة تعيد الأمر إلى صوابه. كما أنها تكشف عن العالم الوحشي الذي لا مجال

فيه للضعيف: وأخذت السفينة تتمايل.. ونحن نتخبط ونصرخ.. والربان يصيح من وقت لآخر: اثبتوا في أماكنكم.. أيتها الكلاب النجسة.. (١٧). لم أكترث، لكن رجلا مسنا همس في أذني: الربان يريد أن يخفف العبء عن السفينة.. كيف؟؟ يقذف ببعض المسافرين إلى الأسماك.. هذا حيوان.. هذا وحش. ساد الصمت.. بينما صاح الربان: إن كثيرين يموتون ليحيا الآخرون.. أنتم تسمونها قسوة.. وأنا أسميها ضرورة.. أنا المسؤول وأعرف ما ينفعكم أيها الحمقى (١٨).

إن السخرية تحمل في طياتها رموزا دالة على الأنانية، والغطرسة والطمع، وتسلب الغير حريتهم في الاختيار. ففي قصة «ليلة زفاف»، نجد السارد يسخر من الشيوخ الذين يعانون من مراهقة متأخرة فيتزوجون النساء في سن بناتهم، ويتباهون بذلك، ويظنون أنهم أحسنوا صنعا: مثله لم يكن يحتاج لزوجة في ريعان الشباب، وإنما يحتاج إلى ممرضة مدربة، لتدلك له ظهره المنحني، وساقيه الضامرتين المريضتين ولتسقيه الدواء في المواعيد التي يحددها الطبيب.. لكن للأسف.. الناس هنا لا يفرقون بين وظائف الأنثى.. كزوجة.. أو خادمة.. أو ممرضة.. الأنثى تستعمل في أي شيء.. تصرفاتك هذه لا تحرك في شعرة واحدة.. أنا أعرف النساء جيدا.. ذات مرة.. (وكان ذلك منذ ثلاثين عاما) لم أرتح لتصرفات إحدى زوجاتي.. قتلتها على الفور.. (١٩).

وفي قصة «الجو البارد» الزوجة تسخر من تصرف زوجها الذي يبيعها بأرخص ثمن، ويأكل من لحمها، ولا يبالي بكلام الناس ولو كان صادقا: لم أصدق ما يجري نظرت إليه في دهشة لكنه ابتسم وقال: لو شهد أهل الأرض كلهم ضدك لما صدقتهم.. تمنيت أن يثور لشرفه وكبريائه، لكنه أحنى رأسه في أسف، واعتذر لي.. وعدنا إلى المسكن الحزين.. لم يكف عن الثرثرة عن الشرف وعفة أخلاقي، وكانت هذه الكلمات تنصب في أذني كالرصاص، وتملأني بالاشمئزاز (٢٠). فالسخرية تفصح عن موت الغيرة، وموت القلب حين يوظف زوج زوجته لكسب المال على حساب الشرف، فيسمي الرذيلة شرفا وطيب معدن.

إن السخرية تكشف عن موقف الكاتب الرافض للواقع الذي يسود فيه الظلم الاجتماعي بأنواعه والاستغلال بكل أشكاله البشعة، وعن الاختلال الحاصل في القيم الإنسانية الرفيعة، إنه يريد أن يقول: كفى ظلما للمرأة، وللناس الضعفاء، كفى استغلالا للنفوذ، كفى أنانية وغطرسة في اتخاذ القرار، ويدعو إلى ضرورة تجاوز التوترات والاختلالات الحاصلة، من أجل بناء مجتمع تسوده المودة والمحبة والأخوة الصادقة والسلام.

هكذا يتضح أن الحلم والسخرية شكلان من أشكال إعادة التوازن للواقع وللذات تجاه هذا الواقع، فيتحول العجز والتخلف والانكسار إلى قوة وعزة وانتصار، وسمو وتقدم على الواقع المأزوم، وتعال على الألم والضعف.

الهوامش

١- الكابوس وقصص أخرى، نجيب الكيلاني ط٣، مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٩٧.
٢- شهوة القص، أحمد أمنصور، ص٨٧، ط١، دار الحرف المغرب، ٢٠٠٧.
٣- نفسه، ص ٨٨.
٤- الكابوس، ص ١١٧.
٥- نفسه، ص ١١٨.
٦- ٧- نفسه، ص٩٢-٩٣.
٨- نفسه، ص ١٠٩.
٩- ١٠- نفسه، ص ١٣٩ -١٤٠.
١١- نفسه، ص ١٥٤.
١٢- نفسه، ص ١٠.
١٣- نفسه، ص ٢٨.
١٤- نفسه، ص ٣٥.
١٥- نفسه، ص ٩.
١٦- نفسه، ص ٢٦-٢٧.
١٧- ١٨- نفسه، ص ٥٢.
١٩- نفسه، ص ٧٧-٧٨.
٢٠- نفسه، ص ٧٧-٧٨.

صَوَابٌ مَهْجُورٌ

تصوير ونص: حياة الياقوت

قيل قديمًا «خطأ مشهور، خير من صواب مهجور». وإذا كان المعيار هو الشهرة، ألم يأنِ للصواب أن يكون مشهورًا ومعمولا به؟

في هذه الزاوية، نقبض على خطأ لغوي مشهور سوّل له إهمالنا أو جهلنا أن يظهر على اللافتات أو المنتجات أو في وسائل الإعلام. هذا، لننبّه وننوّه ونصحّح، لا لنفضح. ليكون الصواب هو المشهور والمجهور، وليستقيم درب لساننا العربي.

العدو نحو العدوى

الخطأ: العدوى.

الصواب: العدوي.

«لا تحقرن كيد الضعيف» كما قال الشاعر، ولا كيد هاتين النقطتين الصغيرتين، فهاتان النقطتان حولتا العَدَوِيّ إلى العَدْوَى، وقاكم الله شرها! ولولا كتابة الاسم باللغة الإنجليزية لما استدل البعض على الاسم الصحيح.

النقطتان عجيبتان تحولان الاسم إلى حرف جر: عليّ وعلى، وتحولان المؤنث إلى مذكر والعكس: يسرى ويسري!

وتحولان الفعل إلى اسم: سلّمي وسلمى.

شواء الأتراك

الخطأ: سندويش التركي.

الصواب: شطيرة الديك الرومي.

يبدو أن العرب صاروا من أكلة لحوم البشر، والأتراك تحديدا! وحتى إذا أحسنا الظن وقلنا: إن المقصود أن الشطيرة هذه من ابتكار شخص تركي، وسميت باسمه، فهل هذا المخترع مدخَّن ومكسو بالجبنة؟ حسنا، التخريجة اللغوية (والإنسانية) الوحيدة التي يمكنني ابتكارها لهذه الورطة هي أن نفترض أن مخترع هذه الشطيرة تركي، وهو مدخِّن للسجائر، لكنه غريب الأطوار ولا يدخن إلا في وجود جبنة في جواره!

طبعا أظنكم عرفتم أن «التركي» ما هي إلا نقل كسول للكلمة الإنجليزية «تيركي» وليتهم نقلوها بكتابة ياء بعد التاء، لكانوا وفروا علينا حرجا كبيرا، وماء وجه مراقا أمام الأعزاء الأتراك.

وللديك الرومي قصة عجيبة في اللغة العربية، فالبعض يسميه ديكا روميا، والبعض الآخر يدعوه ديكا حبشيا، رغم أن موطنه هو القارة الأميركية، ولا علاقة له بالحبشة ولا بإمبراطورية الرومان.

ويسمى باللغة الإنجليزية باسمه هذا لكون نقله من أميركا إلى وسط أوروبا كان يمر عبر الأراضي التركية.

تبقى كلمة «سندويش»، وأعلم أن البعض لا يستسيغ استخدام كلمة شطيرة، ولن أجبرهم على هذا.. لكن إذا كانوا مصرين على استخدام الكلمة الإنجليزية «تيركي» بدلا من «ديك رومي»، كان الأجدر أن يكتبوا «ساندويتش» وليس «سندويش» القريبة من النطق الفرنسي من الكلمة.

ثلاث لغات في عبارة واحدة تصف شيئا بسيطا كشطيرة، يبدو أن العرب مهووسون بزركشة كل ما يتعلق بالطعام؟

على فكرة، كانت الشطيرة لذيذة جدا على مستوى الطعم، وأيضا على مستوى إثارة قضايا لغوية لذيذ نقاشها.

المدرس والتنين

علي عفيفي علي غازي

منذ أن وضعت الحرب الكونية الثانية أوزارها بهزيمة المريخيين في معركة المقاتلات الفضائية، ومن ثم جلاؤهم عن كوكب الأرض، ومحمود يسكن بجوار أطلال القاهرة القديمة التي هجرها جميع البشر، منذ أن استوطنها المريخيون وفجروا مفاعلها النووي.

منذ أن انتقل محمود لمقره الجديد على إثر عمله كمدرس بالقاهرة الجديدة من قريته الريفية، وهو يشعر بالخوف والرهبة من تلك البقايا الصامتة، خاصة بعدما سمع الكثير من الحكايات والروايات التي يرويها أهالي المنطقة عن الخفافيش والحرباوات التي تخرج في الليالي القمرية الصافية لخطف البشر وأكلهم، وعن الأفعى الكبرى التي خرجت في إحدى الليالي المطيرة البهيمة، وأخذت تفح فحيحًا عظيمًا وتنفث نارًا من فمها في وجوه كل من تراه فتحرقه، إلا أنه كان مضطرًا للإقامة في هذه الشقة؛ فالحصول على مسكن بالقاهرة الجديدة أصبح صعبًا للغاية بعدما هجر كثير من سكان القاهرة القديمة مساكنهم إليها خوفًا مما يسمعون عنه من المخلوقات الأسطورية التي يرسلها المريخيون بين الحين والآخر لتعيث في الأرض فسادًا، فترهب أهلها وتدمر مساكنهم، حيث نشطت مخابراتهم في محاولة للقضاء على الجنس البشري ليتمكنوا بعد ذلك من استيطان الأرض لحاجتهم الشديدة للمياه التي تردد وكالاتهم الكونية عن قرب نضوبها من على الكوكب الأحمر.

الليلة يشعر بتوتر غريب وخوف شديد على إثر إشاعة يرددها الجميع عن تنين أرسله المريخيون يقوم بابتلاع الإنسان فيمتص دمه ويهشم عظامه ثم يقذف بها، وكل يوم يقرأ في الجرائد الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية عن ضحايا ذلك الكائن

محمود خلّص الأرض من غزوة «مريخية» محققة وأصبح بطلاً سيخلده التاريخ

الغريب الذي يجنده المريخيون بهدف القضاء على بني الإنسان، ومن ثم يتمكنون من احتلال الأرض بلا مقاومة ولا قتال.

أحكم غلق أبواب شقته ونوافذها الإلكترونية، ثم استلقى على سريره ليذهب في نوم مليء بالأحلام والكوابيس المفزعة، فتارة يرى التنين الأسطوري يدق زجاج نافذته، وتارة يجد نفسه مستقرًا في ظلمة باطنه، إلى أن تنفس الصباح بالضياء على الكون ليتسرب إلى داخل غرفته سني من نسيمه، فاستيقظ مسرعًا إلى ارتداء ملابسه وسترته الواقية خوفًا من الإشعاعات النووية التي ملأت كوكب الأرض على إثر تفجير المحتلين المريخيين للمفاعلات النووية الكبرى الموجودة بها، وأدار محرك سيارته الصاروخية لينطلق بأقصى سرعة، وهو يتصفح الجرائد الإلكترونية اليومية عبر جهاز الحاسب الآلي الموجود بها ليستقر بصره على خبر بثته وكالة الأنباء الفضائية الكونية عن انتقال التنين الأسطوري المجند من قبل المريخيين من قارة أوروبا إلى قارة أفريقيا عبر البحر المتوسط سابحًا، مؤكدين أنه لا يتأثر ببرودة الجو ولا بحرارته، وتشير آخر الأنباء إلى أنه سيستقر في أطلال القاهرة القديمة حيث إنها أصبحت مركزًا للتحكم في تلك الكائنات الآلية الأسطورية التي يرسلها المريخيون إلى الأرض.

ما إن قرأ الخبر إلا وشعر برعشة اهتز لها جسده، ونبض لها قلبه، وارتجفت أنامله، وأوشك أن يفقد زمام السيطرة على سيارته التي كادت تصطدم بسيارة أخرى لولا القدر الذي نجاه من اصطدام مؤكد، ليتوقف أمام بوابة المدرسة، ويشاهد الذعر على وجه الجميع من أثر الخبر الذي بثته الوكالة الفضائية الكونية للأخبار.

لكنه رغم ذلك دلف إلى داخل الفصل، وبدأ يشرح درسه في مادة التاريخ عن بداية ظهور عصر العولمة والإنترنت في القرن العشرين، وعصر الحداثة والسوبر حداثة وما بعد الحداثة والعدمية في القرن الحادي والعشرين، ثم انتقل إلى عصر الفضاء والعصر المريخي الأول الذي شهد الغزوة المريخية الأولى للأرض، والتي انتهت بجلائهم بفضل المناضل العربي ماجد بن راشد المخزوم، وما تبعها من الحرب الكونية الأولى في محاولة من المريخيين لاستعادة سيطرتهم على الأرض ونشاط المخابرات المريخية وكيف تصدت لها المخابرات البشرية دفاعًا عن الأرض، إلى أن نجح المريخيون في استعادة سيطرتهم على الأرض بواسطة الأفعى الأسطورية التي تلفح وجه كل من تراه بنار تنفثها من

صحفي وأكاديمي مصري

فمها، وترتب على ذلك بدء حرب التحرير الأرضية وما تبعها من الحرب الكونية الثانية التي شهدت دخول أحياء من كواكب أخرى إلى جوار البشريين الذين تمكنوا من إعادة تحرير الأرض مرة أخرى.

فجأة.. وبينما هو مسترسل في شرح الدرس، إذ هشم التنين الأسطوري زجاج الفصل الإلكتروني، وأطلقت أجهزة الإنذار صرخة محذرة منذرة بصوت شديد، فعم الهرج والضوضاء المدرسة، وذلك التنين يلتهم الواحد تلو الآخر ليعصره ويلقي بعظامه مهشمة، وكثير من التلاميذ يلقون بأنفسهم من نوافذ المدرسة التي انفتحت جميعها آليًا في أعقاب انطلاق صافرة الإنذار، ومحمود يعدو وذلك التنين يلاحقه ويطلق بين برهة وأخرى زئيرًا شديدًا أشبه بزئير مائتي أسد في صوت واحد ليبث في داخل الجميع الرعب والفزع، وعم الخبر القاهرة فخرجت الأسر مغادرة منازلها إلى الصحراء المجاورة وبعضهم استقل سيارته الصاروخية مهاجرًا إلى الصعيد لدى أقاربه حتى تزول الغمامة.

ملأ الذعر والفزع قلب محمود وجسده الذي أطلق لقدميه العنان في العدو إلى أي جهة شاءت، ليصطدم فجأة بطرقة المدرسة المغلقة آليًا ويصبح وجهًا لوجه أمام التنين الذي وقف أمامه وراح ينظر إليه بعينيه الواسعتين المشقوقتين طوليًا كأعين الثعابين، وأذرعه تتحرك في حركة سريعة دون توقف، وذيله الطويل يمتد خلفه لأكثر من مائة متر، وجسده المليء بالأشواك السامة، وهو يحدق فيه بعينيه، والرعب يسري في جسد محمود، وقلبه كاد أن يمزق قفصه الصدري ليخرج إلى خارج جسده، لدرجة أنه أغمض عينيه وراح يترقب لحظة النهاية مستسلمًا منتظرًا أن يلتهمه التنين الذي يقف منتصبًا أمامه ويفح فحيحًا ينم عن غضبه الشديد منه.

التنين يقف غاضبًا، والمدرس يقف مستسلمًا، وامتلأ فناء المدرسة من جديد في لحظة ترقب، ولكن التنين لا يقترب منه، لابد أن معه شيئًا يخيفه ويمنع اقترابه منه، تحسس جيوبه فعثر بداخلها على القرآن الكريم، تأكد أن ذلك الكتاب الخالد هو الذي يمنع اقتراب التنين منه فسارع لإخراجه، وأخذ يتلو آيات من الذكر الحكيم، وذلك التنين يزأر زئيرًا عظيمًا يزداد شدة كلما ازداد قراءة، وشعر أنه يختنق فراح يتلو بصوت شديد يطغى على صوت زئير التنين وهو يختنق ويختنق.

فجأة انفجر التنين إلى قطع صغيرة تناثرت في كافة الأرجاء إلا أن قلبه أمام الخوف الشديد والرعب المنقطع النظير توقف عن النبض ليخر على الأرض فاقدا للوعي.

يفيق محمود على سرير المستشفى، وحوله الكثير من الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء الفضائية والكونية يرغبون في معرفة السلاح الذي نجح بواسطته في القضاء على ذلك الوحش الذي أرسله المريخيون بعدما طوروه ليواجه كافة أنواع الأسلحة، وهو ينظر حوله في دهشة وشعور بالنصر، وراح يتحسس جسده وهو غير مصدق أنه نجا من بين فكي ذلك التنين المفترس، ولكنه انتبه إلى حقيقة انتصاره وأنه خلص الأرض من غزوة مريخية مؤكدة، وأنه أصبح بطلًا سيخلده التاريخ مثلما خلد أخاه المناضل العربي ماجد بن راشد المخزوم؛ فهب واقفًا أمام كاميرات التليفزيونات الليزرية، وأخذ يتحدث بثقة عن انتصاره العظيم الخالد محتفظًا بسر سلاحه لنفسه ليخلده التاريخ.

إحلال العامية محل الفصحى.. مخاطر وآثار

سالم بن عميران

تعد اللغة العامية من أبرز التحديات التي تواجه لغة الضاد في العصر الحديث، وتعرّف العامية بأنها: اللغة التي يتخاطب بها الناس في كل ما يعرض لهم من شؤون حياتهم(١)، واللغة العامية خليط من الألفاظ، بعضها فصيح الأصل عربي النسب ولكن تغيرت مخارج حروفه أو لعبت به ألسن العوام فحرفته، وبعضها غريب دخيل، ولج إلى العربية من رواسب لغات امتزج أهلها بالعرب فترة من فترات التاريخ، وهي لغة فوضوية لأنها لا قاعدة لها وليس من منطقها ولا طبيعتها أن تكون لها قاعدة..فهي تشوه ولا تخلق ونشأت من خلال فساد طرأ على الفصحى، وهي ليست صفة من صفات العربية كاللهجة؛ ولكنها لغة ثانية تعيش على حساب الفصحى وتزاحمها، واحتلت مكانها على ألسن الكثيرين ويراد لها أن تحتل مكانها على الأقلام. (٢).

الدعوة إلى العامية ومحاولة إحلالها محل الفصحى هي أكبر محنة تعرضت لها اللغة الفصحى في تاريخها، فقد تبناها بعض المستشرقين ومن تأثر بهم من العرب بحجة أنها لغة الشعب كله وتعبر عن مشاعرهم وأفكارهم، وهو شعار مدرسة ضالة في أميركا: «إن اللغة الحقيقية هي اللغة التي يستخدمها الناس فعلا، لا التي يعتقد بعضهم أن على الناس أن يستخدموها...»(٣)

مظاهر تبني الدعوة إلى العامية في هذا العصر

- الاهتمام بالشعر العامي، وانتشار ما يسمى بالفكر الفلكلوري (التراثي) من خلال نشر الكتابات العامية في وسائل الإعلام.
- التساهل في استعمال العامية في وسائل الإعلام المرئي والمسموع والمقروء مثل البرامج الحوارية، والإعلانات، وبرامج الأطفال.
- استعمال العامية في مجال التعليم، وأخطر من ذلك التحدث بالعامية في تعليم النحو وسائر علوم العربية. وقد وجد أحد الباحثين أن من أسباب ضعف الطلاب في اللغة العربية؛ استخدام العامية في التدريس(٤). ومازالت هذه المشكلة موجودة في مختلف أنحاء العالم العربي يفضحها التحصيل اللغوي المتدني للطالب في مراحل التعليم المتوالية.

الاهتمام بالشعر العامي وتجاوزات لغة الإعلام واستعمال العامية في التعليم..أبرز التحديات

آثار إحلال العامية محل الفصحى

- قطع أوجه الاتصال بين المسلمين، والسعي إلى عزل الدول العربية، وتدمير أهم مقومات وحدتها، فقد كاد الغرب للمسلمين فطُبق التقسيم السياسي، وحاولوا الآن تطبيق التقسيم اللغوي والتاريخي، فروَّجوا لهذه الدعوة لينعزل كل جزءٍ في محيطهم بلغتهم العامية(٥).
- صعوبة فهم التراث العربي والإسلامي؛ فاللغة العربية الفصحى تجعلنا نفهم القرآن والسنة وكتب التراث العربي من شعر ونثر، أما العامية فلا تستطيع أن تحل مكان الفصحى بحال، فحركة المجتمع العربي هي في غير صالح العامية، ولا حيلة لنا في ذلك على الرغم من أن العامية هي اليوم أقرب إلى حياة الناس العاملين وألصق بوجودهم الاجتماعي من الفصحى(٦).
- في الازدواجية بين الفصحى والعامية عبء مادي وزمني ونفسي؛ ذلك أننا ننفق في تعلم الفصحى وتعليمها مادة ووقتًا أكثر من المطلوب، وتسبب أيضًا في ازدراء الطالب للفصحى فما يبنيه مدرس اللغة العربية معرض للهدم بسبب استشراء العامية في مرافق

باحث لغوي.

الحياة العامة وتجعل بعض المتعلمين يتلمس الفصحى بصعوبة بالغة(٧).

كيف نواجه خطر العامية؟

نواجه هذا الخطر من خلال عدة أمور أهمها

- الاعتزاز بالفصحى والاعتصام بها في التدوين والإذاعة والنشر، واتخاذها أداة للتفاهم؛ لأنها اللغة الجامعة بين جميع العرب والمسلمين.
- التوعية الإعلامية حول مخاطر العامية على وحدة العالم العربي، وعقد الندوات والمؤتمرات حولها، وإشاعة اللغة الفصحى في الفنون المسرحية والتمثيلية في الإذاعة والتلفاز والخطابة المدرسية وتوجيه الأغاني توجيهًا أدبيا رفيعًا وإخضاعها لخدمة قومية مثمرة تجعلها تعتمد على المختار من فصيح الكلام الذي تتذوقه النفوس ويسمو بالأخلاق.
- أن تكون اللغة العربية الفصحى الميسرة لغة التعليم النظامي من مرحلة الحضانة، وإلزام المعلمين بها في كل ممارساتهم التربوية والتعليمية المتعلقة بالطالب في المدرسة، فلا نجد عذرا لمن يستخدم العامية من المدرسين في لغة تدريسهم وإذا كان السبب عجزهم عن الفصحى فهناك أكثر من طريقة للعلاج(٨).
- التسامح في التخفف من الحركات الإعرابية بالتسكين على أواخر الكلمات في لغة الحديث اليومي ما لم يتسبب ذلك في تغيير دلالي أو تشويه صوتي وهو ما يلقى قبولا وتأييدا من المثقفين كافة. وكذلك عدم التحرج من استعمال الألفاظ الفصيحة التي تجري على ألسنة العوام. ولا يعني ذلك الدعوة إلى الفصعمية التي نادى بها بعض المفكرين في هذا العصر. أي:خليط من الفصحى والعامية وهي دعوة منبوذة لم تلق قبولاً.

الهوامش

١ - انظر: د.حسين نصار، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٢، ج١ص٥.
٢ - انظر: د.مازن المبارك، نحو وعي لغوي، بيروت، مؤسسة الرسالة،١٩٧٩، ص ٤٠-٤١.
٣ -د.رمضان عبدالتواب، بحوث ومقالات في اللغة،القاهرة، مكتبة الخانجي ط١٩٨٢،١،ص١٧٤.
٤- ينظر: بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٨ هـ.ج١، ص٨٤.
٥- د. عبدالصبور شاهين، «التحديات التي تواجه اللغة العربية»، منشورات منظمة الإيسيسكو.
٦- محمد مبارك، مواقف في اللغة والأدب والفكر، بغداد، مكتبة النهضة، بيروت، دار الفارابي، ١٩٧٤، ص ١٧٤ - ١٧٦.
٧ - ينظر: سميح أبومغلي، التدريس باللغة العربية الفصيحة لجميع المواد في المدارس، عمان، دار الفكر، ط١٩٩٧،١، ص٤٤.
٨- ينظر: تجربة د.عبدالله الدنان في تعليم الفصحى في عدد من المواقع على شبكة الانترنت.

حب الكتاب

ليلى محمد محمد

الكتاب كنز لا نفرط فيه، وعلينا الاهتمام به، والاحترام له، لأن فيه سر عظمة أجدادنا، لدرجة أنه أنشئت مكتبات كبرى في كل العواصم الإسلامية، مثل الإسكندرية والحكمة.. بغية حفظ الكتب. وقد شغف علماء ورجال بحب الكتب والحرص على توفيرها واقتنائها، وباتت تلازمهم حتى في أسفارهم ورحلاتهم، إذْ روى «الأصمعي» أنه لقي «إسحق الموصلي» فسأله: هل حملت معك شيئا من كتبك؟ قال: حملت ما خف، فقال له: كم؟ قال: ثمانية عشر صندوقا، فعجبت وقلت له: إذا كان هذا ما خف، فكم يكون ما ثقل؟ قال: أضعاف ذلك.

أما الصاحب بن عباد فقد فضل أن يبقى بجانب مكتبته العامرة على أن يتولى أعظم المناصب في بلاط نوح بن منصور الساماني واعتذر بأنه ليس من اليسر حملها معه لكثرتها.

ويروي صاحب كتاب «بيان العلم وفضله» عن الحسن اللؤلؤي، أنَه قال معبرًا عن حبه للكتب: لقد غبرت لي أربعون عامًا، ما قمت ولا نمت إلا والكتاب على صدري. وهذا الأمير «أسامة بن منقذ» يعبر عن حزنه على فقد كتبه: ولكن خسارتي لمكتبتي آلمتني ألما شديدًا. وقد ترك خالد بن يزيد الأموي عاشق العلم، الخلافة بعدما استلمها بثلاثة أشهر، لأنها شغلته عن كتبه.

وبلغ حب البعض للكتاب، أن فضلوه على زوجاتهم، أمثال: «ابن فاتك» و«عمر بن سهلان الساوي» و«أبوالحسن علي بن محمد بن ثابت الخولاني» والشاعر «محمود عماد» و«الفراهيدي» و«تولستوي».. حيث يروي د.المقالح في هذا الصدد: لقد تزوج أحد عشاق الكتب، فصممت زوجته أن تقلعه عن مطالعة الكتب وعن شرائها فدخل في أحد الأيام متأبطا حزمة من الكتب الجديدة، فثارت ثائرتها، وصاحت به: لا كتب بعد اليوم. فأجابها على الفور: إذن

أجدادنا فضلوا الكتب على أرفع المناصب وحذروا من حبسها!

لا زوجه بعد الآن. وقيل لزوجة «الزبير بن بكار».. وكان محبًا للكتب: هنيئا لك، إذ ليست لك ضرة. فقالت: والله لهذه الكتب أضرُّ عليَّ من عدة ضرائر.

ولنتذكر معًا قول د.زكي مبارك، راويا: إن حب الكتاب والحصول عليه كان لدى البعض يفوق حرصه على أداء فرض من فروض العقيدة، لدرجة قد علق أحمد علي المبارك على مكتبته الخاصة قصيدة، عنوانها «مكتبتي»، يقول في مطلعها:

أيا دار كتبي ويا خلوتي

وسلوة قلبي متى أضجر

وقرّة عيني ومحبوبتي

وفخري العميق إذا أفخر

وبلغ الأمر ببعضهم من شدة حبهم للكتب، وعدم قدرتهم على فراقها، أن كان شغلهم الشاغل: كيف تتم المفارقة بعد الممات، فهاهو الشاعر عيسى إسكندر، يوصي بأن تصاحبه كتبه في مماته وفي قبره، في وصيته التي يقول فيها:

اجعلوا إن مت يومًا كفني

ورق الكتب وقبري المكتبة

ادفنوني وادفنوا الكتب معي

وانشروا الأوراق حول المرتبة

وآخرون.. عرفوا هذه القيمة والحب، لدرجة أنهم ما بدلوه - الكتاب- بكنوز الدنيا ولا بالتيجان، وهذا هو أبوطاهر بن أبي الصقر يقول: هذه كتبي أحب إليَّ من وزنها ذهبًا، وفي حين يقول «فينيلون»: لو وضعت كل تيجان أوروبا تحت تصرفي على أن أتخلى عن كتبي ودراساتي، لركلت التيجان، ووقفت بجوار كتبي.. والكتب هي الإرث الذي يتركه العبقري العظيم للإنسانية.

وبقي أن نضم صوتنا إلى «الزهري»، عندما قال ليونس بن يزيد: إياك وغلول الكتب؟ قال: وما غلول الكتب؟ قال: حبسها عن أهلها.

كاتبة صحافية

في ذكرى المولد النبوي الشريف

النور والميلاد

عبدالغني أحمد

النـور والمـيـلاد يلتقيان ... دين يؤلف بين أفئدة الورى

ليسير هدي الله في الأكوان ... بالحب والإيثار لا الشنآن

فالنور أشرق يوم مولد أحمد ... ذكرى رسول الله تهتف علنا

ليزيل رجس الشرك والبهتان ... نحيي تليد المجد عبر زمان

سطع الهدى يمحو الضلال من الدنا ... فالأمة الكبرى تحقق مجدها

وينير درب الخلق بالإيمان ... يوم اتحاد الصف كالبنيان

ولد اليتيم فكان أكرم مرسل ... لم تشهد الدنيا تآخي مثلنا

جاء الوجود متمم البنيان ... فمهاجر ونصيره أخوان

ليعيد للدنيا تناسق سعيها ... إيثارهم فاق الخيال فليتنا

نحو الإله الحق لا الأوثان ... ندع الكلام وزائف التبيان

بعد ارتكاس الناس في إشراكهم ... ونعود للعمل الجليل بهمة

جاء الهدى بكرامة الإنسان ... ما حقق الآمال مثل تفاني

جاء الوجود سراجه من ربه ... فعلى الرسول المصطفى صلوا لـه

فسراجه نور من القرآن ... ل الله ينظر نظرة الرضوان

من ثم قد شهد الوجود خوارقًا ... صلى عليك الله يا خير الورى

آيًا من الإرهاص والإيذان ... إن الصلاة عليك في الميزان

النار تخمد بعد طول عبادة ... فاشفع لنا يوم الحساب شفاعة

كسرى يشاهد صدعة الإيوان ... ننجو بها من لاهب النيران

هذي الخوارق آذنت ببزوغ شم ... لاَهُمَّ خيرَك نبتغي فامنن به

ـس الحق والتوحيد والإيمان ... دنيا وأخرى في نعيم جنان

شاعر إسلامي

ثمرات المطابع

الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي

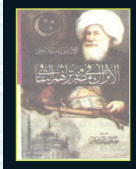

يعد كتاب «الأتراك في مصر وتراثهم الثقافي» لأكمل الدين إحسان أوغلو، الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي ثمرة جهود ودراسة تجاوزت الأربعين عامًا، ويبحث المؤلف في هذا الكتاب الذي صدرت طبعة جديدة له عن دار الشروق بالقاهرة، كيف تشكل الوجه أو النموذج المصري العثماني نتيجة لتطور القاهرة الذي كان يحاكي اسطنبول في البداية ويستعرض الكيفية التي وصل بها إلينا نتاج تلك الثقافة وتأثيراتها المختلفة، ففي ظل المدارس الحديثة التي أقيمت، والكتب التركية العديدة التي طبعت حظيت الثقافة التركية العثمانية، في مصر بإعجاب الصفوة الناشئة من أهالي البلاد المتحدثين بالعربية فضلًا عن القادمين من خارج مصر، ممن كانوا يتحدثون التركية، وهو ما أدى إلى ظهور الوجه الثقافي المصري العثماني إلى جانب الوجه الثقافي التركي - العثماني في مصر، ويتصدر الكتاب مقدمة كتبها رئيس وزراء تركيا رجب طيب أردوغان.

«بعدما أصبح الكلام واجبًا»

هذا الكتاب يضم بين دفتيه مجموعة من المقالات التي هي خلاصة تجربة المؤلف البروفيسور محمد بن حمود الطريفي، يقع الكتاب في حوالي ١٣٠ صفحة من القطع الصغير، وعن هذه التجربة يقول المؤلف:

تجربتي التي كلما تكبر عمرًا تزداد حبًا إلى نفسي التي كانت ترى في الكتابة راحة فإذا بها أشد ألما من الصمت.. إلى كل من قرأ «بعدما أصبح الكلام واجبًا».

جامع الآثار في السير ومولد المختار

التحرير

عنوان الكتاب: جامع الآثار في السير ومولد المختار
المؤلف: ابن ناصر الدين الدمشقي
الأجزاء: ثمانية
تحقيق: نشأت كمال
إصدار: وزارة الشؤون الإسلامية بقطر

التعريف بالمصنِّف

هو الإمام محمد بن عبدالله أبي بكر بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين: حافظ للحديث، مؤرخ؛ أصله من حماة، ولد في دمشق، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية (سنة ٨٣٧)، وقتل شهيدا في إحدى قرى دمشق.

من كتبه:

افتتاح القاري لصحيح البخاري.

عقود الدرر في علوم الأثر.

الرد الوافر في الانتصار لابن تيمية.

برد الأكباد عن فقد الأولاد.

شرح منظومة الاصطلاح في مصطلح الحديث.

بديعة البيان، أرجوزة في التراجم (على طريقة مبتكرة في تواريخ الوفيات)

السراق والمتكلم فيهم من الرواة

كشف القناع عن حال من ادعى الصحبة أو له اتباع

الإعلام بما وقع في مشتبه الذهبي من الأوهام

سلوة الكئيب بوفاة الحبيب

من موارد المصنف في كتابه:

الناظر في هذا الكتاب يلحظ بوضوح وجلاء سعة اطلاع مصنفه وغزارة حفظه، فلعله كان ممن يهتمون بجمع مصنفات أهل العلم الشاردة والواردة، فإنه ينقل من عدة مصادر (بعضها لا يزال مخطوطا وبعضها مطبوع)، ترهق من أراد حصرها، نذكر طرفا منها؛ فضلًا عن الكتب الأصول المشاهير كالصحاح والسنن والمسانيد والتفاسير وعلل الحديث، والجرح والتعديل والتواريخ، فمن ذلك:

الغرر في الطوالات للروياني.

دلائل النبوة للبيهقي.

دلائل النبوة لابن صاعد.

مختصر العين لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب.

إبانة براءة ساحة الصديق مما نسبه إليه الرافضي الزنديق، لأبي موسى المديني.

مدح لابسي الصوف على الديانة والصفاء وذم لابسها على الخيانة والجفاء لأبي نعيم.

مختصر العين للزبيدي.

اللباء واللبن لأبي زيد الأنصاري.

المجمل لابن فارس.

طوال الأحاديث والأخبار لأبي موسى المديني.

الأفعال لابن القطاع.

أهمية الكتاب

يعتبر «جامع الآثار في السير ومولد المختار» موسوعة حديثية وتاريخية، فالمصنف رحمه الله قد صنف كتابه هذا تصنيفًا بديعًا؛ لعله لم يسبق إليه، فقد جمع بين طريقة من سبقه من المصنفين في السيرة؛ من حيث عرْضُ وقائعها وأحداثها وهو الجانب التاريخي، وبين طريقة المحدّثين من حيث نقد الروايات وبيان صحيحها من سقيمها، وهو الجانب الحديثي، وهو يسوق كثيرًا من الشواهد والروايات والأخبار للمسألة الواحدة، وفي خلال ذلك يتكلم في أسانيد هذه الروايات والأخبار مبينًا أحوال رجالها جرحًا وتعديلًا، كما يبين علل الحديث الواردة في بعض هذه الأخبار، بل إنه تعرض لبيان أوهام من سبقه ممن صنف في السيرة والشمائل والخصائص وشرح الغريب والجرح والتعديل وعلل الحديث؛ كابن الجوزي والقاضي عياض وابن القيم وابن حزم واللالكائي، وابن كثير، وابن عساكر، وابن حبان، وابن عدي، وأبي نعيم، وأبي موسى المديني، وابن سيد الناس، وابن عبدالبر، وغيرهم، حتى إنه رحمه الله له عدة استدراكات على أهل الغريب واللغة كابن فارس والأصمعي وابن سيده وأبي عبيد القاسم بن سلام والخليل الفراهيدي والخطابي وابن قتيبة وغيرهم.

وهذا لا يعني أن كل الأحاديث والآثار التي ساقها المصنف في كتابه صحيحة، ولا أنه قد استوعب الكلام عليها نقدًا ودراسة، فإن هذا أمر صعب، وأصعب

منه وأعسر أن يتكلم على كل الروايات من حيث الصحة والضعف، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية مع جلالته وسعة علمه فإن كتبه لا تخلو من الأحاديث الضعيفة، وهذا الحافظ ابن حجر العسقلاني ومثله ابن رجب الحنبلي وغيرهما لا تخلو مصنفاتهم من الأحاديث الضعيفة، ولكن بعض الناس يظن أن هذا مما يقدح في علم من صنع هذا، وما هذا إلا لقلة الخبرة والحداثة في العلم، فإن وجود الروايات الضعيفة في بعض المصنفات والكتب لا يقدح أبدًا في علم صاحب هذا الكتاب، لاسيما إن كان من المتخصصين في علم الحديث.

ولكن مما يحمد عليه ابن ناصر الدين الدمشقي ههنا أنه أحيانًا يسوق الروايات الضعيفة الواهية، وينبه على ذلك؛ كما قال مرة: «وإنما ذكرت هذا لئلا يغتر به من ليس الحديث من شأنه».

منهج العمل في تحقيق الكتاب:

بدأ المحقق نشأت كمال العمل أولا بنسخة دار الكتب المصرية، التي تشكل تقريبا النصف الثاني من الكتاب، فقام بنسخها، ومقابلتها، وتصحيح ما وقع بها من خلل، ثم قام بتخريج الأحاديث الواردة في الكتاب.

ثم وقف على نسخة مصورة جامعة الإمام محمد بن سعود من الرياض، ثم حصل على النسخ الأخرى، وهي نسخة الظاهرية؛ فلما توافر عنده هاتان النسختان الجديدتان قام بتكميل الكتاب، فصار بحمد الله كاملًا ولكن ليس من نسخة واحدة، وإنما ما نقص من نسخة أكملته من نسخة أخرى.

عمل المحقق في الكتاب:

- نسخ الكتاب ومقابلته على أصوله، وإثبات فروق النسخ.
- تصحيح الأخطاء الواقعة في الأصل وذلك على نوعين:

أ- إذا كان الخطأ صريحًا واضحًا (عنده) أصلحه في المتن، ونبه عليه بالهامش.

ب- إذا كان الخطأ محتملًا، تركه كما هو، ونبه عليه بالهامش.

ومما يفيد بدرجة كبيرة جدًا مقابلة النصوص التي ينقلها المصنف من كتب أصحابها، إذ به يتضح فرق في أسم راوٍ من الرواة أو كلمة من الكلمات، وهذا يساعد على ضبط النص وإتقانه وتخليصه من التصحيف أو التحريف، وهذا هو المطلوب.

استدرك بعض الكلمات الساقطة سندًا ومتنًا، وذلك بالرجوع إلى المصدر الذي ينقل منه المصنف إذا كان متيسرا، وقد ذكر أنه رجع إلى بعض المصادر الخطية.

تخريج الأحاديث والآثار الواردة تخريجًا وسطًا، ونَقَل كلام أهل العلم عليها.

عزو الأقوال إلى أصحابها من الكتب المطبوعة والمخطوطة حسبما توفر لديه من مصادر ومراجع.

شرح الغريب وبيان معانيه.

تعزيز كلام المصنف بنقل حديث أو أثر لم يذكره يتعلق بما يكتب.

ضبط ما يحتاج إلى ضبط للتوضيح وإزالة اللبس.

وضع عناوين جانبية ورئيسية لحسن تنظيم الكتاب.

كَتَب مقدمة تحتوي على منهج المصنِّف وترجمته والفرق بين كتابه والكتب الأخرى المصنفة في السيرة.

عمل فهارس وافية للكتاب.

إسماعيل راجي الفاروقي.. رائد مشروع إسلامية المعرفة

شيرين حسن

ولد إسماعيل الفاروقي في يافا بفلسطين في يناير (١٩٢١) لأسرة فلسطينية، حصل على تعليمه الأولي بالمسجد، كما تلمس العلوم الشرعية على يدي والده الذي كان يعمل قاضيًا شرعيًا، ومع نكبة الاحتلال عام (١٩٤٨) هاجر إلى الولايات المتحدة الأميركية وسخر حياته للدرس والبحث العلمي.

جمع الفاروقي في تكوينه العقلي بين بعدين رئيسين الأول: البعد الفلسفي حيث حصل على درجة البكالوريوس في الفلسفة عام ١٩٤١ من كلية الآداب والعلوم بالجامعة الأميركية ببيروت ثم حصل على ماجستير «الفلسفة» عام ١٩٤٩ من جامعة إنديانا ثم درجة الماجستير في «الفلسفة» أيضًا من جامعة هارفارد عام ١٩٥١. أما رسالته للدكتوراه فكانت بعنوان «نظرية الخير، الجوانب الميتافيزيقية والقيم الإبستمولوجية للقيم» حيث حصل بها على درجة الدكتوراه عام ١٩٥٢ من جامعة إنديانا.

أما المكون الثاني لعقل الفاروقي فهو: البعد الشرعي والذي تمتد جذوره إلى نشأته العائلية (المسجد ووالده)، ثم أراد أن يكون هذا التكوين الشرعي على علم ودراسة، فاتجه إلى مصر للحصول على دراسات ما بعد الدكتوراه في الأزهر لمدة أربع سنوات (١٩٥٤- ١٩٥٨) حيث قام بدراسة العلوم الشرعية بطريقة مكثفة خلال هذه الفترة والتي ساهمت بشكل أساسي في تحديد رؤيته الفكرية التي جمعت بين ثلاثة مناهج أساسية استوعبها الفاروقي ورسم من خلالها تصوره الفكري الحضاري.

هذه المناهج الثلاثة هي: المنهج الغربي، المنهج الفلسفي التحليلي التأملي، منهج الدراسات الشرعية الإسلامية، هذا بالإضافة إلى تمرسه في علم مقارنة الأديان ودراسته وتدريسه للعلوم اللاهوتية المسيحية. كل هذه العناصر شكلت ما يمكن أن نطلق عليه في لفظه ومعناه «العقل الفاروقي» الذي انشغل بالهم الإسلامي من خلال أفق يتسم بالرحابة والتأمل الصادق والإنجاز الإيجابي الملموس والبصيرة الحضارية.

تصور إسماعيل الفاروقي:

ينطلق الفاروقي في تصوره لإسلامية المعرفة من إدراك حالة التأزم التي أصابت العقل المسلم، فجعلته عاجزا عن الابتكار والإبداع والتوليد للمعرفة، حيث نجد الأمة الإسلامية اليوم في مؤخرة ركب الأمم.. ولم يشهد هذا القرن أمة تعرضت لمثل ما تعرضت له الأمة الإسلامية من هزيمة وإذلال. لقد هزم المسلمين وقتلوا وسلبت منهم أوطانهم وثرواتهم، بل وأرواحهم وآمالهم.

لقد خدعوا فاستعمروا واستغلوا. كل هذا حدث في كل دولة وكل ركن في العالم الإسلامي، ورغم أن المسلمين كانوا ضحايا الظلم والعدوان في كل ناحية، فقد ساهمت كل الأمم في تشويه صورتهم وتلطيخ سمعتهم، ولا يعرفون عن العالم الإسلامي إلا ما فيه من صراعات وانقسامات واضطرابات وتناقضات وحروب تهدد السلام العالمي، وإلا ما فيه من ثراء فاحش وفقر مدقع، ومجاعات وأمراض وبائية، إن «العالم الإسلامي» في نظر الناس اليوم هو «الرجل المريض» (المنتظر موته)، ويريد الأعداء أن يجعلوا العالم يقتنع بأن «دين الإسلام» يقف وراء كل هذه الشرور.. والأمر الذي يجعل هذه الهزيمة وهذا الإذلال والتشويه

أمورا لا تطاق أبدًا أن تعداد هذه الأمة يفوق المليار، وأنها أوسع رقعة من الأرض المتصلة وأغناها، وأن إمكاناتها من الموارد البشرية والمادية والاستراتيجية أعظم من غيرها، وأن عقيدتها «الإسلام» دين متكامل وصالح، وإيجابي وواقعي، وفي إطار محاولة بعث وتأسيس النظام المعرفي الإسلامي من جديد بغرض تفعيله ليكون أكثر تعبيرا وانسجاما مع حاجات الإنسان المعاصر في ظل الثورات المعرفية التي هزت كيان الإنسان وأفقدته القدرة على التعاطي السليم مع مشكلات الواقع الراهن ومعالجتها من منظور النسق المعرفي الصحيح.. من هنا جاءت محاولته الرامية إلى ربط منظومة المعرفة بمنظومة الاعتقاد ومنظومة القيم، بحيث يكون فيها التوحيد ناظما معرفيا وضابطا منهجيا ونموذجا نقيس إليه تصوراتنا وأفكارنا ومفاهيمنا وسلوكاتنا وممارساتنا.

فعلة الأمة الإسلامية تكمن في اعتلال الفكر ومنهجيته وما يترتب على ذلك من اعتلال نظام التعليم السائد فيها مما يشكل تربة خصبة للداء، فالفاروقي يحلل هذه الأزمة بالرجوع إلى حالة التعليم في العالم الإسلامي في الظرف الراهن، ليقف على حقيقة مرة تتمثل في افتقار أصحابها إلى الرؤية الصحيحة الواضحة، رؤية كلية للإنسان والكون والحياة رؤية تنبع من العقيدة في الأساس، ولن تجد الأمة حلا لأزمتها إلا بإيجاد حلول لأزمة الفكر والمعرفة الإسلامية عن طريق إيجاد حل لمشكلة التعليم، بمعنى إعادة تشكيل نظامها التعليمي من جديد، وذلك من خلال دمج نظامي التعليم: نظام التعليم الديني مع نظام التعليم العام، ثم غرس الرؤية الإسلامية، وفرض دراسة الحضارة الإسلامية مع إسلامية المعرفة الحديثة حتى تعاد صياغة الحياة بحيث تتجسد فيها السنن الإلهية وقيم الإسلام

النظام التعليمي منبع الداء في أمتنا.. تربة خصبة لتغريب النفس عن الإسلام

في بناء الثقافة والحضارة.

ولن يتحقق ذلك إلا إذا اتبعنا منهجية نتجاوز فيها المنهجية التقليدية، فنتجاوز وهم تعارض الوحي مع العقل، ونربط الفكر بالعمل ونقضي على الازدواجية الثقافية والدينية ونزيل الفصام النكد بين المثال والواقع، بين القيادة الفكرية والأيديولوجية وبين القيادات السياسية والاجتماعية.

تصور «الفاروقي» لأزمتنا الحضارية

يقسم الفاروقي الأزمة الحضارية إلى جانبين، الأول: عَرَض هذه الأزمة أوالمرض – كما يسميه – وهو على ثلاثة أصعدة:

الأول: الصعيد السياسي والذي لعب فيه الاستعمار دورًا أساسيًا من خلال تفتيت «الأمة» إلى دول وحدود وتقسيمات كانت أساسًا في الخلافات الدائمة بين هذه الدول. ثم ماخلقه «الاستعمار» من إدارات وحكومات تابعة له، وتكريس «التبعية السياسية» للاستعمار. ثم خلقه – كيانًا معاديًا للأمة في وجوده الفكري والأيديولوجي وهو الكيان الصهيوني.

والثاني: على الصعيد الاقتصادي، فإن الأمة الإسلامية متخلفة اقتصاديا لا تستطيع أن تحصل متطلبات الحياة الأساسية بل تقوم باستيرادها. كما كان هناك – أيضًا – تفريغ لقدرات الأمة الزراعية والصناعية.

والثالث: الصعيد الثقافي والديني، وقد رآه الفاروقي متمثلًا في: انتشار الأمية والجهل والخرافة في الأمة الإسلامية، ثم فرض عملية «التغريب» فرضًا والذي أدى إلى تعريض الثقافة الإسلامية للخطر.

وضع الفاروقي يده على ما اعتبره مكمن الداء للأزمة (المرض) التي تعانيها «الأمة» الإسلامية حيث جاء تشخيصه كالتالي: «...إن مركز الداء ومنبعه في هذه الأمة إنما هو النظام التعليمي السائد. إنه التربة الخصبة لتربية العلل. في المدارس والجامعات تولد وتؤيد عملية تغريب النفس عن الإسلام».

لقد كان «تغريب» العقل المسلم وتحوله إلى صورة «ممسوخة للغرب» والانفصال عن منهج الإسلام المعرفي والثقافي دافعًا للفاروقي لمشروعه الفكري والحضاري. حيث رأى أن التعليم في العالم الإسلامي في أسوأ حالاته من عدة وجوه، أبرزها «التغريب» الذي أوجد بدوره إشكالية الازدواجية الثقافية والمعرفية التي يعاني منها العقل المسلم والمتمثلة في شكل التعليم الديني (والذي يمثله النموذج التقليدي للدراسات الإسلامية متمثلة في الأزهر) والتعليم المدني والذي جاء تحت مظلة «التقدم والحداثة» ويتمثل في شكل «الجامعة».

وقد أدى هذا- كما يقول الفاروقي- إلى «انعدام الرؤية» في العقل الإسلامي وإنتاج شخصية مهزوزة. ولهذا فإن المسلمين خلال قرنين من النظام التربوي التعليمي العلماني لم ينتجوا شيئًا يوازي في الإبداع ما في الغرب: مدرسة كلية أوجامعة، أو جيلًا من العلماء المتميزين.

فإسلامية المعرفة تأخذ في الاعتبار عددا من المبادئ الأساسية التي تكون جوهر الإسلام وهي: وحدانية الله، وحدة الحقيقة، وحدة المعرفة، وحدة الحياة، وحدة الإنسانية، تكامل الوحي والعقل، الشمولية في المنهج والوسائل. حتى تقضي على الخلل الواقع في مجالين: مجال الفكر الغربي المتأزم العاجز عن تجاوز مآزقه، وخلل في مجال تعاملنا

مع التراث الإسلامي، ولإيجاد حل لهذه الازدواجية المرضية، يقترح الفاروقي ما يسمى بإسلامية المعرفة، فتأخذ هذه الإسلامية وجهين: وجه داخلي ينصب على دراسة تراثنا وديننا، ووجه خارجي ينصب على استيعاب ونقد الفكر الغربي.

وإعادة إحياء النظام المعرفي الإسلامي، وبنائه من جديد وفق منهجية معرفية تتوافق ومعطيات العصر والعلم والمعرفة والواقع فتجدد مفهومه، وطبيعته وخصائصه وأسسه ومجالاته، ويكون بالمراجعة النقدية للأسس المعرفية للفكر الغربي والإسهام في تطوير منهجية عملية بديلة قائمة على المنظور التوحيدي كمركز تنتظم حوله كل المعارف والعلوم. إقامة نظام معرفي شامل ومتكامل يؤلف بين معرفة الخالق ومعرفة: ما خلق؟ ومن خلق؟ وكيف خلق؟

والحديث عن العلاقات البينية بين العلوم، والعلم بالخلل، الموجود في المنظومة المعرفية الغربية، الذي يكشف عن مواطن القصور في نظامها المعرفي وفي الآن ذاته يكشف عن نقاط الضعف في التراث الإسلامي. وهو ما يستوجب عملية النقد الداخلي للتراث والنقد الخارجي للمعارف الإنسانية. إسلامية المعرفة إذن تأخذ منحيين أساسيين: أحدهما يتجه إلى التجديد الداخلي من داخل البنية المعرفية الإسلامية والآخر يتجه إلى بناء منهجية تعامل قويم مع أفكار وحضارات وتجارب الأفراد والمجتمعات الواقعة خارج دائرة النسق المعرفي الإسلامي وحضارته. وهو ما يبعدها عن مزالق الأيديولوجيا باعتبارها نسقا معرفيا مغلقا.

بدأ الفاروقي حركته الإصلاحية في جانبها العملي بتأسيس «جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين» بالولايات المتحدة الأميركية هو ومجموعة من المتحمسين لحمل الهم الإسلامي في الميدان الفكري

دراسة التراث واستيعاب الفكر الغربي ونقده .. طريق النجاة

وتولى رئاسة الجمعية في الفترة من ١٩٧٢ إلى ١٩٧٨، قبل أن يسهم مع نخبة إسلامية علمية في الإعداد للمؤتمر الدولي الأول للتربية الإسلامية في مكة المكرمة في مارس عام ١٩٧٧، وقدم في هذا المؤتمر الذي كان بمثابة الخطوة الأولى الملموسة لمشروع «إسلامية المعرفة» بحثًا بعنوان «إعادة صياغة العلوم الاجتماعية في ضوء الإسلام» والذي نقد فيه الأسس الفلسفية للنموذج المعرفي الغربي، ودعا من ناحية أخرى إلى ضرورة فتح باب النقاش والدرس لإعادة صياغة العلوم الاجتماعية بمنظور إسلامي.

ثم كانت ندوة لوجانو «بسويسرا» في يوليو ١٩٧٧ والتي خرجت بتوصية إنشاء مؤسسة عالمية تتولى تنسيق الجهود الفكرية الإسلامية لتحقيق الإصلاح الفكري المنشود، والذي تمخض عن إنشاء «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» بالولايات المتحدة الأميركية وهو مؤسسة فكرية، ثقافية، مستقلة، تهدف إلى خدمة الفكر والثقافة الإسلامية.

تبنى «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» مشروع إسلامية المعرفة. وحدد أهدافه في هذا الإطار فيما يلي:

أ- توعية الأمة بالأزمة الفكرية والثقافية.

ب- تحديد معالم العلاقة بين قصور مناهج الفكر الإسلامي من ناحية، وبين غياب الأمة ومؤسساتها ونظمها، وتخلفها العلمي والثقافي والحضاري من ناحية أخرى.

ج- تفهم طبيعة أزمة الفكر الإسلامي المعاصر وأسبابها والسبل المؤدية إلى معالجتها، والوسائل المطلوبة لمواجهتها والتغلب عليها وعلى آثارها.

د- العمل على تجديد فكر الأمة، وتحديث طاقاته، وتطوير مناهجه، وبلورة منطلقاته، وربطه بالمقاصد والغايات والكليات الإسلامية الأصيلة النابعة من الكتاب والسنة.

هـ- العمل على تأصيل شمولية المنهج الإسلامي في ميدان الدراسات الإنسانية، وتأصيل الدراسات العلمية الإسلامية في ميدان الواقع الحياتي، والفطرة الإنسانية والاجتماعية.

و- البدء بأعمال تُمَكّن الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية المعاصرة من استيعاب الأصول الإسلامية والتراث الإسلامي مع العلوم والمعارف الحديثة وتيسيرها للدارسين المسلمين والعلماء والباحثين.

ز- العمل على تقديم الأبحاث والدراسات والكتب المنهجية المؤدية إلى بلورة المفاهيم والمنطلقات الإسلامية الأصيلة. وإرساء أسس العلوم الاجتماعية والإنسانية الإسلامية التي تسهم في بناء الثقافة الإسلامية المنشودة.

ح- إعداد الكوادر البشرية العلمية اللازمة لريادة مجالات «إسلامية المعرفة» وبناء النسق الثقافي الإسلامي للأمة على أسس سليمة وذلك من خلال برامج القروض والمنح الدراسية، والإشراف العلمي، والبرامج الدراسية الإسلامية في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية المعاصرة كافة.

ولقد كان تغريب العقل المسلم ومسخه دافعًا للفاروقي في بناء مشروعه الفكري والحضاري.

رحم الله الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي فقد كان رائد مشروع إسلامية المعرفة.

أسرتي

عمل المرأة بين الإجازة والمنع

يؤكد الواقع العملي في جميع أنحاء العالم وعلى مر العصور أن الرجل هو رب الأسرة والمسؤول عن إعالتها وأن الأعمال الشاقة هي من اختصاص الرجل وحده ، والانخراط في السعي والعمل بالنسبة للمرأة هو بمقدار ما تستوعب طاقاتها ويتوافق مع ظروفها وأولويات حياتها الخاصة ، وفي الإسلام خلد المولى عز وجل صورة هاجر أم المؤمنين ووليدها إسماعيل عندما تركهما نبي الله إبراهيم عليه السلام في صحراء مكة ، استجابة للوحي الإلهي إذ قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ (إبراهيم : ٣٧) لم تيأس هاجر ولم تستسلم بل سعت بين الصفا والمروة ، ولم تقل وما قيمة السعي بين جبلين في صحراء مقفرة بل كررت السعي (سبعة أشواط) وهي تلهج بالدعاء وفي يقينها أن الله لن يضيعها ووليدها حتى تفجر الماء تحت قدمي الطفل واستجاب الله الدعاء ، فالعمل الصالح فريضة على كل مسلم ومسلمة حتى المرأة التي مازالت تحمل وليدها على كتفها ، فالبطالة السافرة أو المقنعة مرفوضة في المجتمع الإسلامي الفاعل .

موسوعة الأسرة

حسِّني مزاجك بالغذاء

أمال عبدالرحمن محمد

قاومي الأرق بالموز والزبادي، اعدلي مزاجك بشرب الماء، تغلبي على الخمول والإحباط بأكل الأسماك والطيور، قللي من نرفزتك وقلقك بتناول عسل النحل.. هذه النصائح قدمها د .خالد المنياوي استاذ طب الأطفال واستشاري اعصاب الأطفال بالمركز القومي للبحوث خلال محاضرته التي القاها تحت عنوان «الغذاء والمزاج» والتي تناولت علاقة التغذية بالحالة المزاجية للإنسان، وذلك ضمن فعاليات المؤتمر السنوي التاسع لشعبة البحوث الطبية بالمركز الذي عقد أخيرا.

في البداية يعرف د.خالد المنياوي المزاج بأنه حالة خاصة من الشعور او الانفعال العاطفي التي يمر بها الانسان كبيرا وصغيرا، وهذه الحالة المزاجية تبدأ او تنتهي خلال فترة زمنية قصيرة قد تصل الى ساعات معدودة او بضعة أيام قليلة، وأشار الى ان العلم الحديث اثبت امكانية تحفيز المزاج من خلال منبهات معينة، حيث بينت الدراسات البحثية أن تناول بعض الأغذية أو المشروبات يمكن أن يحسن من الحالة المزاجية في اكثر من ٨٨٪ من الحالات، كما ان ٢٦٪ من عينات هذه الدراسات حدث لهم تحسن ملحوظ في تقلبات مزاجهم، وكذلك حسنت بنسبة ٢٤٪ من حالات الاكتئاب التي كانت تعترضهم، وأيضا لوحظ تحسن في ٢٦٪ من حالات الذين يعانون التوتر و الفزع.

وقد يتساءل البعض: ما أهم الأغذية والمشروبات التي تؤثر فعليا على الحالة المزاجية؟

والإجابة كما قال د .خالد في محاضرته أن الماء يعتبر من أهم ما نتناوله ويؤثر ايجابيا على المزاج، وكذلك السكر والكافيين والشيكولاتة إلى جانب الخضراوات والفواكه، وذلك بالإضافة الى المأكولات البحرية الغنية بالزيتون والأحماض الدهنية المفيدة، وعن أفضل الأغذية والمشروبات التي تؤثر ايجابيا على الحالة المزاجية لمن يعاني من الاضطرابات العصبية وحالات الرعب والفزع بدون سبب فقد لخصها كالآتي:

ينبغي عليهم الاهتمام بزيادة تناول ما يحتوي منها على الكالسيوم والماغنسيوم والبوتاسيوم لأن هذه العناصر تقل في حالات القلق والضغوط النفسية، وهي توجد في الموز والبروكلي والأرز الغامق والأسماك والخميرة والزبادي ومنتجات الصويا والفواكه المجففة بالإضافة الى الأغذية الغنية بفيتامين ج والتي توجد في الكريز والتوت والعنب الأحمر والموالح.

وأشار الى ضرورة أن يتناول هؤلاء الذين يعانون من الاضطرابات العصبية والرعب والقلق كميات مناسبة من الكربوهيدرات المختلفة والحليب والفواكه المجففة لاحتوائها على الأحماض الأمينية وعلى رأسها حمض التريبتوفان الأساسي والحيوي لتكوين وتصنيع هرمون السعادة الذي يخفف من القلق والنرفزة ويعتبر من المهدئات كما يمكن لعسل النحل أيضا أن يؤدي هذا الدور، فهو مهدئ طبيعي للحالة العصبية للإنسان.

كما ينصح بالإقلال من تناول الدهون المشبعة لتحسين حالة هؤلاء الذين يعانون من تلك الاضطرابات العصبية والرعب والقلق بدون سبب والامتناع أيضا عن تناول الأغذية التي تحتوي على كميات من الكافيين مثل القهوة، الشاي الثقيل، الشيكولاتة، الكولا، وأيضا المشروبات الغازية والمعلبات بصفة عامة وذلك للحد من تلك الأعراض السابقة.

وفي حالات الأرق التي قد يعاني منها البعض فإن تناول الأغذية الغنية بفيتامين ب يساعد على النوم والاسترخاء وتوجد

في الموز والزبادي واللبن والتونة. بالإضافة الي الامتناع عن التدخين وعدم الإفراط في تناول الشيكولاتة، الطماطم، السبانخ، البطاطس والسكريات لاحتوائها على عنصر التيرامين والذي ينشط خلايا المخ.

أما الاحباط والخمول الذي قد ينتاب البعض فينصح د .خالد أصحابه بتناول الأغذية الغنية بالبروتينات والدهون الأساسية، بالإضافة الى أغذية غنية بحامض الفوليك مثل السلمون والأسماك بصفة عامة وتناول الطيور وعلى رأسها الدجاج والرومي والألبان المجففة الخالية من الدسم والأجبان والبيض وأيضا المكسرات.

أسأل: هل تأثير الأغذية والمشروبات السابق ذكرها على الحالة المزاجية يمتد الى الاطفال مثل الكبار؟

فكانت الإجابة بالطبع يمتد تأثيرها على الحالة المزاجية للأطفال مثل الكبار تماما ولكن بصورة مختلفة، فهذه النصائح والإرشادات التغذوية مبنية على أسس علمية تتلخص في كون المزاج هو إحدى الخصائص التي تحكمها عملية فسيولوجية ربانية وتلعب فيها الموصلات العصبية دورا كبيرا في التحكم في حالة المزاج عند الصغار والكبار، وبالنسبة للصغار فهو يفيد في رفع كفاءة قدراتهم الذهنية وقدرتهم على التعلم خاصة أيام الامتحانات، أما الكبار فهو يفيدهم في زيادة التركيز ويقوي الذاكرة بنوعيها قصيرة المدى وبعيدة المدى، ولذلك فلابد أن نتذكر دائما أن ما نتناوله من أغذية ومشروبات ما هو إلا مواد أولية لتحفيز أو تثبيط بعض المواد الكيماوية والهرمونات داخل أجسامنا والتي تؤثر على معدلات الموصلات العصبية لدينا كبارا وصغارا فتحدث التغيرات المزاجية والصحية.. متعنا الله بالصحة والعافية ومتع صغارنا بالسعادة والنجاح.

دائمًا هناك أمل !

شعبان ناجي

أمل طفلة جميلة وبريئة وذكية لكنها فقدت قدرتها على المشي والنطق، وذلك بعد الحادث الأليم الذي تعرضت له هي وأفراد أسرتها، وذلك عندما انقلبت بهم السيارة على الطريق الصحراوي فتوفي والدها ووالدتها لتجد أمل نفسها فجأة يتيمة وحيدة في الدنيا الواسعة إلا من جدتها، تلك السيدة العجوز التي لا تستطيع أن تخدمها وترعاها، ولذا فقد تم إيداع أمل في معهد لرعاية ذوي الاحتياجات الخاصة وهو الأمر الذي آلم أمل كثيرًا ولكن ما عساها أن تفعل وليس في مقدورها شيء.

بعد أن دخلت أمل المعهد كانت مكتئبة جدًا وقررت ألا تتعامل مع أحد وتنزوي بعيدًا عن الآخرين، وبالفعل ظلت على هذا المنوال لفترة طويلة من دون أن يكون لها أصدقاء أو صديقات إلى أن جاء اليوم الذي ظهرت فيه معلمة جديدة بالمعهد اسمها «مريم» والتي راحت تتعامل مع أمل ليس من منطلق الشفقة والإحسان، وإنما عاملتها على أنها إنسانة طبيعية كغيرها.

وذات يوم قالت المعلمة لأمل: لماذا أراك منطوية؟ شاركينا الحوار عن طريق الكتابة أو الإشارة.. لكن أمل لم تستجب لكلام معلمتها، فقالت إحدى الفتيات في الفصل بسخرية: إنها لا تعرف الكتابة أو الإشارة، وضحكت وضحك معها كل الفصل، فحزنت أمل وأخذت تبكي بشدة، فغضبت المعلمة ونهرت الأولاد والبنات على سخريتهم من زميلتهم، فأحبت أمل معلمتها بعد هذا الموقف، وبدأت تسمع كلامها وبدأت تستجيب لتوجيهاتها ومن ثم أصبحت تتعامل مع الجميع بسعادة وفرحة غامرة.

وفي أثناء حصة اللغة العربية طلبت المعلمة من أمل أن تكتب ما تشعر به على السبورة، فاستجابت أمل وخرجت إلى السبورة وأمسكت بقطعة الطباشير الخضراء، وكانت المفاجأة أنها كتبت وبخط جميل: «دائمًا هناك.. أمل!».

باحث أسري

مساوئ الدلال على سلوك الأطفال

عبدالحميد غزي بن حسن

تؤكد الأبحاث التربوية أن ما يحصل عليه الطفل من زيادة في جرعات الاهتمام والرعاية والتدليل عن الحد المألوف، قد ينقلب الى ضده، مما يكوِّن خصالاً سيئة ضارة لديه، ويعزى الى كونه - الطفل - ليس كائناً محايداً في الأسرة، وإنما يتحدد انطلاقاً من المقام الذي يعطى إياه من قبل الأسرة عموماً ومن قبل الوالدين على وجه الخصوص، وعلى ذلك فقد يختلف الإخوة فيما بينهم تبعاً للمكانة الخاصة التي يعطى إياها كل منهم.. لدرجة أن كثرة التدليل والرعاية الزائدة تولد لدى الطفل خصالاً سيئة ضارة، ومنها:

١- الاعتماد على الأبوين.
٢- تولد الأنانية في شخصية الطفل.
٣- زرع الضغينة بين الأطفال.
٤- ترك الأهل حبل الولد على غاربه.

عندما يكبر الطفل قليلاً، لا يستطيع أن يعمل أي عمل إلا بمساعدة أبويه، فلا يأكل إلا بيد أمه، مما يؤدي الأمر الى الالتصاق بأمه حتى لا يطيق مفارقتها.. ولا يطيق الالتحاق بالمدرسة بسبب الارتباط العضوي والنفسي بأمه وأبيه وبيته.. كما ان الاستجابة لكافة رغبات الطفل، يولد عنده الأنانية وحب الذات، لدرجة قد تدفعه الى حب التملك والرغبة في الحصول على كل شيء وبشتى الوسائل والسبل، حتى ولو كان عن طريق العنف والنزاع.

وأيضاً من مساوئ الدلال على سلوك الطفل، قلة المناعة عند الطفل، وتدهور صحته، نظراً للرعاية الزائدة للطفل والقلق الزائد عن الحد الطبيعي بشأنه،

مما يستدعي الطبيب حتى ولو عطس أو سعل، والضار في بعض الأحيان، تلك الآثار السيئة لبعض الأدوية، لذلك نكون قد نزعنا من الطفل أهم نعمة رزقها الله له.

وإضافة لما تقدم، وبدافع الحرص الشديد والحب الزائد للطفل، ننظر الى اطفالنا دون اطفال الآخرين، بحجة ألا يصيبهم أي مكروه، فيكون سبباً في زرع نوع من الضغينة بين الأطفال أنفسهم وبيننا وبين الأهل (أهل الأطفال الآخرين). والأخطر في ذلك، انتقال هذه الظاهرة السيئة الى المدرسة، عند ممارسة المعلم دوره التربوي مع الأطفال المدللين، سيما عند تعرضهم للتوبيخ واللوم، حيث يسارع الأهل الى الوقوف مع طفلهم المدلل، ناسين حال طفلهم ومستواه العلمي، واللجوء الى المعالجة بحكمة وروية.. ناهيك ان الآباء والأمهات لا يسألون عما يفعل أطفالهم، ومن يصادقون، ناسين واجباته الاجتماعية والدينية، وقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون. واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ (الأنفال: ٢٧-٢٨).

ولعل من جملة الأسباب التي تكمن

خلف ظاهرة الدلال للطفل، ولاسيما الرعاية، يمثله الطفل بالنسبة للأم، انه يمثل لها معنى أو أكثر في الوقت نفسه، انه توكيد لأنوثتها ودليل نضج وتقدم عن طريق الأمومة، وهو نتاج وجودها... وهو موضع اعتزازها بنفسها أو قلقها الوجودي، وهو ضمانة استمرار الحياة الزوجية، ومجسد آمالها ورغباتها التي لم تستطع تحقيقها.

وقد تحب الأم أحد الأبناء وتدلله وتعطيه مكانة مفرطة على حساب الآخرين والعالم الخارجي على حد سواء، لأنه ولد بعد طول انتظار، أو بعد موت عدة اطفال أو اجهاض متكرر، أو يعزى الى قدوم ولد بعض عدة بنات.. وقد تدلل الأم الطفل لأنها ترى فيه مرآة ذاتها.. ترى الطفلة التي كانت والتي مازالت تعيش في لا وعيها.. أو لأنه يثير فيها قلق الموت، نظراً الى اعتلال صحته واصابته بالأمراض... وقد يكون وراء هذا الدلال المفرط، تعويضاً ونفياً لميول عدوانية تجاهه.. وربما تدلل الأم أحد أطفالها كي تنافس

الاستجابة لكل رغبات الطفل تولد الأنانية وتفقده الثقة بالنفس وتزرع الضغينة بين الأطفال

والدتها على الأمومة.. وقد تجد الأم في ممارستها الدلال المفرط والعناية الزائدة لطفلها، تعويضاً نرجسياً عن فشلها العلائقي، أو محاولتها للتدليل كأسلوب في الرشوة العاطفية كي تستقطبه الى جانبها في حالة تحويل الاحباط الزوجي الى تنازع على حب الأطفال من خلال محاولة كل من الزوجين تقديم الرشوة الى الأبناء.

وبغض النظر عن تلك الأسباب، سواء باستخدام تدليل الطفل الأصغر عادة لحل الكثير من الصراعات العلائقية الصغيرة، مما يؤدي الى افلات الطفل في أي قانون أو سلطة تضبط نزواته، أو تفضيل الولد الأكبر على الآخرين من دون سبب مقنع، مما يولد الكراهية والغيرة في قلوب الإخوة.. ومن حيث النتائج إذ تترك آثارا سلبية ضارة لدى الطفل وهي تدخل في الجور، يقول ﷺ: «اتقوا الله، واعدلوا في أولادكم»، والعدل بين الأبناء يجب أن يكون في كل شيء ما استطعنا الى ذلك سبيلاً، حتى في القبل، إذ ورد عن أنس بن مالك أن رجلاً كان جالساً مع النبي ﷺ فجاء بُني له فقبله وأجلسه في حجره، ثم جاءت بنية فأخذها، فأجلسها الى جنبه، فقال النبي ﷺ: «ما عدلت بينهما»..وقد بشر رسول الله ﷺ من يعدل بين أولاده ببشرى عظيمة: «فهم على منابر من نور يوم القيامة».

– ولكن ما المطلوب في هذا الصدد، لما للدلال الزائد من آثار سلبية على الطفل؟

– إن الأولاد أمانة.. ولا يجوز التفريط فيها، وإن في ربط التقوى بالعدل في الأولاد، إشارة واضحة الى أهمية العدل بين الأولاد، مما يناسب تقوى الله، والتفريط فيه تفريط في التقوى، قال تعالى: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة: ٨).

وألا نكون سبباً في زرع تلك الخصال السيئة الضارة على الطفل والأسرة والمجتمع من خلال الدلال والعناية الزائدة بالطفل، وعلينا أن نتبع الشريعة الإسلامية في تربية أولادنا، وتنشئتهم على البر والتقوى، وصدق الله العظيم: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ (البقرة: ١٤٣).

الأطفال ذوو الاحتياجات الخاصة

بشرى شاكر

الإعاقة: تعني لغويا الحبس والتثبيط، بمعنى أن الإعاقة هي شيء يثبط عملا ما أو يحبس الإنسان عن تصرف ما، ولكن لا يعني انه يجعله عاجزا مثلما كان يطلق قديما على من كانت لديه إعاقة ما، فقد لقب هؤلاء من قبل بذوي العاهات والعاجزين، وتطورت المسميات إلى ذوي الاحتياجات الخاصة والمعاقين، وهناك من لقبهم بالأسوياء ولربما في ذلك إنصاف لهم، إذ إن الله وحده يعلم الخير فيما يهبه أو يمنعه، قال سبحانه وتعالى في سورة الحجرات: ﴿يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾، بمعنى أن حتى الإيمان لا يقاس بدرجة صحة المرء أو علته وإنما فقط بالتقوى، فكما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (مسلم).

تعريف الإعاقة علميا هو: مرض عضوي يصيب الأطفال في سن الطفولة أو المراهقة، وقد تنجم عن عامل وراثي أو تنجم عن حادث مثلا وقد يكون سببها بعض الفيروسات مثل حالة شلل الأطفال، والإعاقة تكون إما بدنية بحيث تعيق عمل أحد الأطراف أو كلها، أو إعاقة ذهنية تتمثل في تخلف عقلي أو خلل تفكيري أو انخفاض مستوى الذكاء وعدم القدرة على التركيز مثل حالة الأطفال الذين يعانون من فرط الحركة أو المصابين بالتوحد. وفي كل أحوال الإعاقة، فإن العلاج الجسدي والترويض لا يكون كافيا ويحتاج إلى علاج نفسي أو حتى متابعة نفسية بطريقة سليمة من قبل الآباء والمدرسين، وفي بعض الحالات أو في بعض الإعاقات يكون هذا العلاج نوعا من المعاملة الخاصة اتجاه الطفل لا يكون هو في حاجة إليها، بل يحتاج إلى أن يعامل معاملة طبيعية، وهذا طبعا في حالات الإعاقات التي يمكن معالجتها دون

على الآباء أن يبحثوا عن إيجابيات طفلهم ولا يتوقفوا عند إعاقته

الحاجة إلى سلوك خاص.

أول ما يواجهه الطفل المعاق عضويا (أي بطرف مبتور مثلا) هو الخجل من مظهره الخارجي ولجوؤه للانطواء والانعزال بعيدا عن العيون.

أولى الخطوات التي يتوجب علينا القيام بها، هي أن نتقبل نحن أولا كونه هكذا حتى لا نظهر المزيد من الشفقة أو إفراطا في الاهتمام، قد لا يفيده بل يبعده أكثر عن المجتمع، إذ على الآباء أن يتجاوزوا ما يشعرون به من إحباط حينما يولد لديهم طفل معاق، ذلك الإحباط الذي يجعلهم في حالة نفسية سيئة تجعل الطفل حديث الولادة لا يستمتع بمرحلة الطفولة كأي طفل عادي ويتكون هناك حاجز بينه وبين علاقته بأمه الذي يكون في أمس الحاجة لها...

لا ينبغي للآباء أن يستبقوا الأحداث ويفكروا في معاناة لاحقة وسابقة لوقتها، إذ إنهم بذلك لا يستطيعون منح الطفل حياة مستقرة ولا يستطيع هذا الأخير التأقلم مع صدمة الميلاد، فهو منذ البداية يحس بتوتر محيطه لأنه لا يرغب فيه. والسلوك حيال هذا الابتلاء يختلف من أسرة إلى أخرى، بحيث إنه هناك من الآباء من يعتريهم الإحباط والألم ويخفون طفلهم عن العيون ويفكرون في كيفية التعامل مع المجتمع وينسون تعليمه هو كيف يتعامل مع هذا المجتمع، وهناك أسر تتقبل الوضع ولكن ظاهريا فقط فتكون على حافة الانهيار عند أول مشكلة قد تحدث حتى لأبنائهم

الآخرين الذين لا يعانون من أي مشكلة، وهناك من يحاول أن يثبت أن طفله سليم فيحمله ما لا طاقة له به، ويحاول تعليمه بأساليب غير صحيحة أشياء اكبر لا يطيقها، ولا يلجأون إلى أخصائي نفسي ولا إلى أي علاج آخر خوفا من أن يكتشف الآخرون أن لديهم طفلا يعاني من إعاقة ما، وهناك آخرون أكثر إيمانا يتقبلون الأمر ويسعون إلى تنمية مهارات طفلهم بأساليب علمية، ويتعلمون كيفية التأقلم مع الوضع الجديد ويغدو الأمر فيما بعد طبيعيا.

والأساس في تقبل الطفل على حالته هاته، هو مدى الترابط الأسري الذي يسود بين الوالدين عموما، بحيث إنهما يتقبلان الأمر ويتفاعلان معه بحب وود ويتعاونان فيما بينهما ولا يلوم احدهما الآخر على أمر الهي مقدر.

يلجأ بعض الآباء إلى إهمال الطفل المعاق ومعاملته على انه إنسان عادي، ولا يهتمون بتنمية مهاراته ولا بمساعدته على تجاوز إعاقته، وهناك من يشدد وسائل الحماية أكثر فأكثر فيجعل من الطفل معاقا أكثر من الأول...

وبين هذا وذاك فقد أبان ديننا الحنيف عن وسائل التعامل مع هذه الفئة من المجتمع بدعوته أولا إلى عدم الإقصاء، وبإقراره انه لا احد أفضل من احد إلا بالتقوى، وبمنحه الفرصة للعديد من هؤلاء لإثبات ذاتهم، كما أن علم النفس الحديث جاء بحلول تربوية إدماجية مهمة أيضا.

ذكرنا أن أول وأهم شيء، هو تقبل الطفل كما هو من قبل الوالدين ليتمكنا من جعله يتقبل نفسه ويعيش حياة مستقرة، فمهم جدا أن يعلم الآباء انه طفل أولا ولديه إعاقة ثانيا، خلافا عن باقي الأطفال، قد يبدو بسيطا إذا تقبلنا الأمر نحن أولا وقد يصبح مشكلا كبيرا إن نحن لم نستطع تقبل الطفل كما هو.. فعلى الآباء إذن أن يبحثوا عن ايجابيات الطفل ولا يتوقفوا عند الإعاقة، فلا احد يمكنه أن يكون بدون نقائص وإنما الكمال لله وحده سبحانه وتعالى.

إذن فتقبل إرادة الله تعالى.. واستقبال الطفل كطفل أولا، هي أهم مرحلة تمهد لمرحلة مرافقة الطفل في اقتحامه لمحيطه ومحاولة إدماجه كطفل عادي ولكن دون أن نطلب منه ما لا يستطيع القيام به. ومن المهم جدا أن نبدي احتراما لأبنائنا وألا نتذمر عند أول مشكلة تعترضنا، وأن نتحلى بالحلم ولا نغضب من أبسط الأشياء ونحاول استيعاب انفعالاتهم الزائدة، فأحيانا تكون هاته الانفعالات فقط ردة فعل على

عدم اهتمامنا بهم أو لعدم قدرتهم القيام بشيء ما مثل الآخرين وهذا أمر صحي عكس ما نظن، لأنه يبين أنهم يسعون للقيام بأمور حياتية عادية، بمعنى آخر أنهم يفكرون بطريقة سليمة ويحاولون التأقلم مع مجتمعهم...

فعلينا أن نعامل الطفل المعاق على انه طفل عادي مع محاولة جعله يتأقلم مع إعاقته ولا ضير من مساعدته أيضا، دون أن نسبب له إحراجا أمام الباقين كما أن الحديث معه ومحاولة جعله يمرن حواسه في أوقات معينة وخلال مدة زمنية تتصاعد مع اكتساب الطفل مهارات جديدة من انسب الوسائل العلاجية والإدماجية، وقد كانت الأخصائية النفسانية «مونتسوري» تقوم بذلك، إذ إنها اعتبرت مشكل الإعاقة مشكلا تربويا أكثر منه مشكلا مرضيا، لذلك وضعت برنامجا خاصا تمكن هؤلاء الأطفال من خلاله من الربط بين خبراتهم بالبيت والمدرسة، فهي بذلك تعطيهم فرصة التعبير عن رغباتهم والقيام بتعليم أنفسهم بأنفسهم، وقد سعت في ذلك إلى جعل الطفل يكتسب مهارات تدريبية لحواسه، فعن طريق سمك الورق مثلا وملمسه تدرب حاسة اللمس، وبتمييز الأصوات كتمييز صوت حيوان ما عن آخر استطاعت أن تنمي حاسة السمع، أما حاسة الذوق فقد كانت تنميها عن طريق التذوق فيحاول الطفل أن يفرق بين ما هو مالح ومسكر وحامض إلى غير ذلك...

وفي ديننا الحنيف مواقف عدة تبين كيفية التعامل مع هاته الفئة من الناس، فإذا كان اكبر الفلاسفة والعلماء يرون أن المعاق شخص لا يمكنه المساهمة في بناء المجتمع مثل أرسطو وأفلاطون الذي كان يطردهم مما اسماها المدينة الفاضلة لأنهم لا يؤدون وفقا له واجباتهم فيها،

علينا معاملة الطفل المعاق على أنه طفل عادي والعمل على جعله يتأقلم مع إعاقته

بل إن القانون الإنجليزي كان يعتبرهم فئة شاذة ويحرمهم من حقوقهم، فإن الله سبحانه وتعالى عاتب نبي الرحمة محمدًا ﷺ من اجل ابن أم مكتوم، الرجل البصير، الذي جاءه وهو منشغل بدعوة كفار مكة إلى توحيد الله فأدار وجهه والتفت إليهم، وبالرغم من أن ابن أم مكتوم لم ير ما حدث إلا أن الله رأى ذلك فقال سبحانه وتعالى: ﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى﴾ (عبس: ١-٢) فأصبح الرسول ﷺ كلما قابل هذا الأعمى يقول له: «أهلا بمن عاتبني فيه ربي». ونذكر أن هناك العديد من الأطفال الذين أصيبوا بعاهة أو إعاقة في صغرهم ولكنهم أصبحوا من العلماء بل أيضا من الرسل والأنبياء، فعالم تفسير الرؤى وراوي الحديث ابن سيرين: كان يعاني من ضعف شديد في السمع، وحاتم بن عنوان أو أبوعبدالرحمن، لقب بحاتم الأصم لإصابته بالصمم ولكن هذا لم يمنعه من أن يكون مدونا في الزهد، حكيما بليغا، حتى لقب بلقمان هذه الأمة، والأمثلة متعددة بل إن من الأنبياء أيضا من أصيبوا بإعاقة، مثل: يعقوب عليه السلام الذي ابيضت عيناه من الحزن، ورغم ذلك لم ينقص ذلك من علمه ولا من حكمته، واستمر يترجى الشفاء من الله إلى أن شفي تماما، إذ جاء في سورة يوسف ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا﴾ (يوسف: ٩٣)، وموسى عليه السلام الذي أصيب بعقدة في لسانه منعته من الكلام السليم إلى حين استجابة الله له حينما دعاه ليحلل عقدة من لسانه فقال سبحانه وتعالى: ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ (طه: ٣٦)، وللإشارة فقط فإن إعاقة الأنبياء ليست أبدية وإنما عارضة مهما طالت مدتها .

وعموما كخلاصة، يمكن أن نورد بعض النصائح للتعامل مع هذه الفئات وهي:

- على الوالدين أن يتقبلا طفلهما كما هو وأن يتحليا بالصبر والحلم وأن يكونا رفيقين معه.
- عدم ترقب أي سلوك سيئ من قبله ما دام لم يحدث بعد، وبالعكس مراقبة سلوكياته الجيدة والإشادة بها...
- ممارسة الحديث والحوار مع الطفل حتى في حالة عدم قدرته على الرد أو رده بشكل متلعثم كما يجب أن يمنح هو أيضا الفرصة للرد أو للتعبير بالطريقة التي يقدر عليها.
- عدم التمييز بينه وبين باقي إخوته ممن لا يعانون إعاقة.
- محاولة تنمية مهاراته الحسية والفكرية باتباع طريقة «مونتسوري» لأنها ايجابية جدا.
- الابتعاد عن التعليقات السلبية التي تحبط الطفل.
- الثقة بقدراته لكي يستطيع هو أيضا أن يثق بنفسه لأنه أمر انعكاسي.
- من الأنسب أن نجعل الطفل يختار في بعض الأمور لكي يتعلم الاعتماد على النفس طبعا حسب قدراته.
- الاهتمام الزائد أيضا يسيء لهذا الطفل، فمساعدته واجبة ولكن التخفيف منها حينما نرى انه هو يريد أن يتعلم شيئا ما أمر واجب أيضا.
- أيضا لا ضير من أن نكافئ هذا الطفل حينما يحرز نجاحا أو تقدما ما.
- محاولة إدماج الطفل في اللعب مع إخوته ومساعدته على ولوج المجتمع.

سامحتك!

محمد الشحات أبوعبيد

أمّ في عمر الزهور مات زوجها، وترك ابن السادسة من عمره، ترملت الأم وعزمت على الانكفاء على ابنها كي تصنع منه رجلًا نافعًا لنفسه ووطنه، وفي أثناء اتخاذها لقرار عدم الزواج طرق بابها الخاطبون، فقد كانت على قدر واف من الجمال، إلا أنها عزمت العزم الأكيد وعدم الرجعة عما قررته.

وعاشت مع صغيرها وأدخلته المدرسة، وصارت له أما ومعلمة ومرشدة، وتدرج الابن في سنوات الدراسة حتى كبر ودخل كلية التجارة وتخرج محاسبًا، ثم سعت للبحث عن واسطة- فقد كانت لغة ذلك الزمان- وعمل في شركة خاصة وبمرتب مجز، وكانت فرحة الأم عظيمة لأنها رعت وربت حتى نمت الزرعة وكبرت، وأوشكت على قطف ثمرة جهد السنين وعذابات الوحدة وألم الفراق. أرادت لابنها أن ينشأ الرجل رقم واحد في الدنيا، ذلك هو القطف الأول. أما القطف الثاني عندما أرادت له الزواج، فمضى نحوه وفرحت الأم.. ذلك هو القطف الثاني. أما القطف الثالث فهو عندما بدأت الوحدة تعود للأم المضحية من جديد، وآلمها عندما بدأت معاملات ابنها تأخذ منحنى القسوة المؤلمة لأم ترملت من أجل وحيدها، كانت تنتظر ساعة تسمع فيها كلمة ثناء أو حب أو شكر، لكنها فوجئت بسوء في المعاملة. فقد طلبت منه أن يعطيها مما معه من طعام، فلم تعد تقدر على تلبية طلباتها، لكنه بدأ يملها.. فانزوت الأم وأخذت تبكي بكاء الحسرة، تبكي على ابنها، لأن مصيره إلى النار مهما عمل من أعمال صالحة؛ فالجنة تحت أقدام الأمهات.

وأما القطف الرابع عندما قررت الأم الرحيل من البيت ولكنها لا تعلم.. إلى أين؟ فحملتها قدماها إلى محطة للسيارات، وأخذت تبكي فعطف عليها أحد المارة وسمع قصتها فلم يدر ما يفعل، لكنه تذكر أن هناك دارا للمسنين قريبة، فأخذ تلك الأم وسلمها لهم.

وأما القطف الخامس عندما عاد الابن وسأل عن أمه، ولكن إرادة الله كان لها موقف آخر، وهو أن يتكبد المشاق، وفي ليلة من الليالي وهو يناجي ربه سمع هاتفًا يناجيه يشبه صوت أمه تقول له: ابني الغالي العزيز: هل هنت عليك؟ ألم تذكر تربيتي لك، وجوعي لتشبع، وعطشي لتشرب، ومرضي لتشفى؟ أما تذكر حناني وعطفي؟ ألم تشعر بحبي لك؟ هان عليك كل شيء؟!

لقد خرجت من البيت باكية حزينة عليك؛ لأن عقابك عند الله في الدنيا عظيم، وستعيش حتى تراه، وأعلم أنك تبحث عني، فاذهب إلى دار المسنين القريبة من المحطة، فأنا في انتظارك وفي شوق لرؤياك.

وفزع الابن من النوم يبحث عن حذائه، وأخذ يعدل من هندامه، وركب السيارة وذهب إلى هناك..

وسأل عن اسم والدته، وصدم من الإجابة حين أخبروه أنها فارقت الحياة منذ لحظات.. رحلت الأم طريق الابن إلى الجنة، تاركة هذا المسكين يواجه عواصف الحياة، ثم جلس المسكين على مقعد قريب منه حتى يتسلم جسمان والدته، وعندما قابل مديرة الدار سلمته رسالة مكتوبة على لسان والدته، وطلبت من المديرة أن تعطيها لابنها، وكأنها كانت مع موعد مع القدر.

أخذ الابن يقرأ ما فيها وهي تقول له: ابني الغالي، كم كنت في انتظارك حتى تأخذني من هذا المكان، ولكنك تأخرت. ابني العزيز، أحبك.. فأنت دنياي وجنتي وثمرة فؤادي، فقلبي لا يطاوعني أن تكون شقيًا لقد سامحتك.. سامحتك.. سامحتك.. وإلى لقاء يا أعز حبيب ويا أغلى وليد.

باحث أسري

دع الوساوس.. قبل أن تتلاعب بك!

منى السعيد الشريف

الوساوس من المشكلات العصيبة التي يتعرض لها عدد كبير من الناس، وهي متفاوتة في خطورتها، فقد تبدأ بأمور بسيطة عارضة حتى تصل بصاحبها إلى قضايا خطيرة، كالوساوس القهرية وما تسببه من شكوك قد تتصل بمسلمات دينية وثوابت عقدية، مثل الشك في وجود الله تعالى، وفي عقيدة القضاء والقدر، وفي أداء العبادات كالطهارة والصلاة وغيرها من العبادات.

الشيطان له مداخل عدة، وطرق شتى على بني آدم، تختلف باختلافهم، ومن أخطر هذه المداخل وأعظمها ضررًا، وأقواها تأثيرًا، وأعمها فسادًا، هي «الوسوسة»، التي هي طريقه لفريق من المسلمين الذين عجز عن إغوائهم بالطرق الأخرى، ولم تصدهم حبائله المختلفة، فعمد إليهم بهذه الوسيلة، وخدعهم بخدعة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها العذاب.

لهذا أمر الله تعالى أن نستعيذ منه ومن وسوسته على وجه الخصوص، وأنزل سورة خاصة بذلك وهي «سورة الناس».

إلقاء الشبهات على القلب

على الرغم من أن العباد نهوا عن أن يتفكروا في ذات الله، وفي حقيقة صفاته وكيفيتها، وأمروا أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على قدرته، فإننا نجد الشيطان يوسوس لبعضهم ويورد عليهم أسئلة تضيق منها صدورهم ويتحرجون منها، مصداقًا لما أخبر به رسول الله ﷺ عندما حدث ذلك لبعض أصحابه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته» (البخاري: ٢٥٦٠).

اليقين لا يزال بالشك والجهل آمن طريق لإبليس

وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم يأتيه الشيطان فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله، فيقول: فمن خلق الله؟ فإذا وجد ذلك أحدكم فليقل: آمنت بالله ورسوله، فإن ذلك يذهب عنه» (صحيح الجامع: ١٥٤٢).

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أحدنا يجد في نفسه يُعَرض بالشيء لأن يكون حممة أحب إليه من أن يتكلم به، فقال ﷺ: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة» (صحيح أبي داود: ٥١١٢).

وعن أبي زُميل قال: سألت ابن عباس، فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله ما أتكلم به؛ قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله عز وجل: ﴿فإن كنتَ في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ (يونس: ٩٤)، قال لي: إذا وجدتَ في نفسك شيئًا فقل: ﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ (الحديد: ٣).

وسوسة الشيطان في العبادات.. كالطهارة والصلاة وغيرهما قال ابن الجوزي: اعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل، فهو يدخل منه على الجهال بأمان، وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة، وقد لبَّس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم، لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم، وقد قال الربيع بن خثيم: تفقه ثم اعتزل.

ثم أخذ- رحمه الله تعالى- يمثل لذلك بقوله: ومن ذلك أنه يأمرهم بطول المكث في الخلاء، ومنهم من يقوم فيمشي ويتنحنح ويرفع قدمًا ويحط أخرى، وعنده أنه يستنقي بهذا من البول، وكلما زاد في هذا نزل البول. ومنهم من يلبس عليه في النية، فتراه يقول: أرفع الحدث؛ ثم يقول: أستبيح الصلاة، ثم يعيد فيقول: أرفع

الحدث، وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع؛ لأن النية بالقلب لا باللفظ.

ومنهم من يلبس عليه بالنظر في الماء المتوضأ به، فيقول: من أين لك أنه طاهر؟ ويقدر له فيه كل احتمال بعيد، وفتوى الشرع: يكفيه بأن أصل الماء الطهارة، فلا يترك الأصل بالاحتمال. ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء.. وربما أطال الوضوء ففات وقت الصلاة، أو فات أوله وهو فضيلة، أو فاتته الجماعة (تلبيس إبليس ص: ١٣١-١٣٢).

من أسباب العلاج لوساوس الشيطان المتعلقة بالطهارة والصلاة والتشاغل عنها بجانب ما سبق ما يأتي:

● التعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم﴾ (الأعراف: ٢٠٠): أي اطلب النجاة من ذلك بالله، فأمر تعالى أن يدفع الوسوسة بالالتجاء إليه، والاستعاذة به، ولله المثل الأعلى، فقد حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سوَّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده، قال: هذا يطول، أرأيتَ لو مررتَ بغنم فنبحك كلبها ومنع من العبور، ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي، قال: هذا يطول عليك، ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك. (تفسير القرطبي ج ٣ ص ٢٨٦٣).

ولما أتى عثمان بن أبي العاص النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ. فقال رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل على يسارك ثلاثا». قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني (مسلم ٤٠٨٣).

● استصحاب القاعدة الفقهية العظيمة: «اليقين لا يزال بالشك»، فما ثبت بيقين لا يرتفع إلا بيقين. ودليل ذلك ما صحَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «إذا وجد أحدُكم في بطنه شيئًا فأشكل عليه أخرج منه شيء أم لا.. فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتًا أو يجد ريحًا» (مسلم ٣٦٢).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إذا شك أحدكم في الصلاة فلم يدر كم صلى ثلاثا أم أربعا، فليطرح الشك، وليبن على ما استيقن، ثم ليسجد سجدتين قبل أن يسلم، فإن كان صلى خمسا شفعن له صلاته، وإن كان صلى إتماما لأربع كانتا ترغيما للشيطان» (مسلم: ٨٨٨).

● عدم البول في المستحم، والمراد به الماء الراكض، فقد حذر رسول الله ﷺ من ذلك فقال: «لا يبولن أحدُكم في مستحمه ثم يغتسل فيه (قال أحمد: ثم يتوضأ فيه) فإن عامة الوسواس منه» (أبو داود: ٢٥)

● الاقتداء والتأسي بمسلك السلف الصالح في هذا الجانب، حيث كانوا يتشددون ويحذرون مما يدخل في بطونهم، وما كانوا يغالون في مسائل الطهارة، والأمثلة على ذلك كثيرة جدًا:

فروى أبو داود في سننه عن امرأة من بني عبد الأشهل قالت: قلت يا رسول الله، إن لنا طريقًا إلى المسجد منتنة، فكيف نفعل إذا تطهرنا؟ قال: «أوليس بعدها طريق أطيب منها؟ قالت: قلت: بلى؛ قال: فهذه بهذه».

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كنا لا نتوضأ من موطِئ.. أي موطوء، يعني إذا وطئ على المكان القذر الجاف لا يجب عليه غسل القدم.

وسئل ابن عباس- رضي الله عنهما- عن الرجل يطأ العذرة؟ قال: إن كانت يابسة فليس بشيء، وإن كانت رطبة غسل ما أصابه.

وقال حفص: أقبلتُ مع عبدالله بن عمر عامدين إلى المسجد، فلما انتهيتُ عدلتُ إلى المطهرة لأغسل قدمي من شيء أصابهما، فقال عبدالله: لا تفعل، فإنك تطأ الموطئ الرديء، ثم تطأ بعده الموطئ الطيب- أو قال: النظيف- فيكون ذلك طهورًا، فدخلنا المسجد فصلينا جميعًا.

وقال عاصم الأحول: أتينا أبا العالية فدعونا بوضوء، فقال: مالكم، ألستم متوضئين؟ قلنا: بلى، ولكن هذه الأقذار التي مررنا بها، قال: وهل وطئتم على شيء رطب تعلق بأرجلكم؟ قلنا: لا، فقال: فكيف بأشد من هذه الأقذار يجف، فينسفها الريح في رؤوسكم ولحاكم؟ (إغاثة اللهفان لابن القيم: ج١ ص: ١٥٢).

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة (الوعي الإسلامي) على إشاعة الثقافة الواعية والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقًا لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه .
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة لسيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملًا، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني ورقم الحساب البنكي ، واسم الفرع .

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشورًا في الصحف والمجلات المطبوعة والإلكترونية.

ملاحظة: المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

عبادة السيد نوح obadanooh@hotmail.com

الذهب والفضة

يتذكر المرء مرارا وتكرارا مقولة سيدنا عمر بن الخطاب الشهيرة «إن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة» عندما يجد الحراك والتدافع الاجتماعي بات يستهوي كثيرا من الآفات الدخيلة على طبيعة حياتنا من تواكل وتغافل وتكاسل وقعود.. في الوقت الذي يكون فيه المجتمع أحوج إلى القيم والصفات التي تحث على البناء والتنمية.

ومن اليقين أن باب الخيرات ومفتاح النعمات، ودرب النعيم لن ينال إلا بالعمل والعطاء، فلا يمكن نجاح التغيير إلا بإحداث هبة عملية في كل مشارب المجتمع على الثقافات السلبية والعادات المقيتة والطباع المنغصة والتقاليد المشوهة.

ولعل تجربة الألمان بعد الحرب العالمية الثانية أبلغ دليل على أهمية العمل، فحينما رفعوا شعار «العمل أو الموت» تحوّلت ألمانيا إلى ورشة عمل، وصارت دولة صناعية عملاقة بعد سنوات قليلة، وبات المستوى المعيشي للفرد أكثر من رائع، لذا نجدهم اليوم أصحاب صنعة ورواد مهنة في كثير من المنتجات التي نستهلكها.

إن المسلمين من خيرة العاملين في أي زمان ومكان، ولكن دائمًا ما ينقصهم الحافز والإرادة والتحدي لتحقيق ما يريدون، فحينما تصيح بأعلى صوتك وتقول «الأمة في خطر» يلبي أبناؤها النداء ويهرعون إلى العمل، حبًّا وولاء لتراب وطنهم، واستشعارًا بأن كل قطرة عرق ستكون في سبيل الله.

المسلم اليوم مطالب بالحرص على أن تكون جميع أعماله وجهوده منصبة في خدمة دينه، بلا خمول أو كسل، ولا تخاذل أو حرمان، فيؤدي المطلوب منه على أكمل وجه، بل يتفنن في خدمة شعبه، فلا يمكن لنا النعاس والسبات في الوقت الذي تكون فيه أمتنا أحوج إلى الجهاد والعمل والجد والتضحية بالغالي والنفيس من أجل رفعة الأوطان.

إننا نعيش فترة عصيبة تستدعي من الجميع العمل والعمل والعمل، لأنه جوهر إحياء مجتمعاتنا بعد عقود من الانحطاط والتخلف، فعزة أوطاننا من عزة شعوبها، وهوانها من هوان أبنائها، فالأمة التي لا تعمل لا تستحق البقاء، وإذا استمررنا على هذا التواكل فلنقل «علينا السلام».

إن التغييرات التي تطول مجتمعاتنا في الآونة الأخيرة جاءت لتعيد للمواطن إنسانيته التي افتقدها في عصر الفساد والإفساد، ولكن يأبى بعض أبناء هذا الوطن إلا الذل والعيش بلا عزة ولا كرامة، فتجدهم يمنون النفوس بآلاف الدراهم دون عمل أو أخذ بالأسباب، حتى كشفت دراسة أخيرا عن وجود ما يقرب من مليوني متسول في أحد الأقطار العربية، مؤكدة أن العدد في تزايد باستمرار.. فإلى متى هذا الهوان؟

الإسلام جاء بالعلم والعمل، وقد أعطى الرسول ﷺ رجلا فأسًا وأمره أن يحتطب ويبيع لئلا يبقى عالة على المجتمع، وقد كان نبي الله إدريس خيّاطًا وزكريّا نجارًا وداود حدادًا، ورعى موسى الغنم، والسابقون لم يبنوا حضاراتهم الإنسانية إلا بإخلاصهم في العمل.

رسالتنا لكل موظف ومسؤول وطبيب ومهندس وأستاذ وعامل وفلاح وجندي مفادها: إذا عملنا واجتهدنا فسوف تتقلّص مشكلاتنا وفقرنا وأمراضنا، ولنرفع شعار «من جد وجد ومن زرع حصد ومن سار على الدرب وصل».. فهل نصل إلى بر الأمان بسواعدنا الطاهرة القوية؟ والله ولي التوفيق.

طرق الاستفادة من القمامة والمخلفات الصلبة

تدوير القمامة (إعادة استخدام المخلفات الصلبة)

محيي الدين الظاهر

لقد بادرت دول متقدمة عديدة في اتخاذ الإجراءات العاجلة من أجل حل مشكلة القمامة والنفايات الصلبة عمومًا والتخلص منها، ونشأ عن هذا الاهتمام قيام عديد من الشركات على مستوى العالم المتقدم لإنشاء المصانع للتخلص من القمامة وتدوير محتوياتها وتحويلها إلى مواد غذائية، أو تحويلها إلى مواد علف للحيوان أو أسمدة عضوية، أو تحويلها إلى وقود وطاقة، ووجهت معظم البحوث من أجل حماية البيئة من التلوث.

وعمليات التدوير للقمامة والمخلفات لإزالة الملوثات ليست بالعمليات المستحدثة، بل هي من العمليات التي تتم في الطبيعة وتعتبر عاملًا أساسيًا في استمرار الحياة على الكرة الأرضية، فهي تعمل على عدم نفاد عناصر الكون، وتقوم قوى الحياة على الأرض بعمليات التدوير لمكونات النظام البيئي.

حيث يتكون النظام البيئي ECO SYStem، وهو عبارة عما تحتويه أي منطقة طبيعية، من كائنات حية ومواد غير حية بحيث يتفاعل بعضها مع بعض في إطار الظروف البيئية، وما ينتج عن التفاعل بين كل المكونات الحية وغير الحية ثلاثة عناصر رئيسة هي:

أ- عناصر الإنتاج

وتتكون من النباتات الخضراء بكل أنواعها من الطحالب الخضراء إلى الأشجار الضخمة المختلفة، ولهذه النباتات القدرة على إنتاج غذائها بنفسها، فهي تمتص غاز ثاني أكسيد الكربون من الهواء وتمتص الماء والأملاح المعدنية من التربة عن طريق جذورها، وتصنع منهما معًا في وجود مادة الكلوروفيل الخضراء وبتأثير أشعة الشمس جميع أنواع المركبات العضوية التي تحتاج إليها، والتي تبني منها أجسامها مثل المواد الكربوهيدراتية والدهون والبروتينات، وتعطي هذه الخاصية لهذه النباتات نوعًا من الاستقلال عن كل ما حولها من كائنات، ولكنها مع ذلك لا تستطيع أن تستغني عن اعتمادها على العناصر الطبيعية غير الحية.

ب- عناصر الاستهلاك (المستهلكون)

وتتكون من الحيوانات بأنواعها المختلفة (بالإضافة إلى الإنسان)، ولا تستطيع هذه الحيوانات أن تعد غذائها بنفسها، ولكنها تعتمد على غيرها في إعداد هذا الغذاء، وعناصر الاستهلاك درجات، منها الأولي والثانوي والثالث، فيتغذى بعضها بالنباتات والأعشاب، ويتغذى بعضها الآخر من آكلات اللحوم بغيره من الحيوانات، وفي كلتا الحالتين تقوم هذه الحيوانات باستهلاك ما تنتجه عناصر الإنتاج.

ج- عناصر التحليل

وتشمل كل ما يتسبب في تحليل مكونات البيئة الطبيعية المحيطة بها، ومن أمثلة هذه العناصر البكتيريا والفطريات وبعض أنواع الحشرات التي تشترك في تحليل أجسام النباتات والحيوانات الميتة، وتساعد عناصر التحليل في إعادة جزء من المادة إلى التربة لتستفيد منها عناصر الإنتاج وتستخدمها مرة أخرى في تكوين الغذاء، وبذلك تتكرر الدورة مرة أخرى.

ومن أهم ما يميز البيئة الطبيعية هو ذلك التوازن القائم بين عناصرها المختلفة، فلو أن ظروفًا ما أدت إلى إحداث تغيير من نوع ما في أحد هذه العناصر فإنه بعد فترة قصيرة قد تؤدي بعض الظروف الطبيعية الأخرى إلى تلافي آثار هذه التغيير، بالمثل تقوم قوى الحياة في الأرض بعمليات التدوير، فبقايا ومخلفات الأحياء من حيوانات ونباتات ما هي إلا أغذية مناسبة لكائنات أخرى، إما مباشرة وإما بعد تحللها إلى مكوناتها الأصلية، وغاز ثاني أكسيد الكربون الموجود في الجو تتغذى عليه النباتات الخضراء بجانب الماء وعناصر أخرى تستمدها من التربة، وتطلق النباتات غاز الأكسوجين للجو لكي تستخدمه الحيوانات في تنفسها، ثم تطلق الحيوانات غاز ثاني أكسيد الكربون إلى الجو ثانية لتنمو به النباتات وهكذا تستمر الدورة.

كما يحدث التدوير أيضًا لغاز الأزوت الموجود بكثرة في الجو، حيث تستفيد منه بعض النباتات مباشرة بالاستعانة ببعض الكائنات الدقيقة مكونة مواد بروتينية.

وما نقوم به من عمليات لتدوير القمامة يمكن لقوى الطبيعة أن تقوم بها، ولكنها تحتاج في ذلك إلى زمن طويل، ولأن إيقاع الحياة في وقتنا الحالي قد زاد بدرجة

باحث علمي

كبيرة وأن كمية ما يخلفه الفرد وراءه من قمامة ومخلفات قد فاق كثيرًا ما كان يخلفه في الماضي، ولتزاحم السكان في مدن كبيرة لم تكن موجودة بهذه الكثافة في العصور السابقة، بالإضافة إلى اختراع مخلفات تقاوم بشدة فوق التحليل، مثل البلاستيك، وكل هذا جعل من المحتم توجيه عناية كبيرة وبذل جهود مكثفة في التعامل مع القمامة للتخلص منها ومساعدة قوى الطبيعة في تدويرها والاستفادة منها.

مكونات القمامة

في الدول المتقدمة يستفاد من القمامة في تنمية بعض الصناعات، وبذلك تقل كثيرًا الكميات التي سوف تتراكم من القمامة والتي ينبغي التخلص منها في المقالب، فضلًا عن الفوائد التي سوف تعود على الاقتصاد القومي من نواتج استخدام وتدوير تلك المخلفات، وقد أصبحت عملية تدوير النفايات المنزلية وإعادة استخدامها من الممارسات المقبولة في عديد من الدول، والمخلفات الناتجة من المنازل ليست بالقليلة، فقد قدر ما يجمع من قمامة في الولايات المتحدة الأميركية بما يعادل نصف كيلو جرام من المخلفات المنزلية لكل فرد يوميًا، ومعظم تلك المخلفات يمكن الاستفادة منها بعد فصل مكونات القمامة إلى نوعياتها المختلفة والتي تتضمن:

١ – المخلفات الورقية: تحول إلى مصانع الورق حيث يصنع منها أنواع من الورق الخشن أوراق الكرتون وصناديق التغليف، كما يمكن الاستفادة من تلك الأوراق بتحويلها بيولوجيا باستخدام بعض الكائنات الدقيقة التي يمكننا التغذية والنمو عليها، محولة إياها إلى كحول، ويتم ذلك في مرحلتين هما:

أ – المرحلة الأولى: يحول سليلوز الأوراق إلى سكر السلوبيور وسكر الجلوكوز باستخدام فطر ترايكودرما فيرديدي

ب – المرحلة الثانية: ينشط عقب ذلك فطر الخميرة الذي يقوم بتخمير السكر الناتج (سلوبيور وجلوكوز) ويحوله إلى كحول.

ولقد قدر أحد الأبحاث في الولايات المتحدة الأميركية كمية الكحول الممكن إنتاجها من سليلوز الأوراق، فوجد أن الطاقة الناتجة تعادل ١٪ من الإنتاج السنوي للولايات المتحدة الأمريكية من وقود البنزين.

ويمكن استخدام السكر من المرحلة الأولى في إنتاج بروتين رخيص باستخدام أنواع أخرى من الكائنات الدقيقة، ويستخدم البروتين الناتج في تغذية الحيوانات.

٢ – المخلفات الزجاجية: تحول المخلفات الزجاجية إلى مصانع الزجاج، حيث تصنع منها أنواع من الزجاج البني أو الأخضر أو تستخدم في صناعة الأسفلت الزجاجي الذي يستخدم في رصف الطرقات، وقد يخلط الزجاج مع الخرسانة لاستخدامه في أعمال التشييد.

٣- المخلفات المعدنية: تحول المخلفات المعدنية إلى مصانع المعادن لصهرها وإعادة تصنيعها مرة أخرى، ومن المظاهر العادية في المدن الكبرى للولايات المتحدة الأميركية رؤية أشخاص يجمعون المعلبات المعدنية الفارغة من سلال المهملات في الشوارع والحدائق العامة، حيث كانت تشتري مصانع الألمنيوم تلك المعلبات، وقدر ما تم جمعه من معلبات فارغة خلال عام ١٩٧. م ١١٥ مليون علبة، حيث تشترى كل مائة علبة فارغة بدولار واحد في ذلك الوقت، ومن الطريف أن بعض العلماء الآن يبحثون عن طريق الهندسة الوراثية اكتشاف بكتيريا تحلل المواد الصلبة مثل السيارات القديمة وخلافه، وذلك كمحاولة للتخلص من تلك المخلفات بدون تلوث للبيئة.

٤- المخلفات البلاستيكية: يصعب تدويرها ميكروبيًا لشدة مقاومتها للكائنات الدقيقة، ولكن يمكن تحويلها إلى مصانع البلاستيك، حيث تحول إلى مركباتها الأصلية، كما يحدث مع مخلفات كلوريد عديد الفينيل، كما يحول بعضها إلى مركبات جديدة يمكن استخدامها في صناعة نعال الأحذية أو بعض صناعة مواد مائلة للعبوات ومواد تغليف غير قابلة للتحلل تستعمل في تغليف المخلفات النووية.

٥ – المخلفات العضوية: وهي عبارة عن بقايا الأطعمة وبقايا تجهيزات الطعام وتمثل جزءًا كبيرًا من القمامة المنزلية، وهذه يمكن تحويلها إلى مواد نافعة، إما إلى أعلاف للدواجن، وإما لإنتاج الكحول في عملية التخمير، وإما لإنتاج غاز الميثان، حيث تتبع طريق التخمير اللاهوائي للمخلفات العضوية المنزلية والزراعية لإنتاج غاز البيوجاز الذي يتكون من نسبة كبيرة من غاز الميثان تصل إلى نسبة ٧٠٪ والباقي غاز ثاني أكسيد الكربون وكميات قليلة من كبريتيد الأيدروجين وأول أكسيد الكربون، وينتج من كل كيلو جرام من القمامة والمخلفات العضوية عمومًا حوالي متر مكعب من غاز البيوجاز، ويمكن البدء في الحصول على البيوجاز بعد حوالي أسبوع من بدء التخمر، ويستمر لمدة

عشرين يومًا تقريبًا، والمتبقي بعد تمام التخمر يعرف بالدوبال ويستخدم كسماد عضوي يحسن من خواص التربة الزراعية لأنه غني بالعناصر المعدنية التي يحتاج إليها النبات.

طرق الاستفادة من مخلفات صناعة الحديد:

ينجم عن صناعة الحديدة والصلب عديد من المخلفات بكميات كبيرة ومن أهم هذه المخلفات ما يلي:

١ – خبث الأفران

– طرق الاستفادة من الخبث

يستخدم خبث الأفران العالية المحبب كمادة أساسية في صناعة الأسمنت، حيث يحول عادة نحو ٨٢ –٨٧٪ من الخبث الناتج من الأفران العالية إلى جلخ محبب، وينتج الجلخ المحبب عند تبريد خبث الأفران العالية بكميات كبيرة من الماء، بحيث يتفتت تحت ضغط اندفاع المياه المتدفقة على هيئة رشاش قوي موجه لتيار الجلخ المنصهر المتساقط من البوتقة أثناء صبه، ويكون مادة شبيهة إلى حد بعيد بالرمال، لها خواص هيدروليكية قوية،

ويستخدم خبث الأفران العالية المبرد هوائيًا الذي ينتج عندما يترك ليبرد في الهواء فيصلد، ويكون تركيبه مشابهًا لتركيب الصخور النارية، وبتكسيره تنتج قطع بازلتية الشكل تشبه الصخور الزلط في أحجامها، ولكنها غير منتظمة الشكل في عديد من المجالات منها:

أ – في مجال رصف الطرق: وقد أكدت نتائج الأبحاث صلاحية استخدام أنواع الجلخ (أفران ومحولات) كركام في مجالات رصف الطريق وصلاحيته الكاملة من ناحية خواصه الطبيعية والكيميائية والميكانيكية لذلك.

ب – في مجال استخدام الجلخ كركام للخرسانة المسلحة وطوب المباني، وقد أظهرت الأبحاث صلاحية ذلك.

ج – في مجال تغطية جوانب السكك الحديدية: أظهرت الاختبارات الطبيعية والميكانيكية صلاحية الخبث لتغطية جوانب خطوط السكك الحديدية بفرشة لمنع الرمال والأتربة أثناء هبوب الرياح على هذه الخطوط وتعرض حركة القطارات للتوقف.

د– إنتاج سيراميك الخبث: وجد أن الخبث عندما يترك ليبرد في الهواء فإنه يتصلد ويكون تركيبًا مشابهًا للصخور النارية من حيث التركيب البلوري، وأن النسيج التكويني له مكون من حبيبات خشنة شبه كروية، وقد وجد أنه بتحويل هذا النسيج إلى نسيج حبيبي دقيق جدًا بإضافة عوامل محفزة لتكوين نويات الحبيبات الدقيقة مثل رمال الكوارتز وأكاسيد الكروم، فإن الخبث الناتج يتمتع بخواص ميكانيكية تفوق خواص الصلب، ويطلق عليه اسم slag cerom يصلح للاستخدامات الإنشائية وصناعة الآلات.

هـ – يمكن استخدام الأحجام الصغيرة من الخبث في مرشحات المياه والمجاري (بدلا من الرمل والحصى) وذلك في مرشحات المياه ومعالجتها.

و – كما يمكن استخدام الجلخ أيضًا في صناعة الزجاج العسلي وأنواع الخزف، وكذا في صناعة السيراميك.

إنتاج الخبث المنفوش

وينتج عن تبريد الخبث بمعدل سريع برشاشات المياه، فيسبب تصاعد الغازات المفاجئ وأهمها بخار الماء الناجم عن غليان الماء الذي يعمل على نفخ الجلخ المتصلد فيصبح في الوقت نفسه مساميًا وصلبًا، ويمكن استخدام الجلخ المنفوش الذي يتميز بخفة وزنه وارتفاع صلابته في صناعة الطوب الخفاف بعد كبس مع الأسمنت أو في إنتاج البلاطات الخراسانية الكبيرة التي تستخدم في المباني السابقة التجهيز حيث إن هذه البلاطات تعادل نصف وزن مثيلتها المنتجة من الخرسانة العادية، كما يمكن عمل أجزاء متكاملة للمباني السابقة التجهيز، مثل الحوائط والكمرات أو السقوف والأرضيات وغيرها من الجلخ المنفوش، ولقد أوضحت التجارب أن الطوب الخفاف، وكذا البلاطات الخرسانية الناتجة من الجلخ المنفوش لها ميزات اقتصادية عالية، حيث إنها تمتاز بخفة الوزن والصلابة، وتوفر في تكلفة النقل وكميات الأسمنت وحديد التسليح، بالإضافة إلى الخواص الممتازة لها من حيث العزل الحراري وخفض مستوى الضوضاء.

إنتاج الصوف الخبثي slag woolI

ينتج الصوف من خلال صهر الخبث في أفران خاصة مع إضافات بسيطة من الحجر الجيري والسيليكا.

استخدام خبث المحولات في التسميد الزراعي للأراضي

يحتوي خبث المحولات على بعض العناصر، ولاسيما الفوسفور والكالسيوم، ويمكن معالجته وتحويله إلى سماد فوسفاتي بزيادة محتوى الفوسفور فيه، واستغلاله في تسميد الأراضي الزراعية، وهو ما تقوم به كثير من دول العالم الصناعية للاستفادة من هذا الخبث.

٢ – طرق الاستفادة من تراب غازات الأفران العالية

يمكن تسويق كميات كبيرة من غازات الأفران العالية إلى شركات الأسمنت، حيث تستخدم في صناعة الأسمنت كمادة منصهرة، كما يمكن استغلال باقي الكميات بتدويرها وإضافتها إلى وحدات تلبيد الخام في مصانع الحديد والصلب للاستفادة من وحدات الحديد والكوك التي تحتوي عليها.

٣ – الاستفادة من المرسبات المتجمعة بوحدات تلبيد خام الحديد

وهي مواد يتم تجميعها من مخلفات عمليات تكسير وطحن وتجهيز خامات الحديد بوحدات تلبيد الخام في مراحل عمليات التلبيد وحيث يتجمع في أحواض الترسيب الخاصة بها بهدف تنقية أجواء وحدات التلبيد من التربة الكثيفة، ويتم الاستفادة من هذه المرسبات بإعادة تدويرها، وإضافتها إلى شحنة تلبيد الخام بعد تجميعها في أحواض الترسيب

للاستفادة من وحدات الحديد التي تحتوي عليها.

٤ – الاستفادة من كبريتات الحديدوز المائية

وتنتج من عمليات تخليل لفائف الصلب في محلول حامض الكبريتيك لتخليص لفائف الصلب المدرفلة على الساخن من أكاسيد الحديد السطحية، وتجهيز سطحها لعمليات الدرفلة على البارد، وتستخدم كبريتات الحديدوز في المجلات الآتية:

أ – صناعة البويات والمواد الملونة.

ب – في مجال استصلاح الأراضي الزراعية لمعالجة النقص في عنصر الحديد.

ج – في عمليات ترويق المياه الصناعية ومياه الشرب كبديل للشبة.

د – في صناعة الأحبار.

٥ – الاستفادة من الخردة المعدنية

تصنف هذه الخردة ويحدد ثمنها تبعًا لنسبة عنصر الحديد ونسبة الشوائب فيها، وقد يباع جزء منها والجزء الآخر يعاد استخدامه في الشركة لإنتاج وحدات الصلب فيها، سواء من محولات أكسوجينية تراوح نسبة خردة الصلب فيها لتصل إلى ١٥ –٢٠٪، أو في أفران القوى الكهربائية، حيث نسبة الخردل فيها تصل إلى ١٠٠٪.

٦ – الاستفادة من قشور الدرفلة

تنتج قشور الدرفلة من عمليات الدرفلة المختلفة، وكنتائج للأكاسيد التي تغطي المدرفلات نتيجة للأكسدة السطحية لدى تعرضها لدرجات الحرارة العالية في الأفران الغاطسة في مراحل الدرفلة المختلفة.

المراجع

– أحياء وبيئة منشورات– جامعة دمشق
– التعليم المفتوح
–د .سليمان الخطيب– د .يحيى العمارين
– طرق الاستفادة من القمامة– الأهرام–
د .محمد أرنؤوط

وترجل فارس من فرسان الفكر الإسلامي

الدكتور عبدالحليم عويس.. إلى رحمة الله

محمد عويس

فقدت الأمة الإسلامية في الأيام القليلة الماضية علمًا بارزًا من أعلام الفكر الإسلامي، وقلمًا حرًّا بليغًا طالما أثرى المكتبة الإسلامية والصحف والمجلات الإسلامية والعربية، وعلى رأسها مجلة «الوعي الإسلامي»، والمواقع الإلكترونية بمستنير الأفكار وروائع الحكم، إنه المفكر الإسلامي د.عبدالحليم عويس، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته ورضوانه.

ولد د.عبدالحليم عبدالفتاح محمد عويس في١٢ يوليو عام ١٩٤٣ في قرية سندسيس بمركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية بمصر، وحصل على ليسانس الدراسات العربية والإسلامية من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ثم درجة الماجستير عام ١٩٧٧ عن أطروحته: «دولة بني حماد في الجزائر»، ثم نال درجة الدكتوراه عام ١٩٧٨ عن بحث: «ابن حزم الأندلسي مؤرخًا»، وحاز درجة الدكتوراه الفخرية من الجامعة الدولية بأميركا اللاتينية عام٢٠٠٩م، وعمل محاضرًا لمادة الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لمدة خمسة عشر عامًا، وكان مستشارًا لرئيس الجامعة ومتعاونًا في تسيير أعمال رابطة الجامعات الإسلامية، وأوفدته الجامعة أستاذًا زائرًا لعدد كبير من الجامعات في الهند وباكستان وماليزيا والجزائر وتونس والسودان وتركيا، وعمل بالكويت باحثًا بمراقبة المناهج وبمركز بحوث المناهج والدراسات التربوية في الفترة ما بين ١٩٧١ . ١٩٧٥م.

وشغل كذلك وظيفة أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة الزقازيق، وعمل نائبًا لرئيس جامعة روتردام الإسلامية سابقًا، ورئيس تحرير مجلة التبيان بمصر، وعضو اتحاد الكتاب بها، وعضو نقابة الصحفيين، وعضو اتحاد المؤرخين العرب، وعضو المجالس القومية المتخصصة.

كما أشرف على عمل موسوعة في نحو عشرة آلاف صفحة للتاريخ الإسلامي عبر العصور، وأسهم فيها بمواد متعددة، إلى جانب قيامه بالإشراف العلمي عليها وإنجازها.

ومن مؤلفاته تفسير القرآن للناشئين (في ثلاثين جزءًا)، بالاشتراك مع علي عبدالمحسن جبر، وموسوعة الفقه الإسلامي المعاصر، وابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري. .. وغير ذلك.

ضمَّ بين جدرانه الإمام محمد عبده والعقاد وطه حسين

مُجمع الخالدين.. ملتقى حماة العربية

القاهرة - دار الإعلام العربية

قبل ١١٩ عامًا ولدت الفكرة، كانت مجرد حلم يختلج في صدور نفر من عشّاق لغة الضاد، اجتمعت أفئدتهم على إيجاد كيان يذود عن لغة القرآن من أي دخل أو وهن.. وتخلقت هذه الفكرة لتتمخض عن مجمع أنشئ بدار البكري عام ١٨٩٢، بجهود فردية للشيخ محمد توفيق البكري، والإمام محمد عبده، والشيخ محمد محمود الشنقيطي، إلا أن الحلم الوليد لم يطل عمره إلا بضعة أشهر.. لكن من قال إن الأحلام تموت؟

الإمام محمد عبده، أحمد لطفي السيد، عباس محمود العقاد، طه حسين، الشيخ سليم البشري.. أسماء لقامات فكرية لم تتجمع في فترة تاريخية واحدة، لكنها اجتمعت في مجمع الخالدين والعمالقة «مجمع اللغة العربية» الذي بدأ بفكرة واحدة سرعان ما تلاقت حولها العقول، ولأن الجديد لا يستمر إلا بطول الصبر، أجهض حلم تأسيس أول مجمع للغة الضاد في القاهرة، إلا أن الأمنية ظلت قائمة وظلت الدعوة إلى إنشاء مجمع لغوي حية، فأخذت تنمو ويشتد عودها، وأخذت الجهود تتصاعد وتتكاتف ويشد بعضها أزر بعض، وكان لنادي دار العلوم دورٌ كبير في تحقيق الحلم ووضعه على أرض الواقع عن طريق الندوة الثقافية التي عقدها عام ١٩٠٨، وتتابعت جلساتها وألقيت فيها أبحاث ودراسات للأساتذة حفني ناصف وحمزة فتح الله ومحمد الخضري وفتحي زغلول، وتناولت عديدًا من قضايا الفصحى والعامية والمعرب والدخيل.

إعداد المعاجم وبحث قضايا اللغة وتحقيق التراث ووضع المصطلحات العلمية.. أبرز أهدافه

مجمع دار الكتب

ولم يمضِ على هذه الندوة سنوات حتى دعا أحمد لطفي السيد مع بعض العلماء والأدباء إلى إنشاء مجمع لغوي أطلقوا عليه مجمع دار الكتب، واختير الإمام سليم البشري شيخ الجامع الأزهر آنذاك رئيسًا للمجمع، وأحمد لطفي السيد كاتب سره، وكان من أعضائه الشيخ حمزة فتح الله والأستاذ حفني ناصف، واستمر المجمع الوليد في عمله فترة قصيرة فعقد ٢٤ جلسة ثم توقف عن العمل بعد اشتعال ثورة ١٩١٩م.

وعندما تولى أحمد لطفي السيد وزارة المعارف تضاعف اهتمامه بمشروع إنشاء المجمع اللغوي وجعله تحت إشراف وزارته، حتى لا يكون نصيبه بعد ذلك مثل نصيب سابقيه، وبالفعل أُسس مجمع اللغة العربية بالقاهرة في ١٤ شعبان سنة ١٣٥١هـ الموافق ١٣ ديسمبر ١٩٣٢م في عهد الملك فؤاد، وبدأ العمل فيه سنة ١٩٣٤م، وكان أول من ترأسه الأستاذ محمد توفيق رفعت (١٩٣٤-١٩٤٤)، ثم الأستاذ أحمد لطفي السيد (١٩٤٥-١٩٦٣م)، ثم الأستاذ الدكتور طه حسين (١٩٦٣-١٩٧٣)، ثم الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور (١٩٧٤-١٩٩٥)، ثم الأستاذ الدكتور شوقي ضيف (١٩٩٦-٢٠٠٥)، ثم الأستاذ الدكتور محمود حافظ (٢٠٠٥ وحتى وفاته مؤخرًا).

ونص مرسوم إنشاء المجمع الذي أصدره الملك فؤاد الأول عام ١٩٣٢م على أن يتكون من ٢٠ عضوًا من العلماء المعروفين بتبحرهم في اللغة العربية، نصفهم من المصريين، ونصفهم من العرب والمستشرقين، وهو ما يعني أن المجمع عالمي التكوين، لا يتقيد بجنسية معينة ولا بدين معين، وأن معيار الاختيار هو

القدرة والكفاءة.. ويقع مقر المجمع حاليًا في ١٥ شارع عزيز أباظة بحي الزمالك بالقاهرة.

اتحاد المجامع

وعلى الرغم من أن الأهداف الرئيسية للمجمع تقوم على إعداد المعاجم اللغوية، وبحث قضايا اللغة، ووضع المصطلحات العلمية واللغوية، وتحقيق التراث العربي، فإن الدور الذي يلعبه المجمع حاليًا اختلفت حوله الآراء، فالبعض يرى أنه يتصدى لاضمحلال المعاني الثقافية وتنامي النظرة المادية، وهناك من يرون أن المجمع لا يقدم شيئًا ملموسًا في وقتنا الحالي، واعتبره أصحاب هذا الرأي كيانًا روتينيًا ليس له إضافات جديدة، فالمجمع- على حد زعمهم- لم يستطع أن يوقف انتشار مدارس اللغات التي جعلت من اللغة العربية لغة ثانية، وأنه أصبح أسيرًا للسياسات الحكومية التي حدت من حريته، وأن الهيمنة والبيروقراطية المتحكمة في أدائه منعت عنه كفاءات علمية وقامات أدبية كثيرة.. وبالطبع هذا ما يعارضه كثيرون، مؤكدين أن المجمع يؤدي عمله بحياد وإخلاص وتجرد، ويسعى دومًا لتحقيق التكامل مع المجامع الأخرى، وهذا ما تجسد في تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العربية، ففي عام ١٩٧١ تم تأسيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بموجب مقترح لتشكيل لجنة تتألف من عضوية كل من المجمع اللغوي في القاهرة ودمشق وبغداد لوضع نظام لهذا الاتحاد، واجتمعت اللجنة بالدكتور طه حسين في أبريل ١٩٧١م، وتم في ذلك الاجتماع وضع النظام الأساسي والداخلي للاتحاد، وانتخب الدكتور طه حسين رئيس مجمع القاهرة في ذلك الوقت رئيسًا للاتحاد، والدكتور إبراهيم مدكور أمينًا عامًا له، والدكتور أحمد عبدالستار الجواري عن مجمع بغداد، والدكتور عدنان الخطيب عن مجمع دمشق أمينين عامين مساعدين.

ويدير الاتحاد مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، والذي يتألف من عضوين من كل مجمع يختارهما مجمعاهما لمدة أربع سنوات، وينتخبون من بينهم رئيسًا وأمينًا عامًا وأمينين عامين مساعدين لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد، ويجتمع مجلس الاتحاد في دورة عادية مرة على الأقل في كل سنة، ويمكن أن يجتمع في دورة غير عادية عند الضرورة، وتصدر قرارات المجلس بأغلبية الحاضرين، وفي حالة تساوي الأصوات يرجح الجانب الذي ينضم إليه رئيس المجمع.

كما انضمت إلى الاتحاد مجامع اللغة العربية التي أنشئت في الأردن وفلسطين والسودان وليبيا والجزائر، وكذا أكاديمية المملكة المغربية في الرباط، والمجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة).

لجان مجمع الخالدين

يضم المجمع عددًا من اللجان بلغت خمسًا وعشرين لجنة على النحو التالي:

لجنة المعجم الكبير (معجم اللغة العربية بالقاهرة)، لجنة أصول اللغة، لجنة الألفاظ والأساليب، لجنة اللهجات والبحوث اللغوية، لجنة الأدب، لجنة إحياء التراث العربي، لجنة المعجم الوسيط، لجنة علم النفس والفلسفة، لجنة الفلسفة والعلوم الاجتماعية، لجنة التاريخ، لجنة الجغرافيا، لجنة القانون، لجنة المصطلحات الطبية، لجنة الكيمياء والصيدلة، لجنة علوم الأحياء والزراعة، لجنة الاقتصاد، لجنة الجيولوجيا، لجنة النفط، لجنة الهيدرولوجيا (علم المياه)، لجنة الفيزياء، لجنة الهندسة، لجنة الرياضيات، لجنة المعالجة الإلكترونية، لجنة ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، لجنة الشريعة، لجنة «معجم لغة الشعر».

وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ

د. هشام الخطيب

لقد ذكر الله تعالى قصة أهل الكهف.. هؤلاء الشباب الذين فروا من ظلم الملك الطاغية ديقيانوس الذي ادعى الألوهية. قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ (الكهف: ١٨).

في هذه الآية أكثر من معجزة وسأتكلم هنا عن معجزة طبية وهي الوقاية من قرح الفراش.

قرح الفراش

قرح الفراش عبارة عن إصابة تحدث في الجلد نتيجة عدم تدفق الدم بشكل سليم، والحك المستمر في الجلد من منطقة عظمية في الجسم، وذلك لأن الجلد يكون تحت ضغط من الفراش (كرسي متحرك أو أي سطح آخر غير مرن) لفترة طويلة

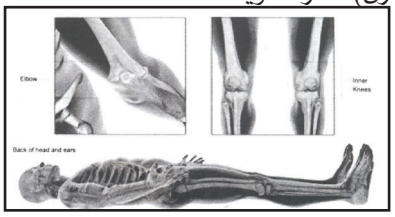

الأسباب

- يكون الجلد غنيًّا بالدم الذي يقوم بإرسال الأكسوجين لباقي الطبقات، فإذا حدث توقف لإمدادات الدم للجلد لأكثر من ٢ إلى ٣ ساعات سيموت الجلد بداية من الطبقة الخارجية له..
- السبب الرئيسي لقلة عملية تدفق الدم في الجلد هو الضغط عليه، أما بالنسبة لتحركات الجسم العادية فهي لا تسبب ضغطا على الجلد، وذلك بسبب تغيير وضع الجسم بشكل مستمر، وبالتالي فإن تدفق الدم لا يتوقف لفترة طويلة.
- وجود طبقة دهنية تحت الجلد، خاصة على منطقة العظام تساعد على عدم إغلاق الأوعية الدموية.
- الأشخاص الذين يعانون من الشلل أو عدم القدرة على الحركة هم أكثر عرضة للإصابة بقرح الفراش، أيضًا الذين لا يشعرون بالتعب أو الألم هم أكثر عرضة للإصابة، وذلك لأن هذا الشعور هو الحافز التلقائي على الحركة.
- بعض الأمراض التي تؤثر على الأعصاب مثل إصابات الرأس، أو السكتة الدماغية، أو مرض السكر، وبعض الأمراض الأخرى تقلل الشعور الطبيعي بالتعب والألم.
- الغيبوبة أيضًا من الأعراض التي تساعد على عدم الشعور بالتعب.
- هناك بعض الأشخاص الآخرين عرضة للإصابة بقرح الفراش وهم الأشخاص شديدو النحافة، وذلك لأنهم ليس لديهم طبقة دهنية تحت سطح الجلد، وعليه فإن الجلد يحك بشكل مباشر وكبير مع العظام، وأيضًا يصعب شفاء جروح هؤلاء الأشخاص بشكل طبيعي وذلك لقلة مستوى التغذية في الجسم.
- عندما يحدث توقف في تدفق الدم في منطقة معينة نتيجة ضغط الجلد، يحتاج الجلد للأكسوجين بشكل كبير، ثم يتحول إلى اللون الأحمر ويلتهب ثم تحدث القرحة.
- إذا حدث خلل في تدفق الدم في الجلد، أو أي خلل في الطبقة الخارجية للجلد يمكن أن يسبب ظهور قرح.
- بعض أنواع الملابس غير المريحة، والأسرَّة الخشنة أو الأحذية التي تحك بالجلد يمكن أن تسبب إصابات بالجلد.
- تعرض الجلد للبلل لفترة طويلة نتيجة العرق أو البول يمكن أن يتسبب في حدوث التهاب في سطح الجلد.

احمرار الجلد أولى علامات قرحة الفراش .. وهكذا تكون الوقاية

الأعراض

في أغلب الأحوال تسبب قرح الفراش ألما شديدا وحكًّا في الجلد، ولكن هناك بعض الأشخاص لا يشعرون بشدة الألم، أو إذا كانت القرحة شديدة قد تكون غير مؤلمة.

وتنقسم قرحة الفراش إلى مستويات مختلفة:

المستوى الأول: قبل بداية تكون القرحة بشكل كامل، فقط يكون الجلد أحمر اللون.

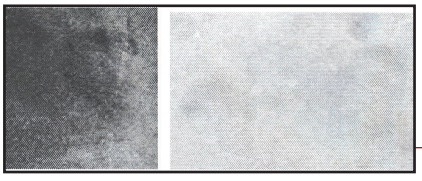

احمرار الجلد قبل تكون قرح الفراش

المستوى الثاني: يبدأ الجلد في الاحمرار الشديد والتضخم وغالبًا توجد بثور على سطح الجلد، ويكون السطح الخارجي للجلد ليس بحالة جيدة.

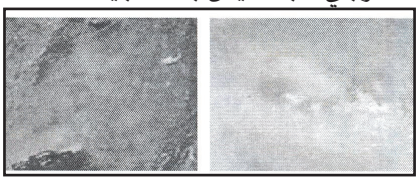

المستوى الثالث: تظهر القرحة على

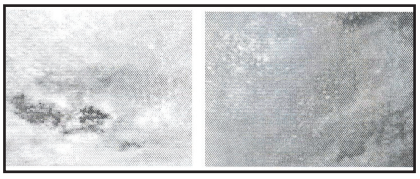

الجلد وتخترق مستوى أعمق من طبقات الجلد.

تكون القرح

المستوى الرابع: تخترق القرحة طبقات الجلد بشكل أعمق وطبقة الدهون والعضلات.

المستوى الخامس: يحدث خلل في العضلات.

المستوى السادس: وهو أعمق مستوى للقرحة في الجلد ويحدث خلل وإصابة بالغة في العظام.

الوقاية

تكون قرح الفراش مؤلمة جدًا، وتتسبب في طول مدة إقامة المريض بالمستشفى أو في الرعاية الصحية بالمنزل.

- الوقاية من الإصابة هي أهم الأولويات، حيث إن الرعاية الصحية السليمة تمنع حدوث إصابات كبيرة، تحتاج الوقاية من حدوثها لمشاركة أهل المريض ورعايتهم بجانب الممرضة أو الطبيب، حيث إن فحص جلد وجسم المريض بشكل دوري يساعد على إدراك حدوث المرض مبكرًا، ومحاولة العلاج.
- علامات احمرار الجلد هي أولى العلامات التي تنبه بضرورة عمل الاحتياطات اللازمة لمنع حدوث القرحة.
- بالنسبة للمناطق العظمية في جسم الإنسان، يمكن استخدام الأشياء الناعمة علي الجسم مثل القطن وذلك لمنع حدوث احتكاك مع الجلد.

الأسرة المتحركة في المستشفيات

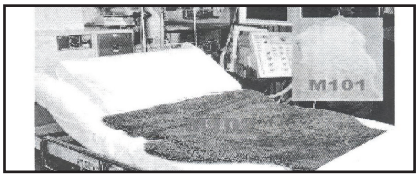

للوقاية من قرح الفراش

- يمكن أيضًا حشو الأسرّة والكراسي المتحركة بالقطن، أو وضع الوسائد الناعمة وذلك للتقليل من الضغط.

وبالنسبة للأشخاص الذين لا يستطيعون الحركة فيجب أن يغيروا اتجاه النوم كل فترة وبشكل منتظم، وأفضل الاقتراحات هو تغيير الاتجاه كل ساعتين علي الأقل وبقاء سطح الجلد نظيفا وجافا دائمًا.

يمكن أيضًا استخدام المراتب الهوائية الخاصة لتجنب الإصابة.

أما بالنسبة للأشخاص الذين يعانون بالفعل من قرح الفراش في أماكن مختلفة من الجسم فيمكن استخدام المراتب الهوائية والمصنوعة من المطاط الإسفنجي وذلك لتخفيف حدة الضغط وشدة الآلام.

العلاج

علاج قرح الفراش أصعب بكثير من منع حدوثها، ففي بداية مرحلة حدوث القرح يمكن الشفاء منها بسهولة بمجرد تغيير الضغط على الجسم، وأيضًا عن طريق تحسين المستوى العام للصحة والتغذية وتناول البروتينات والسعرات الحرارية الزائدة.

- إذا حدث جرح في الجلد، فيمكن تغطيته بالشاش وحمايته فذلك يساعد علي شفائه سريعًا.
- هناك أنواع شاش خاصة تمنع الالتصاق بالجرح.

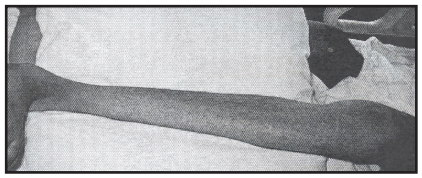

- إذا حدثت إصابة بالقرحة فيمكن شطفها برفق شديد بالصابون أو بمضادات الالتهاب حيث يمكن التخلص من المواد الميتة والمصابة بالجرح.
- تنظيف الجرح بشكل شديد يزيد من فترة التئام الجرح.

الوسائد الناعمة لمنع تكون قرح الفراش

من وسائل العلاج

أما بالنسبة لأنواع قرح الفراش الشديدة

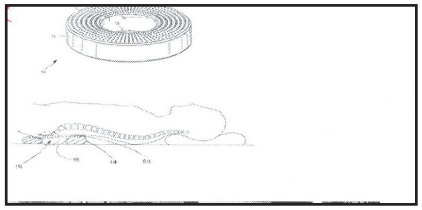

(العميقة) فيكون من الصعب علاجها.

- يتطلب العلاج في بعض الأحيان زرع قطعة جلدية سليمة مكان المنطقة المصابة (في حالة الإصابة البالغة) ولكن هذا النوع من العلاج الجراحي لا يمكن استخدامه في أحوال كثيرة، خاصة إذا كان المريض شخصا كبيرا في السن وضعيفا من ناحية التغذية الصحية، ويمكن أيضًا العلاج بالمضادات الحيوية.
- إذا حدثت إصابة للعظام تحت القرحة (في الحالات المتأخرة للإصابة) فيكون من الصعب جدًا العلاج وقد تحتاج الحالة إلى أسابيع طويلة وعلاج بالمضادات الحيوية.

هذه الآية الكريمة معجزة من معجزات القرآن الكريم العلمية وهي ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ وهي تتحدث عن الفتية الذين لبثوا في كهفهم ٣٠٩ سنة دون أي تغيير في حالة أجسامهم ودون أية مضاعفات، وهذه حقيقة طبية مكتشفة

من فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

٨٤/١٣/٣ع توبة الراشي في الانتخابات

إذا فاز مرشح في الانتخابات وأصبح نائبًا في المجلس وقلنا: إن شراء وبيع الأصوات حرام، وأراد أن يتوب، فماذا يفعل؟ هل يصارح الناس بالحقيقة؟ وهل يجوز له الاستمرار في المجلس أم عليه أن يستقيل؟

أجابت اللجنة بما يلي: عليه أن يتوب، والتوبة: الندم على ما فات، والإقلاع عن مثل هذه الأعمال، والعزم على ألا يعود إلى ما يشبهه، ثم ينظر صادقًا فيما بينه وبين الله في أهليته لمثل ذلك، فإن رأى نفسه غير أهل، أو كان أهلاً ولكن هناك من هو أولى منه وقد حال بالرشوة دون وصول ذلك الغير، فعليه أن يتنحى، وعليه أن يستعين في تقدير أهليته بأهل الرأي والمشورة. والله أعلم.

٨٤/١٣/٣ع توبة المرتشي في الانتخابات

إذا أراد الناخب أن يتوب مما كسبه من مال للإدلاء بصوته، فماذا يفعل في حالة نجاح من انتخبه، أو في حالة فشله؟

أجابت اللجنة بما يلي: على الناخب سواء نجح من انتخبه أو فشل، عليه أن يتوب إلى الله، وأن يخرج هذا المال الخبيث الذي أخذه لبيع صوته إلى صاحبه، فإن لم يتمكن من ذلك فليضعه في شيء من وجوه الخير (سوى بناء المساجد وطبع المصاحف).

٨٤/١٤/٣ع سقوط الحق بالتقادم

سأل سائل اللجنة في شأن سقوط الحق بالتقادم، وهل يسقط حق المسلم بمرور فترة زمنية معينة مثل القانون الوضعي؟

فأجابت اللجنة بما يلي: التقادم مهما طالت مدته لا يسقط الحق في الشريعة الإسلامية، لقول الله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ (النساء: ٥٨)، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «على اليد ما أخذت حتى تؤديه».

٨٣/٦/٢.....شهادة غير المسلم

سأل سائل: بحكم وظيفتي نرسل العينات الغذائية إلى المختبر (المختبر الكيميائي) لمعرفة ما إذا كانت العينة الغذائية تحتوي على دهن خنزير أو كحوليات، وعندما تصل نتيجة المختبر الكيميائي نقوم إما بمنع دخول تلك المادة الغذائية أو السماح لها على ضوء تلك النتيجة، ولما كانت رئيسة المختبر هي امرأة غير مسلمة، ويوجد تحتها ثمانية محللين كيميائيين للأغذية؛ من بينهم كذلك اثنان من غير المسلمين، فما هو موقفي: هل أقبل النتيجة التي قام بتحليلها غير المسلمين، وقالوا لي: إن العينة تحتوي أو لا تحتوي على دهن خنزير أو كحول، وما موقفي بشكل عام أمام النتائج الصادرة بموافقة الرئيسة التي تساهم في إبداء رأيها في النتيجة النهائية للعينة الغذائية؟

وبسؤاله عن دور رئيسة المختبر الكيميائي في إعطاء النتيجة؛ أجاب بأنها هي وحدها التي تتلقى طلبات الاختبار، وتحيل العينات إلى المحللين، ثم تتسلم النتائج وتعطي النتيجة بتوقيعها.

...وسُئل المستفتي: هل لها دور في إبداء الرأي؟ قال: نعم.

أجابت اللجنة: بعدم جواز اعتماد النتيجة فيما يتعلق بدهن الخنزير أو الكحول وسائر ما يتصل بالأمور الشرعية، لأنه لا يقبل في هذه الأمور إلاّ خبر المسلم، ويتعين في ذلك أخذ رأي المحلل المسلم المؤتمن بتوقيع معروف. والله سبحانه وتعالى أعلم.

٨٣/٤/٢ رد الحقوق لأصحابها

إذا سرق شخص مبلغًا من المال من شخص آخر، وتاب السارق الآن، إلاّ أن المسروق في بلد ثان وهو متوفى ولا يعرف أله ذرية أم لا، ولا يعرف كيف يبرئ ذمته من هذا المال، فماذا يفعل؟

أجابت اللجنة: على السارق أن يحاول بكل وسيلة ممكنة رد هذا المبلغ إلى من سُرق منه، أو إلى ورثته، فإن عجز عن ذلك ويئس فليتصدق عنه، على أنه إن ظهر هو أو ورثته يكون ملزمًا برد المبلغ إليهم ما لم يجيزوا الصدقة. والله أعلم.

٧٨/٥٠/٥ بيع أموال المخالفين للقوانين

هل يجوز للبلدية الاستيلاء على الحيوانات السائبة في الشوارع؟ وهل يجوز بيع هذه الحيوانات في المزاد؟ وهل يجوز لنا شراء هذه الحيوانات السائبة التي استولت عليها البلدية؟

أجابت اللجنة بما يلي: إذا كان صاحبها معروفًا لا يجوز بيعها إلاّ برضاه، وترد إليه وتحصل منه الغرامة، أما إذا لم يعلم صاحبها فتجري عليها أحكام اللقطة، فمن تعرف عليها ردت إليه بعد تحصيل ما أنفق عليها، أما

إذا لم يعرف صاحبها بقيت مدة إلى أن يغلب على الظن ألا يطلبها أحد، ثم تباع ويحفظ ثمنها إلى فترة يغلب معها ألا يطلبها أحد، وتنفق هذه الأموال في المصالح العامة. والله أعلم.

١/٢٣/ع/١٨٤ الإجهاض للضرورة

سُئلت اللجنة: هل يجوز الإجهاض في الحالات التالية:

١- عندما يكون هناك خطر مرض وراثي مع دليل قوي على أن الجنين مصاب به.

٢- عندما تكون الأم في حالة خطر سواء من الناحية البدنية أو العقلية.

٣ - عندما يكون هناك احتمال وجود عيب خلقي بالجنين نتيجة لإصابة الأم بمرض أثناء الحمل، مثل الحصبة الألمانية.

٤ - إذا تم تشخيص عيب خِلْقي بالجنين أثناء الحمل.

٥- في حالات الحمل غير الشرعي.

٦- إذا لم تكن هناك رغبة في الحمل لسبب من الأسباب.

٧ - عندما تكون المرأة الحامل غير قادرة على رعاية طفلها بسبب خلل عقلي أو عجز عن الحركة.

فأجابت: يحظر على الطبيب إجهاض امرأة حامل إلاَّ لإنقاذ حياتها، ومع ذلك فإذا لم يكن الحمل قد أتم أربعة أشهر يجوز الإجهاض في الحالتين الآتيتين:

(أ) إذا كان بقاء الحمل مضرًا بصحة الأم ضررًا جسيمًا.

(ب) إذا ثبت أن الجنين سيولد مصابًا على نحو جسيم بتشوه بدني أو قصور عقلي لا يرجى البرء منهما، ووافق الزوجان على الإجهاض.

٢/٢٠/ع/١٨٤ التداوي بالكحول

هل يجوز استعمال الكحول في الأدوية التالية: شراب الكحة، المقويات، الأدوية المسكِّنة للآلام، علماً بأن الكحول يدخل في تركيب هذه الأدوية كمادة حافظة، كما أنه يساعد على ذوبان ما تحتويه من عقاقير؟

أجابت اللجنة بما يلي: لا يجوز استعمال المسكر في الدواء ولا يحل إلا إذا تعين دون غيره، ولا يوجد غيره مما يقوم مقامه وحصل الضرر بتركه، وذلك لقوله تعالى: ﴿وقد فصَّل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه﴾ (الأنعام: ١١٩)، وإذا حصل ضرر لعدم استعمال المسكر وجب استعماله بقدر ما يدفع الضرر.

٤/١٠٦/٨٠/إقامة الجمعة في البر

نحن جماعة خرجنا إلى البر للنزهة لمدة شهر بمكان يبعد عن مدينة الكويت بما يقرب من ٨٠ كيلومترًا. هل تجب علينا صلاة الجمعة؟ وهل يجوز أن نقيمها علمًا بأن عددنا يقارب ٤٠ شخصًا؟

أجابت اللجنة: على هذه الجماعة ألا تقيم صلاة الجمعة لأنها لا تجب عليهم، وإن رأوا أن يصلوها فليقصدوا بعض الجوامع القريبة من مكانهم.

٤/٦٧/٧٩/أصوات الساعات في المسجد

بعض الساعات في المساجد فيها أجراس؛ فما الحكم في ذلك؟

أجابت اللجنة: أن أصوات التنبيه التي في الساعة لا تعطى حكم الأجراس فلذلك لا تحرم. واللَّه أعلم.

قرار مجمع الفقه الإسلامي- منظمة المؤتمر الإسلامي رقم: ٤٦ (٥/٨) بشأن تحديد أرباح التجار

بعد اطلاع المجلس على البحوث المقدمة من الأعضاء والخبراء في موضوع تحديد أرباح التجار، واستماعه للمناقشات التي دارت حوله، قرر ما يلي:

أولًا: الأصل الذي تقرره النصوص والقواعد الشرعية ترك الناس أحرارًا في بيعهم، وشرائهم، وتصرفهم في ممتلكاتهم وأموالهم، في إطار أحكام الشريعة الإسلامية الغراء وضوابطها، عملاً بمطلق قول الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾ (النساء: ٢٩).

ثانيًا: ليس هناك تحديد لنسبة معينة للربح يتقيد بها التجار في معاملاتهم، بل ذلك متروك لظروف التجارة عامة، وظروف التاجر والسلع، مع مراعاة ما تقضي به الآداب الشرعية من الرفق، والقناعة، والسماحة، والتيسير.

ثالثًا: تضافرت نصوص الشريعة الإسلامية على وجوب سلامة التعامل من أسباب الحرام وملابساته كالغش، والخديعة، والتدليس، والاستغفال، وتزييف حقيقة الربح، والاحتكار الذي يعود بالضرر على العامة والخاصة .

رابعًا: لا يتدخل ولي الأمر بالتسعير إلاّ إن حدث خلل واضح في السوق والأسعار، ناشئ من عوامل مصطنعة، فإن لولي الأمر حينئذ التدخل بالوسائل العادلة الممكنة التي تقضي على تلك العوامل وأسباب الخلل والغلاء والغبن الفاحش.

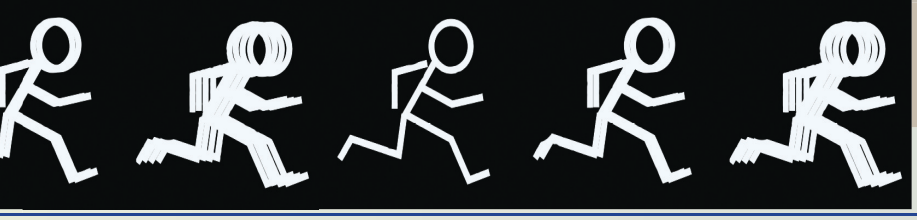

إعداد: خالد خلاوي

قوة التركيز

ذات يوم جمع حكيم طلابه وأراد أن يعلمهم فن الرماية فوضع طائرًا خشبًا كهدف وطلب من أتباعه أن يصوبوا على عين الطائر، وسأل الحكيم أحد طلابه وهو يستعد للتصويب: ماذا ترى؟ فقال: أرى الأشجار، والفروع، والأوراق، والطائر وعينه.

وسأل الحكيم السؤال نفسه للطالب التالي، فأجاب: أرى فقط عين الطائر، فقال الحكيم: جيد جدًّا.. الآن صوب، فذهب السهم مباشرة وأصاب عين الطائر.

ونتعلم من هذه القصة أهمية تحديد الأهداف، ولكنها لن تتجسد على أرض الواقع إن لم ندعمها بقوة التركيز، إن لم نركز بؤرة اهتمامنا فلن نستطيع تحقيق أهدافنا، يقول شيف كيرا: في يوم مشمس لن تستطيع أقوى عدسة مكبرة إشعال قطعة من الورق إذا ظللت تحرك العدسة، لكن إذا جعلت الضوء في بؤرة وركزته على موضع واحد، فستحترق الورقة.. إنها قوة التركيز.

إن تحديد الأهداف بدقة يعين على التركيز، على سبيل المثال عندما تشتري تذكرة طيران، ما المعلومات التي تحتوي عليها هذه التذكرة؟ إنها معلومات محددة عن: نقطة البداية – مكان الوصول – درجة السفر – السعر – وقت الإقلاع – وقت الوصول.

إذا سألت معظم الناس عن هدفهم الأساسي في الحياة، ربما يمنحونك إجابات عامة غير محددة مثل أريد أن أكون ناجحًا، سعيدًا، ميسور الحال، وتلك أمنيات وليس فيها هدف محدد، والبعض يخرج من الأمنيات إلى تحديد أهداف كثيرة يتشتت معها تركيزه أو قد يحدد مجالًا أو هدفًا لا يتناسب مع قدراته وإمكاناته ومواهبه.

يُروى أن الإمام البخاري حاول في أول أمره تعلم الفقه والتبحر فيه، فقال له محمد بن الحسن: اذهب واشتغل بعلم الحديث، عندما رآه مناسبًا لقدراته وأليق به وأقرب إليه، وقد أطاعه البخاري ومن ثم صار على رأس المحدثين بل وإمامهم.

وبينما ترك الإمام البخاري الفقه وتفوق في الحديث اختار الإمام أبوحنيفة النعمان الفقه وتفوق فيه حتى قال عنه الإمام الشافعي: «الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة».

فاختيار الهدف المناسب يعين على التركيز ويؤدي إلى النجاح في تحقيقه، وذلك ليس في مجال طلب العلم وحسب بل في كل مجالات الحياة.

في عالم التجارة والمال، حاولت شركة (3M) عمل كل شيء، فأدركت أن الفرص الكبيرة تضيع وسط الزحام، فطالبت كل فرع للشركة بالتركيز على منتجين يملكان أفضل فرص للنجاح، فلما فعلت ذلك انقلبت الخسائر إلى أرباح.

لقد أصبح التركيز هنا شرطًا من شروط النجاح بتفوق، ولكن كيف نتدرب على التركيز؟ في الإجابة على هذا السؤال يعتبر جون كيهو مؤلف كتاب «قوة العقل في القرن الحادي والعشرين» أن القدرة على تركيز ذهنك وتوجيهه إلى فكرة وحيدة أو مشروع محدد يعد شرطًا أساسيًا لاستخدام قوة العقل، فإننا لو لم ندرب عقلنا على هذه القوة فسنجد صعوبة وعناء بالغين في الانتقال من فكرة إلى أخرى، ويؤكد كيهو أن عدم التركيز سيجعل العقل في حالة اضطراب وسيتطلب الأمر منا الجهد والقوة كي يمكننا توجيهه، وتوجيه العقل هو بالضبط ما ينبغي علينا أن نتعلمه، فلتوجه عقلك بحيث يفكر في الأفكار التي تتخيرها، واطرد منه كل الأفكار التي ترغب في إبعادها عن ذهنك، ذلك أننا حين نستسلم أمام كل فكرة تراود أذهاننا وندعها أخذنا معها في الاتجاه الذي تسير فيه، نبقى حبيسي أوهامنا وهمومنا، لأن كل فكرة تسيطر علينا وتخضعنا لقوتها، وبتعلمك التركيز فإنك تعيد إلى نفسك هذه السيطرة، فتثبيت عقلك من خلال مجموعة متنوعة من أساليب التركيز ينظم العقل ويقويه.

ويرى كيهو ان أسلوب التأمل من أفضل أساليب تطوير قوى التركيز الخاصة بك، فهو لا يشحذ العقل ويقويه فقط، بل يتيح رؤية أشمل لما تقوم بسبر أغواره من خلال ممارسة التأمل.

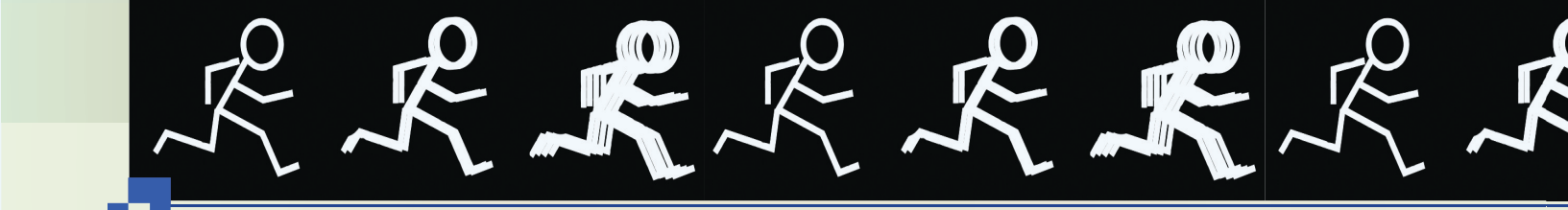

خطوات للتميز

كيف تركز في عملك؟

فيما يلي بعض الوسائل المساعدة على التركيز في العمل لزيادة الإنتاجية:

حدد كافة الأعمال التي يجب عليك أن تقوم بها في بداية يوم العمل وسجلها في ورقة وضعها أمامك.

رتب المهام المطلوبة من المهم إلى الأقل أهمية، وإذا كانت جميعها مهمة رتبها من الأصعب إلى الأسهل وابدأ التنفيذ.

رتب مكان عملك ترتيبا جيدًا واستبعد كل ما يشتت فكرك ويشغل ذهنك.

تعامل مع كل ورقة على مكتبك مرة واحدة فقط، ويساعدك على ذلك تصنيف الأوراق حسب أهميتها. ضع الأوراق المهمة في حاوية مؤقتًا. سلّم الأوراق التي لا تخصك لصاحبها. تخلّص من الأوراق التي انتهيت منها أو التي لا تحتاجها.

أول ساعات العمل تكون فيها الطاقة الاستيعابية عالية، لذا من الأفضل أن تقوم بمباشرة أصعب المهام وأعقدها في بداية اليوم.

تجنَّبْ عناصرَ التَّشتيت التي تصدر منكَ لا من الآخرين، كالنظرِ إلى الساعة مثلًا، أو الانشغالِ بالهاتف الجوال... إلخ.

أثناء العمل إذا شعرت بالإجهاد توقف بعض الوقت وخذ لحظات من الاسترخاء في مكان جيد للتهوية.

عند تذكرك بأن هناك مكالمة هاتفيّة أو عمل يجب عليك متابعته فقم فورًا بتدوينه في ورقة خارجيّة لتقوم بعمله لاحقًا.

حافظ على النظام الذي قمت بوضعه لعملك وعدم السماح بتركه بأي حال من الأحوال.

حدد أولويات واجبات اليوم التالي حتى تستعد للعمل بصفاء ذهن.

كلمات في التميز

التركيز

واشنطن إيرفينج

إن العقول العظيمة لديها أهداف والآخرون لديهم أمنيات.

جين جوردن

الحياة صعبة إذا أخذتها ياردة ياردة، ولكن إذا أخذتها بوصة بوصة تصبح في متناول الجميع.

فليبيس بروكسل

إن حصر الاهتمام هو أول مقومات العبقرية.

هلفتيوس

لا شك أن القدرة على التركيز صارت من أهم مقومات النجاح.

أ.ج. جريس

إن صب الاهتمام فى العمل أو المشكلة التى قيد البحث ثم نسيان الأمر بتاتا بمجرد حسمه والوصول إلى قرار فيه، بحيث تستعيد قوة تركيز ذهنك كاملة غير منقوصة من أهم الأسباب المؤدية إلى النجاح في الحياة.

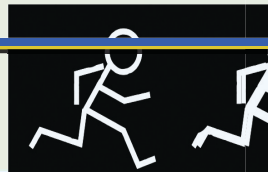

إعداد: هيفاء حسن

النوم والجينات الوراثية

اكتشف فريق من العلماء الألمان والبريطانيين أن اختلاف حاجات الناس إلى فترات أطول أو أقصر من النوم مرتبط بجيناتهم الوراثية أكثر من تأثرهم بعوامل أخرى بيئية أو اجتماعية، واكتشف العلماء أيضًا أن من يحمل موروثًا جينيًا يعرف بالرمز «ABCC٩» يحتاج إلى ما معدله ٣٠ دقيقة من النوم في الليلة أكثر من غيره، وقال الباحثون إن هذه الحاجة الجينية لا تتأثر بتغيرات الفصول أو طول أو قصر النهار.

وأوضحت الدراسة التي ركزت على أوروبا وشملت نحو ١٠ آلاف متطوع أوروبي أن نحو خمس الأوروبيين يحملون هذا الجين الوراثي، ويقول علماء بريطانيون وألمان إن تلك النتائج لها صلة بالعديد من المشكلات الصحية مثل السمنة المفرطة، وأمراض القلب، ويرى هؤلاء أن الكشف عن هذه الحقيقة الجديدة سيلقي مزيدًا من الضوء على سلوكات النوم عند الإنسان، وأن حاجات الناس إلى النوم يمكن أن تتباين بشكل ملموس يشار إلى أن رئيسة الوزراء البريطانية السابقة مارغريت تاتشر تحتاج مثلا

إلى ما معدله أربع ساعات من النوم يوميًا، في حين احتاج عالم الذرة وصاحب النظرية النسبية ألبرت آينشتاين إلى نحو ١١ ساعة يوميًا، ويتوقع الباحثون أن تفتح المعلومات الجديدة الباب أمام نوع جديد من البحوث المتعلقة بسلوكات النوم، وبالتالي التحديد الدقيق لكيفية تنظيم هذا الجين الوراثي لتلك السلوكات، وقالوا إن ميول النوم لفترات أطول أو أقصر موجود ومتوارث بين الأقارب والعائلات رغم الحقيقة القائلة إن فترة النوم يمكن أن تتأثر بالعمر والموقع من سطح الأرض والفصول أو الساعة البيولوجية.

مدينة أثرية جديدة في مصر

أعلن المجلس الأعلى للآثار المصرية عن نجاح بعثة تابعة له في العثور على مدينة أثرية سكنية تعود للقرن الرابع الميلادي (العصر القبطي) في منطقة عين السبيل في واحة الداخلة في محافظة الوادي الجديد بالصحراء الغربية، وتشمل الآثار مباني سكنية يتوسطها كنيسة، ومن المتوقع اكتشاف مدن أثرية جديدة في المنطقة نظرًا لأنها لم تشهد أعمال حفائر من قبل.

اكتشاف كوكب شبيه بالأرض

أعلن علماء فلك أميركيون عن اكتشاف كوكب شبيه بكوكب الأرض خارج النظام الشمسي يتميز بدرجة حرارة عند سطحه تقدر بـ٧٢ درجة فهرنهايت.

وقال العلماء من مركز «آيمس» للأبحاث التابع لوكالة الفضاء الأميركية «ناسا» في كاليفورنيا: إن الكوكب الذي اكتشفه تلسكوب «كيبلر» الفضائي يدور حول نجم يبعد حوالي ٦٠٠ سنة ضوئية أي إنه قريب بحسب المعايير الفلكية.

وأضافوا: إن الكوكب المكتشف «يقع في وسط المنطقة المأهولة تمامًا».

وأطلق اسم «كيبلر ٢٢ب»، وجاء اكتشافه بعد سنوات من الأبحاث عن كوكب ليس شديد الحرارة ولا شديد البرودة يمكنه أن يحتوي على محيطات على سطحه مثل «الأرض» لأن السوائل حيوية بالنسبة إلى تطور الحياة، وقال الباحث عن الكواكب جيف مارسي من جامعة كاليفورنيا، بيركلي: «هذا اكتشاف استثنائي في تاريخ البشرية».

وأشار إلى أن هذا الكوكب: «هو أصغر كوكب، يتميز بحجم أكثر شبها بحجم الأرض، والذي يوجد في منطقة دافئة حول شمس أخرى يمكن أن تسمح بالحياة».

وأضاف: «نحن نبحث في الفضاء عن كواكب تذكرنا بكوكبنا، ونكاد نصل إلى هذه المرحلة».

اكتشاف مادة مضادة للسرطان

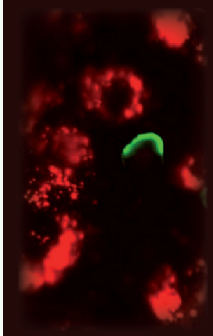

اكتشف باحثون أوروبيون بصورة عفوية مادة قادرة على منع تكوين أوعية دموية جديدة لتغذية كتلة الورم الخبيثة، كما تتمكن هذه المادة من الوقوف في وجه الخلايا السرطانية التي تهاجر من موضع السرطان الرئيسي لاستيطان مناطق أخرى بالجسم، تدعى هذه المادة «هيثيرو تاكسين»، ويقول اختصاصيو الأورام الخبيثة في سويسرا إن هذا الاكتشاف مفيد جدًا لإنجاز دراسات إضافية عليه، وسلسلة من التجارب التي يتم تنفيذها عبر ثلاث مراحل قبل تسويقه عالميًا.

دليل الكواكب الصالحة للسكن

أصدر علماء الفلك دليلًا كونيًا يحصر الكواكب والأقمار الملائمة لإقامة حياة عليها.

وقد شكل العلماء هذا الجدول الإلكتروني على الإنترنت لسبر غور عدد العوالم المتزايدة التي رصدها الباحثون بالمناظير الفضائية الحديثة.

ويعتقدون أن قاعدة البيانات تلك ستساعد علماء الفلك وغيرهم من المهتمين في مقارنة العوالم النائية ومراقب الأصلح للسكنى أثناء اكتشافهم لها.

ويصنف هذا الجدول صلاحية الكواكب والأقمار للسكن حسب معايير ثلاثة: درجة حرارة سطوحها، ومشابهتها للأرض، وقابليتها لاستيعاب الكائنات الحية التي في أسفل السلسلة الغذائية.

ويشير الجدول إلى وجود نسبة بسيطة من العوالم الغريبة الملائمة للحياة لا يتجاوز عددها ١٥ كوكبًا أو أكثر و٣٠ قمرًا من بين المئات المرشحة لاحتمال أن تكون صالحة للسكن.

ويأمل العلماء أن تساعد قاعدة البيانات هذه في زيادة الاهتمام ببناء منظار متمركز في الفضاء لمراقبة الكواكب الخارجية مباشرة والبحث عن أدلة محتملة للحياة عليها.

قطن يقتل البكتيريا

طور باحثون أميركيون نوعًا جديدًا من القطن قادر على تنظيف نفسه وقتل البكتيريا، ويحتوي القطن المطور على مركب كيميائي يمنحه قدرة تنظيف نفسه، وقتل الجراثيم وتفكيك المواد السامة، ويمكن استخدام النسيج القطني الجديد في تصنيع الغذاء، أما عن طريقة قتل القطن الجديد للبكتيريا فقال الباحثون: إنه ينتج لدى تعرضه للضوء جزيئات الهيدروكسيل وأوكسيد الهيدروجين التي بإمكانها القضاء على البكتيريا وتفكيك المركبات العضوية السامة.

من هنا وهناك!

● أظهرت دراسة سويدية أن الرجال السويديين الذين سجلوا معدل ذكاء منخفض في عمر الثامنة عشرة يعانون من زيادة وزن في محيط الخصر في عمر الأربعين أكثر من الذين سجلوا معدل ذكاء مرتفع، والغاية من الدراسة وضع إستراتيجية جديدة تهدف إلى وقف وباء السمنة في السويد.

● كشفت دراسة بريطانية جديدة عن أن عدد المعمرين في بريطانيا وصل إلى ١٢٦٤٠رجلًا وامرأة بالمقارنة مع ٢٥٠٠ عام ١٩٨٠م و١٠٠ معمر عام ١٩١١ وهذا يعني تجذر الشيخوخة في المجتمع البريطاني.

● نجح باحثون بريطانيون في ابتكار بساط سحري مصنوع من البلاستيك بطول عشرة سنتيمترات يتحرك بفعل موجات من التيار الكهربائي تدفع جيوبًا صغيرة جدًا من الهواء من الأمام إلى الخلف، ومن تحت البساط.

● قال علماء وكالة الفضاء الأميركية (ناسا) إنهم طبقوا «نانونية» جديدة لصقل الأجسام قادرة على امتصاص أكثر من ٩٩٪ من الأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية، ومن شأن هذه المادة أن تمهد الطريق لتطوير العديد من الإمكانات في عالم تقنيات الفضاء، وذلك في ظل ضرورة أن تكون العديد من الأدوات المستخدمة في الأقمار الصناعية ذات حماية- قدر الإمكان- ضد الضوء المتناثر.

● قال باحثون استراليون: إن صغار السلاحف تتواصل مع بعضها البعض وقت وجودها داخل البيض حتى تفقس جميعها في آن واحد، وهذا التواصل يتم عن طريق إشارات خاصة تدفع بالسلاحف الأقل نموًا على تسريح وتيرة نموها!

إعداد: التحرير

آية وغاية

يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿كم تركوا من جنات وعيون. وزروع ومقام كريم. ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوما آخرين. فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾ (الدخان: ٢٥-٢٩).

هذه الآيات البينات التي نحيا معها ونقف أمامها نأخذ من معانيها مواعظ وعبرات ولمحات لما حدث لفرعون وجنوده وهي تقص علينا ما حدث لهم، لكننا أمام عظمة ودقة النداء القرآني وأسلوبه البياني وهو يخاطب الماضي والحاضر والمستقبل.

وهؤلاء القوم لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم ولا لهم في الأرض بقاع عبدوا الله تعالى فيها فقدتهم، فلهذا استحقوا ألا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم وعنادهم.

قال مجاهد: ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحًا، وسئل: أتبكي الأرض؟ فقال أتعجب، وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود، وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل.

ونحن عندما نستدعي أحداث الماضي بالأندلس نجد ملوك الطوائف وهم مترفون في الفردوس المفقود وكيف فرطوا في هذا النعيم وانشغلوا بالخلافات والصراعات وانغمسوا في الملذات وأضاعوا الانتصارات، فلم يستطيعوا أن يحافظوا على ما هم فيه من رغد العيش فاستباح العدو كرامتهم ورويدًا رويدًا سقطت الأندلس وزال النعيم وذل المترفون.

ويحكي لنا التاريخ أن آخر ملوك الأندلس (عبدالله) خرج يجر أذيال الهزيمة وهو يركب حصانه منكسا رأسه باكيا منكسر الإرادة مسلوب القيادة وأمه (المرأة الأبية) تقول له «ابك مثل النساء ملكًا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال». ومازال بعض الحكام العرب لا يتعظ لما حدث فأضاعوا ممتلكات الشعوب وارتكبوا الذنوب وفرطوا في مكتسبات المجتمعات لأنهم استأثروا بالنعم وبددوا الثروات، وزمرتهم وبطانتهم زينوا لهم سوء أعمالهم فأذلوا العباد وعاثوا فسادًا في البلاد فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كسبوا، وهذا ما حدث ويحدث أمام أعيننا وما تتناقله وكالات الأنباء وعلى القنوات الفضائية من دمار لبلد كان من أغنى الدول في الوطن العربي دخلا وأجمل موقعًا، فالأنهار تجري فيه وأرضه تعطي الخير وتجود بأطيب الثمر.

وكما تحولت النعمة على فرعون وقومه إلى نقمة أيضًا تحولت عن أناس آخرين بدلوا نعمة الله كفرا، وسيورث المولى تبارك وتعالى النعم التي أزالها عنهم إلى أقوام آخرين يؤدون حق النعم ويشكرون ويعبدون المنعم، لأن الأرض يرثها عباد الله الصالحون، لأن هذا وعد الله الحق في كتابه الصدق ﴿كذلك وأورثناها قوما آخرين﴾ نسأل الله عز وجل ان نكون من الموحدين الذاكرين الذين يحافظون على النعم بشكرها وحق المنعم بعبادته لنرثها ونؤدي حقها.

محمد السعيد مصطفى الشيخ

السماحة في السُنَّة النبوية

السنة النبوية المطهرة مليئة بالدروس المستفادة، ومن خلالها يمكن تربية أطفالنا على كثير من المبادئ، خاصة في عصرنا هذا الذي انتشر فيه العنف بسبب وبغير سبب.

ومن المبادئ التي نحتاج اليها الآن بشكل ملح «السماحة»؛ فهي منهج قائم بين السهولة والشدة، وهي أمر وسط بين الإفراط والتفريط. وديننا الحنيف يهتم بالسماحة أيما اهتمام، فمن سماحته الزواج من الكتابيات (من النصارى واليهود)، وكذلك إيثار الغير على النفس، وأيضًا في اتباع مبدأ الشورى.

وانطلاقًا من أن لنا في رسول الله الأسوة الحسنة، فمن الضرورة بمكان أن تشهد السنوات الأولى في حياة الطفل، وكذلك في بدايات المرحلة التعليمية الأولى، أن يوضح له وبأسلوب مبسط كيف كان رسولنا الكريم سمحًا حتى مع أعداء الدين، ويمكن الاستشهاد بذكر بعض الأمثلة مثل قوله ﷺ يوم فتح مكة: «ما تظنون أني صانع بكم؟ قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»، وقوله أيضًا: «من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة». فالسماحة في التعامل مع الناس ومشاركتهم أفراحهم وتقديم يد العون مظهر من مظاهر السماحة التي تثقل ميزان الإنسان يوم القيامة. ولا ننسى أيضًا ذكر حديثه الشريف: «ليس الشديد بالصرعة؛ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»، فالعفو عند المقدرة له أثر جميل في انتشار التسامح بين الناس.

مجمل القول أن يدرك أطفالنا قيمة السماحة، وكيف لعبت دورًا مهمًا في انتشار الدين الإسلامي.

فوزي تاج الدين

«محمد.. الرسول القدوة»

المتأمل لسيرة النبي محمد ﷺ يجد أنه كان يعيش في حقيقة عبوديته لله عز وجل بكل ما تحمل هذه الحقيقة من معاني الذل والانكسار لله عز وجل، مع أنه لو جاز لأحد أن يفتخر ويعتز بمكانته لكان هو الأولى بذلك، أليس هو خير البشر وأفضل الرسل وصاحب الشفاعة؟ أليس هو من أمَّ الرسل والأنبياء في المسجد الأقصى في رحلة الإسراء؟ أليس هو الذي قال الله له: ﴿فإنك بأعيننا﴾ وأقسم بحياته قائلًا: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ (الحجر:٧٢) ومع هذا كله لم نجده ﷺ إلا عبدًا متواضعًا منكسرًا لله عز وجل لم يكن جلوسه في مكان مميز عن الآخرين بل كان يجلس بين أصحابه مختلطًا بهم حيثما انتهى به المكان جلس، لم يتعامل مع نفسه ولا مع الناس على أساس تلك المنزلة التي اكرمه الله بها، وكان ينهى أصحابه عن القيام له، وكان يأتي ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم.

ومن صور تواضعه ﷺ أنه كان يمر بالصبيان فيسلم عليهم وكان يغسل ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه. فإن كان هذا هو حال افضل البشر وأعلاهم مرتبة عند الله عز وجل فماذا ينبغي لنا أن نكون؟ إن العزة الحقيقية هي عزة العبودية لله عز وجل وذلك حين يضع المرء نفسه في مكانه الطبيعي أمام ربه كعبد ذليل لرب جليل فيحدث له تبعًا لذلك الاتصال الحقيق به، ومن ثم يدخل في دائرة معيته وكفايته التي وعد بها عبادة ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ (الزمر: ٣٦).

وعندما تغيب هذه الحقيقة (حقيقة العبودية لله عز وجل) فإن المرء يفقد عزته الحقيقية ليزداد تخبطه وشعوره بأن هناك شيئًا ينقصه فيجتهد في البحث عنه من خلال تحصيل أسباب العزة الزائفة، وفي الوقت ذاته لا يصل إلى مبتغاه في تحصيل السعادة والسلام الداخلي ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ (التوبة: ٥٥).

وكيف لا.. وقد قال سبحانه في حديثه القدسي: «العز إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار (أبوداود).

فتأمل معي قول الله تعالى ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات: ١٣).

إن الحقيقة التي لا ينبغي أن تفارقنا لحظة واحدة أنه لا يوجد شيء ذاتي يمكن للواحد منا أن يعتز به ويشعر أنه أرفع أو مميز عمن حوله بسبب امتلاكه له كالعزة بالشكل أو النسب أو السبق أو الثراء او المركبة أو الأولاد أو الشهادة أو المسكن أو الملبس.

إن العزة الحقيقية هي عزة الانتساب لله عز وجل وذلك حين نرتدي رداء العبودية له، ومن مظاهر هذه العزة الذلة للمؤمنين والعزة على الكافرين والمتكبرين، ومن مظاهرها كذلك الرغبة الدائمة في الجلوس مع الفقراء والمساكين وإعزازهم، وكذلك عدم المباهاة أو الافتخار بشيء من أعراض الدنيا وحب السجود على التراب وكراهية التصدر للقيام بالأعمال وغير ذلك من مظاهر التواضع.

محمد السيد عامر

يأكلون كما تأكل الأنعام

أترك للقارئ الكريم ان يجول بفكره ويتدبر آية ربه ويصل للمقصود ويعرف المردود من قوله تعالى ﴿يأكلون كما تأكل الأنعام﴾ حيث نجيت أمة الحبيب ﷺ من شبه الانعام إن هي امرت بمعروف ونهت عن منكر وآمنت بالله.

ولكن انظر حال هذه الأمة اليوم وهي في شر مستطير حيث الفساد الخطير من جاكارتا الى طنجة ومن دول الديموقراطية الى الديكتاتورية.

حيث الفساد بصور شتى وصنوف عدة وبدلا من ان تكون جموع من الشعوب العربية من المخترعين وللحضارة نافعون وفي الرفاهية مشاركون اذا بالفساد العربي «ماركة مسجلة» في العالمين في تحد صارخ لمبادئ الدين.

يقول تعالى ﴿إن الله لا يحب المفسدين﴾ و﴿لا يصلح عمل المفسدين﴾ ﴿ولا تبغ الفساد في الارض﴾.

وانظر الى اليابان التي ضاقت بها الأرض بما رحبت من كثرة الزلازل والبراكين والظواهر الطبيعية السيئة ولكنها ابادت الفساد بأرضها فتبوأت المكان اللائق بها مع ان بوذا يعبد بأركانها.

أمة محمد ﷺ كفرت بأنعم ربها من ثروات هائلة وطبيعة رائعة ومواقع نادرة وعقول عبقرية وهجرت الرسالة الخالدة حيث دستورها الرباني الخالد الذى لانجاة بغيره.

فمتى العودة إليه؟

عصام الحسين حميد

إعداد: التحرير

بين الانقباض والاسترسال

«ينبغي أن تحب المسلم لإسلامه، وتبغضه لمعصيته، فتكون معه على حالة متوسطة بين الانقباض والاسترسال، فأمَّا ما يجري منه مجرى الهفوة التي يعلم أنَّه نادم عليها، فالأولى حينئذ الإغماض والستر، فإذا أصرَّ على المعصية، فلابدَّ من إظهار أثر البغض بالإعراض عنه والتباعد، وتغليظ القول له على حسب غلظ المعصية وخفَّتها».

(مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي ت٧٤٢)

السَّفيه

قال الشَّافعي رحمه الله تعالى:

إذا نَطقَ السَّفيه فلا تُجبهُ
فخيرٌ من إجابته السُّكوتُ
فإنْ كَلَّمتَهُ فَرَّجتَ عنهُ
وإنْ خَلَّيتَهُ كَمَدًا يَموتُ
سَكَتُّ عَنِ السَّفيهِ فَظَنَّ أَنِّي
عَيِيتُ عَنِ الجوابِ وما عييتُ

(أدب الدنيا والدين للماوردي)

حَدُ الجود

حد الجود وغايته أن تبذل الفضل كله في وجوه البر، وأفضل ذلك في الجار المحتاج، وذي الرحم الفقير، وذي النعمة الذاهبة، والأحضر فاقة. ومنع الفضل من هذه الوجوه داخل في البخل، وعلى قدر التقصير والتوسع في ذلك يكون المدح والذم، وما وضع في غير هذه الوجوه فهو تبذير وهو مذموم، وما بذلت من قوتك لمن هو أمس حاجة منك فهو فضل وإيثار، وهو خير من الجود، وما منع من هذا فهو لا حمد ولا ذم، وهو انتصاف.

(مداواة النفوس)

مات خُزَّان المال وهم أحياء

قال علي رضي الله عنه: «ماتَ خُزَّان المالِ وهم أحياءٌ، والعلماءُ باقون مَا بقي الدَّهرُ».

وقال رضي الله عنه: «البُخلُ جامعٌ لمساوئ العيوب».

وقال رضي الله عنه: «البخيل يستعجلُ الفقرَ، يعيش في الدنيا عيشَ الفقراء، ويُحاسَبُ في الآخرة حسابَ الأغنياء».

وقال رضي الله عنه: «الغَنيُّ مَنْ استغنى بالله لا بالمال».

(القول العلي للسَّفاريني)

العباس يوصي ابنه

قال الشعبي قال لي عبد الله بن عباس: قال لي العباس: «يا بني إني أرى هذا الرجل- يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه- يقدِّمك على كثير من أصحاب رسول الله ﷺ، وإني أوصيك بكلمات أربع: لا تفشين لهم سرًا، ولا تحدثهم كذبًا، ولا تطرين عندهم نصيحة، ولا تغتابن إليهم أحدًا». قال الشعبي: فقلت لابن عباس: كل واحدة منهن خير من ألف. قال: إي والله من عشرة آلاف.

(حياة الحيوان الكبرى للدميري ١/١٠١).

عوَّضه الله خيرًا

يذكر من أدب الإمام المازني- رحمه الله- مع القرآن والحديث أنَّ يهوديًا بذل له مائة دينار ليقرئه كتاب سيبويه فامتنع من ذلك؛ فقيل له: لمَ امتنعت مع حاجتك وعائلتك؟ فقال: إنّ في كتاب سيبويه كذا وكذا آية من القرآن، فكرهتُ أن أقرأ القرآن لأهل الذِّمة، فعوضه الله خيرًا، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، فلم يمض عليه إلا مُديدة، حتى طلبه الواثق، وأخلف الله عليه أضعاف ما تركه لله.

(نوادر الفوائد: ١/ ١٥)

أوَّل الأمراء على المدينة المنورة

سهل بن حنيف بن وَهْب الأنصاري، الأوسي، المدني ولادةً ونشأةً والكوفي وفاةً، أبوسعيد رضي الله عنه، صحابي من السابقين، شهد بدرًا، وثبت يوم أُحد، وشهد المشاهد كلها، وآخى النبي ﷺ بينه وبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وولاه علي رضي الله عنه على المدينة، فكان أول الأمراء عليها، ثم استخلفه على البصرة بعد وقعة الجمل، فشهد معه صفين، وتوفي بالكوفة، فصلَّى عليه عليّ، له في كتب الأحاديث ٤٠ حديثًا.

(الأوائل لأبي الهلال العسكري- معجم الأوائل).

لم يسجد لله مرة.. ودخل الجنة

الأصيرم بن عمرو بن ثابت رضي الله عنه صحابي جليل لم يسجد لله سجدة قط؛ إذ أسلم وقت غزوة أحد واشترك في المعركة مباشرة واستشهد، كما أن الأسود الراعي أسلم يوم خيبر واشترك في القتال وقتل وما سجد لله سجدة، فقال عنه النبي ﷺ: «إن معه الآن زوجتيه من الحور العين» (الترمذي).

حُسن الاستماع

قال أحد الحُكَماء لابنه: «يا بني، تعلَّم حُسنَ الاستماع كمَا تتعلم حُسنَ الحديث، وليعلَم النَّاسُ أنَّك أحرَص على أنْ تستمع منكَ على أنْ تقُول، فَاحذَر أنْ تُسرع في القَول فِيمَا يَجبُ عَنهُ الرُّجوع بالفعل، حتى يعلم النَّاس أنَّك علَى فعل ما لمْ تقُل أقرب منكَ إلى قَولِ مَا تفعل».

(موسوعة أقوال الحكماء)

احفظ مفتاح سرِّك

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «ما أفشيت سري لأحد قط فأفشاه فلمته، إذ كان صدري به أضيق». وقال الأحنف بن قيس: «يضيق صدر الرجل بسره فإذا حدث به أحدا قال اكتمه علي!!».

وقال عمر بن عبد العزيز- رحمه الله: «القلوب أوعية، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل إنسان مفتاح سره».

ومن عجائب الأمور أن الأموال كلما كثرت خزائنها كان أوثق لها، وأما الأسرار فإنها كلما كثرت خزائنها كان أضيع لها، وكم من إظهار سر أراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ مآربه، ولو كتمه أمن سطواته.

(المستطرف للأبشيهي)

قَطعَتْ «جُهَيْزَة» قولَ كلِّ خَطيب

قتل رجلٌ رجلًا من قبيلة أُخرى، فاجتمع زعماءُ ووجهاءُ القبيلتين للتشاور فيما بينهم من أجلِ الصلح ومنع الثأر.

وقف الخطباء يحثُّون أهل القتيل على قبول الدِّيَة حَقْنًا للدِّماء ومنعًا للشَّرِّ، وبينما هم كذلك؛ دخلت فتاة تدعى «جُهَيْزَة» فقالت: إنَّ أولياء المقتول قد ظفروا بالقاتل وقتلوه، عندها سكت الخطباء وقالوا: «قطعت جهيزة قول كل خطيب».

(نوادر عربية)

من درر الإمام الشافعي

- إن الله خلقك حرًّا فكن كما خلقك.
- أنفع الذخائر التقوى، وأضرها العدوان.
- إنك لا تقدر أن ترضي الناس كلهم، فأصلح ما بينك وبين الله، ثم لا تبالِ بالناس.
- الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.
- بئس الزادُ إلى المعاد العدوان على العباد.
- التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة.

(مناقب الشافعي)

المسك الختام

تشريعات الإعلام وأخلاقياته

كنت أقوم بأعمال الإشراف والمراقبة على لجنة اختبار مادة «الكتابة للإذاعة والتلفزيون»، ضمن برنامج الإعلام في التعليم المفتوح. بدأت اللجنة بداية طبيعية، ولكن لم تكد تمر ساعتها الأولى (ضمن ثلاث ساعات هو زمنها) وإذ بثلاثة من الدارسين (طالبان، وطالبة يمثلون عُشر هذه اللجنة) يضبطون (على التوالي) وبحوزتهم وريقات خاصة بالمادة، ويقومون بالغش منها، وقد قام أحدهم ـ سريعًا بإلقاء «مضبوطاته» من النافذة التي كانت بجواره، محاولاً تبديد ومحو هذا «الحِرز المضبوط» حُررت ثلاثة محاضر للغش، وأخرجوا من القاعة، وحولوا للجنة التحقيق.

بعد يومين من هذه الواقعة.. وفي نفس برنامج الإعلام، وبعد مرور نصف زمن الاختبار (ساعة ونصف) تكرر الأمر ذاته. فقامت ثلاث من الطالبات (أيضا يمثلن عُشر هذه اللجنة) بالغش من وريقات صغيرة أخفينها في «أكياس مناديل ورقية»، وحقيبة أقلام صغيرة أمامهن. تبقى المفارقة أن هذه المادة هي «تشريعات الإعلام وأخلاقياته». فقلت في نفسي: هل هذا يشكل «أنموذجاً» لما ستكون عليه أخلاقيات العاملين في حقل الإعلام والمنتسبين له. وأين ذلك من قول رسولنا محمد ﷺ عندما مرّ على صُبْرَة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟»، قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشّ فليس مني». وفي رواية أخرى عند مسلم : «من غشنا فليس منا» (رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه).

فهل يصير نحو عشرة بالمائة من مجموع العاملين في حقل الإعلام، وللإعلام أهميته وخطورته في آن، «ليسوا منا»؟. وأين أمثال تلكم المواقف من أخلاقيات العمل الإعلامي المنضوي تحت مظلة الأخلاق في حياتنا الإسلامية بمرجعيتها الإلهية.. لا الوضعية أو العُرفية أو النفعية البراجماتية.

إن أخلاقنا النابعة من إسلامنا الحنيف تترجم على أرض الواقع معاملات نابعة من صدق، وأمانة، ونزاهة، وشرف، وموضوعية، وحيادية، ومسؤولية، وبحث عن الحقيقة، وإتقان، واجتهاد، وتقوى، ومراقبة ذاتية.. فردية وجماعية، واحترام أخلاقيات وقيم وكرامة ووحدة نسيج الأسرة والمجتمع والوطن... إلخ. ثم على الجانب الآخر، تتجسد في تشريعات وقوانين ومواثيق وتنظيمات تخضع للمحاسبة والعقاب، تشريعات عادلة تسائل كل من يخالف ما سبق، ويتعمد الإساءة، أو التخوين، أو التجريح أو توجيه الحملات ذات الطابع الشخصي أو التمييز العنصري، أو إذكاء التعصب والعصبيات بأنواعها وأشكالها، أو تهديد أمن المجتمع أو الوطن أو الأمة.

إننا بحاجة ـ وقد بلغ السيل الزبى، واختلط الحابل «الإعلامي» بالنابل، وتحولت بعض مظاهر الحرية إلى فوضى إعلامية، إلى تفعيل كلا الجانبين. والتأكيد على رسالة وآداب ومواثيق معايير مهنية لوسائل الاتصال جميعها.. من صحافة وكتب وإذاعة وسينما ومسرح ونشر ورقي وإلكتروني. كذلك تلكم المتعلقة بحق التعبير والاطلاع، وبجوانب المضمون الاتصالي (الإعلامي، الإخباري، التعليمي، الترفيهي، الإعلاني... الخ).

فالمسؤولية تعني حسن استخدام الحرية، و الحرية تعني روح العمل الصحفي، والمسؤولية هي حالة وعي الصحافة برسالتها ومعيار الرشد للممارسة المهنية، وإن الضمير المهني يعني البوصلة الذاتية التي تقود خطى الصحافة والصحفيين الى غايات الممارسة.

قد يقول قائل: إن ما ذكرت من حالات «غش إعلامي» إنما هي حالات فردية لا ينبغي أن تُعمم، فمازال الدارسون في حقل الإعلام بكل الخير، نعم، ليس في ذلك شك، بيد أنه إن كانت ثمة فائدة ترجى من مثل تلكم المواقف «اللاأخلاقية» فهي تلك الخواطر التي استدعتها هذه الأحداث وأراها مهمة في ضوء ما نعيش من أحداث عامة، وتحديات طامة، ومنعطفات مُلمة، ليست بحاجة لمزيد بسط أو شرح.

د. ناصر أحمد سنة